مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٧٩ هـ — أبريل سنة ١٩٦٠ م — المجلد الحادي والثلاثون

الفهرس

صفحة

١٠٣٨ أمة التوحيد لا بد أن تتحد
للأستاذ أحمد حسن الزيات

١٠٤١ الإسلام وحدة وجماعة
حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

١٠٤٤ عود إلى الثقافتين
للأستاذ عباس محمود العقاد

١٠٤٨ دور الأمومة في الخدمة الاجتماعية
للأستاذ الدكتور محمد البهي

١٠٥٨ جانب من العبرة في قصة آدم عليه السلام
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١٠٦٤ مثل عليا إسلامية عربية — ٥ —
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

١٠٦٩ الكرامة والعزة في القرآن الكريم
للأستاذ محمد محمد المدني

١٠٧٤ عيد الفطر في التاريخ والأدب
لأديب من العراق

١٠٨٣ شعراء الوحدة : ابن سناء الملك
للأستاذ علي العماري

صفحة

١٠٩٠ الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المغرضين
للأستاذين يوسف القرضاوي وأحمد السال

١١٢٤ المذهبية والتقليد للأستاذ محمود الشرقاوي

١١٣١ عمر الفاروق في بعض نواحيه الممتازة
للأستاذ عباس طه

١١٣٧ لغويات : الأملوك للأستاذ محمد علي النجار

١١٤١ مايقال عن الإسلام : الله في العقيدة الإسلامية
وفي أقوال علماء المقارنة بين الأديان
للأستاذ عباس محمود العقاد

١١٤٥ نجد « قصيدة » للأستاذ حسن جاد

١١٥١ الكتب : تاريخ الإسلام في الهند — ديوان
ابن الدمينة — وجهة العالم الإسلامي — أشعة
خاصة بنور الإسلام

١١٥٥ بريد المجلة : كلمة الرئيس جمال عبد الناصر
لعلماء الإسلام في الهند — برقية الأستاذ الأكبر
إلى سيادة الرئيس بمناسبة هذه الكلمة — رسالة
الأستاذ الأكبر إلى مسلمي الفيليبين — عيد الفطر
عيد مبادئ ومثل — بدعة استحضار الأرواح

بآخر العدد

فهرس أبجدي عام
لموضوعات المجلد الحادي والثلاثين

مكتبتنا العربية

أمة التوحيد لابد أن تتحد

بقلم : أحمد حسن الزيات

التوحيد أصل الأصول فى دين الله ـ عليه قامت العقيدة واجتمعت الكلمة واتحدت الأمة ، وبه فتح العرب أكثر الأرض وحكم المسلمون أكثر الناس .

وليس التوحيد أن تقول : لا إله إلا الله . ثم تجعل معناها الجامع ومرماها البعيد وراء عقلك ودون وعيك ، فإن توحيدك الله معناه اعتقادك بأن لا سلطان إلا سلطانه ، وأن لا دستور إلا قرآنه ، وأن لا سبيل إلا شرعه ، وشرع الله إنما قام على الوحدة والجماعة ، لأن شرع الجاهلية كان يقوم على الشتات والفرقة . والشتات سببه الضلالة ، والفرقة أصلها الجهالة ، والضلالة والجهالة لا تجتمعان فى طريق ولا تتوافيان على غاية .

والعالم كان يوم بعث الرسول وظهر الإسلام جائر السبيل حائر الدليل خائر العزيمة ، يكابد فى هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وعصبية تمزق الشمل وجاهلية تقطع الطريق . وكان العرب يومئذ على الأخص أشتاتا من غير جامع ، وهملا من غير رابط ، فاضت فى نفوسهم الحياة وزخرت فى صدورهم القوة فصرفوا هذا النشاط العارم إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يفتر . فاقتضت حكمة العليم الخبير أن يكون لباب الدعوة المحمدية الوئام والسلام والهداية . ومن أجل ذلك كانت الصفات الغالبة على شرع الله فى كتابه هى النور والهدى والاستقامة والرحمة : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » .. « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .. « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . . « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » . . « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » .

ومن أجل ذلك أيضا كانت عزائم الله

مكتبتنا العربية

فى الكتاب قائمة على ما يحقق الوحدة ويوثق العقدة ويديم الألفة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» . «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» . «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» . «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» .

فالتوحيد إذن من الكلم الجوامع التى وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ، فهو يدل بمفهوم لفظه على توحيد الله ، ويلازم معناه على توحيد الرأى وتوحيد الحكم وتوحيد القبلة وتوحيد الخطة وتوحيد الغاية وتوحيد القوة وتوحيد القيادة . وفى سبيل هذا التوحيد قضى الإسلام على الفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة أن يقتل . وعلى الطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين أن تقاتل .

ومهما تختلف الآراء وتتشعب المذاهب وتتعدد الفرق فإن التوحيد الذى تضمن سر الإسلام كما تضمنت النواة سر النخلة ، يظل بنجوة من الخلاف لا يخرج عنه ولا يمارى فيه إلا مشرك أو مرتد . كذلك الوحدة التى انبثقت عنه انبثاق النور عن الشمس والعبير عن الروض والحياة عن الروح ، لا يجوز فى عقل واع ولا إيمان خالص أن تفرقها عصبية لحزب أو مذهب ، ولا أنانية لزعيم أو حاكم .

والوحدة كما توجبها الشريعة لسلام الجماعة ، توجبها الطبيعة لسلامة الفرد . لأن التشتت بعثرة للقوة وتوزيع للعدة ، وليس فى الرمل المتزايل شدة الجبل المتماسك ، ولا فى القطر المتفرق قوة السيل المجتمع وإذا كان للقوى أن يعيش منفردا كالأسود ، فليس للضعيف إلا أن يعيش مجتمعاً كالقرود .

ومن أسرار الطبيعة فى الحى إذا خلق أعزل من الناب الأعصل والظفر الحاد أن تنمى عدده بكثرة النسل . وتقوى ضعفه بضرورة الاجتماع . وتهبه الأخلاق التى تمسك المجتمع وتقويه من إيثار للغير وإنكار الذات واتحاد بالجماعة ، ليستطيع فى حمى جنسه أن يضمن القوت ويأمن العدو . ومن أعجب العجب أن العالم العربى وقد قل بالانقسام وذل بالتخاذل يرى الخطوب تتوائب على جوانبه ، والنوازل تتفاقم فى أحشائه ، ثم تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها لا تعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النحل والنمل من التكافل والتعاون ، وملا بما فرضته الشريعة على المستضعفين من التواصل والتضامن ، وقد كانوا أحريا بحكم الطبع والشرع أن يتحدوا فى السياسة الموجهة والقوة المدافعة والدستور المشرع والرئيس الحاكم .

إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة ، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة

مكتبتنا العربية

لا تجد من جارتها الكبرى إلا ما يجد الصغير من عطف الكبير والفقير من عون الغنى .

فلما استكلب الطغيان واستشرى الطمع وامتدت أعين الأقوياء إلى ما فى أيدى الضعفاء ، عاش الناس عيش الوحش فى البر يفترس قويه ضعيفه ، أو السمك فى البحر يبتلع كبيره صغيره ، وسمى العادون المخربون هذا البغى الكافر استعمارا والتمسوا له العلل والأسباب ، وعاقبوا عليه الأسماء والألقاب ، وأدخلوه بمصطلحاته المقررة ومسوغاته المزورة فى دنيا الاسترقاق من أبواب القانون الدولى العام ! وحينئذ ذل الحق وعزت القوة ، وخرس العقل وتكلم الهوى ، وأفلس المنطق وأغنى السلاح ، وشعرت الأمم التى لا تملك العدد ولا العتاد ولا المال ولا العلم حين رأت أشداق الجبارين المستعمرين من دول الغرب تتحلب طمعا فى احتلال الشرق واستغلاله ، شعرت أنها موضوع النزاع وموضع الصراع وغنيمة الحرب ، فاعتراها مايعترى القطيع من التجمع والتضام حين يسمع من بعيد هيعة الذئب . وسعى بعضها إلى بعض بالتعارف والتحالف على اختلاف الجنس وتباعد الموطن ليتحدوا . ولكن الاتحاد الذى ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ورابطة اللسان وشركة الدار لا بد أن ينتهى إلى وحدة .

وقد آن لأبناء الأمة الوسطى وورات الدعوة العظمى أن يذكروا مانسوا ، ويجددوا ما طمسوا . ويعلموا أن الحق هو القوة ، وأن القوة هى الوحدة . وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد ، قام عليها تاريخهم القديم ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد .

إن اتحاد الدول العربية ضرورة خلقتها غريزة حب البقاء وهو لابد واقع . أما وحدة الأمة العربية فهى واقعة بالفعل ؛ لأن كتاب الله لا يزال مقروءا وسنة رسوله لا تزال متبعة . فمن يقل إن العراق مشفق على الوحدة لأن فلانا انشق ليسمى نفسه الزعيم الأوحد ، وأن الأردن قد فارق الجماعة لأن علانا فارقها لينعم فى ظلال انجلترا بالعيش الأرغد ، وأن تونس تركت العقدة لأن (أبا جان) تركها لتصير عقدته بفرنسا أوثق وأعقد ، من يقل ذلك يكن من الذين لا يزالون يقولون بأن هوى الزعيم مشيئة الأمة ، وأن إرادة الملك شريعة المملكة ! .

إن الأمة العربية جمعاء لسان واحد وسيف واحد فى جهاد الاستعمار والبغى . فمن لم يكن معها فيه فهو عليها . ومن يمالئ عدوها لغلول فى صدره أو نكول فى طبعه فليس منها .

ومن تسول له نفسه أن ينقض اليمين بعد توكيدها ، ويفرق الأمة بعد توحيدها . فهو عربى من غير عروبة ، ومسلم من غير إيمان ، وإنسان من غير ضمير ؟

أحمد حسن الزيات

مكتبتنا العربية

الإسلام وحدة وجماعة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

أيها الإخوة المؤمنون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإن الأعياد سنة فطرية جبل عليها الناس وعرفوها منذ فهموا التقاليد وأدركوا معنى الاجتماع ، ومرت بهم أحداث الخير والشر ومظاهر النصر والهزيمة . وبمقتضى هذه السنة الفطرية كان لكل أمة أعياد تظهر فيها أفراحها وتأخذ فيها زينتها ، تذكيراً بفضل أنعم الله عليها وتمكينا للمعانى السامية التى وصلت إليها وتركيزاً للمثل العليا التى اقتحمت بها عقبات الحياة ، وما أحرانا اليوم حين بزغت علينا شمس العيد مذكرة لنا بما أفاء الله علينا من نعمة النصر كأثر للوحدة التى كانت تلبية للمعانى المستقرة فى نفوسنا من إيمان عميق وعقيدة راسخة وقلوب متآلفة ولغة وأهداف واحدة ، ماتت معها العصبيات المفرقة والطائفية المشتتة واستيقظت معانى الإيثار . وقويت التضحية استجابة للمعانى الإنسانية والمثل العليا التى حوتها شريعتنا الإسلامية الغراء وبينها لنا القرآن الكريم وتحدثت بها السنة النبوية الكريمة «إنما المؤمنون إخوة» ، «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» ، «وأمرهم شورى بينهم» ، «وشاورهم فى الأمر» ، «والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى» .

ذلكم أن السلام رائدنا والوحدة هدفنا والوحدة هى دعامة السلام وأساس النظام وقوة للأمم المهيضة الجناح فأنعم بها يوم أن انبثقت من نفوس شعبينا فى قوة إرادة ، وصدق عزيمة فأيدها الله وملأ بها القلوب ، وها هى ذى تؤتى ثمرتها فترهق الأعداء بما أينعت ، ومن ثم دارت رءوسهم ، وتفطرت عقولهم فلا يجدون إلا أن يطلقوا شياطينهم توسوس هنا وهناك ظنا منهم أن ذلك البناء الأشم يستطيعون أن يتطاولوا إليه بعد أن غدا سامقا لا يرقى إليه طير ولا تصل إليه وسوسة وهيهات هيهات فإنها الوحدة التى صاغتها القلوب المتآلفة ووقفت من خلفها الأرواح الزاكية تحميها وتذود عنها ، ولكم ظلت آمال العروبة تهفو إليها بحرارة وشوق عاملة على جعل الحلم حقيقة واقعة . ولكم ظللنا نرقب ذلك وظل أملا تتطلع إليه النفوس المؤمنة حتى هيأ الله لهذه المعانى من أبرزها . فإذا بالخيال يغدو واقعا ، وإذا بالأحلام تصبح حقائق .

مكتبتنا العربية

وللجماعة فى نظر الإسلا[illegible]ية مميزة شعارها الوحدة الكاملة وإن أبرز[illegible]لعنا من النواحى التى كانت أساسا للوحدة والتى اتخذ منها الشعار العام للشخصية الإسلامية ما حكاه الله عن جدى العروبة والإسلام : ابراهيم وولده إسماعيل ، وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

إنهما قد دعوا بالإسلام لله والإخلاص له والاعتصام بدعوته دون أن يكون لسلطان الدنيا أو شهوات النفس ومقتضيات العصبية سلطان عليهما ولا على قلبيهما ، وقد طلبا ذلك لذريتهما أيضا « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » . ومن ثم كانت الوحدة فى الإيمان والعمل أساسا وشعارا للجماعة فى نظر الإسلام منذ أن وضعت اللبنة الأولى فى بنائه على عهد جدى العروبة : ابراهيم وولده اسماعيل وبذا كانت العروبة والإسلام قوتين متعاونتين تشد إحداهما أزر الأخرى وتهيئان النفوس المستعدة للخير والإصلاح إلى اقتحام ما يكيد به أرباب الفساد والشر الأثيم ويضعونه عقبات فى طريق النمو الإنسانى الفاضل الكريم . وحينما اكتمل النمو البشرى السليم جاء الإسلام دين الوحدة والجماعة يحمله كتاب عربى على لسان رسول عربى كريم . وقد نحى عن أمته صبغة الجنسية والإقليمية ليجعل منها أمة واحدة متراصة متكاملة البناء قوية الدعائم فلطالما أغرت هذه العصبيات بين الناس العداوة والبغضاء ، وقضت على روح التعاون والتحاب والتواد والتراحم ، جاء الإسلام بوحدة العقيدة ووحدة العبادة ، ووحدة السلوك ، ووحدة الأهداف مع وحدة الرحم ، وأخذ ينادى الخلق بنداءات إلهية مختلفة تحرك فى نفوسهم كل معانى الوحدة الفاضلة وتبعث فى قلوبهم الألفة والمحبة « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ، « يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » . ولا بد لحماية هذه الوحدة من عوامل أخرى تتصل بالغير وترتبط به والله سبحانه وتعالى ينادى عباده بأن يكونوا إيجابيين فى بناء وحدتهم ويحذرهم من عوامل الفرقة والتفرق ويحذرهم أن يستمعوا إلى أراجيف المرجفين الذين يضيقون ذرعا بنتائج الوحدة والألفة فيحاولون العبث والإفساد « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

مكتبتنا العربية

ونذكر فى هذا المقام موقف اليهودى الذى ساءته وحدة الأوس والخزرج فحاول أن يغرى بينهم العداوة والبغضاء فهموا إلى السيوف يعيدون الحرب جذعة وكاد الفريقان يقتتلان لولا أن وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وقال : « يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ الله .. الله ؛ الله فى دينكم الله فى إسلامكم ! » فأدرك القوم أن ما أريد لهم من فرقة إنما هى نزعة شيطان وكيد عدو . فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى سمع وطاعة ، وهكذا التأمت الجراح وعادت الوحدة إليهم . وما أشبه الليلة بالبارحة حيث يسعى قوم بين وحدة العرب بالفساد ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » . وينوه الله بنعمة الوحدة والألفة فيقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

إن الأجيال جميعا لترقب هذه الوحدة وإننا لندعوه سبحانه أن يكمل عقدها وأن تصبح شاملة فتقهر الاستعمار وتحيا فى ظلها أمم غلبت فيهم كلمة التفريق فأرغمتهم على حياة القهر والذل ، وحينئذ تكون هذه الوحدة مصدر سعادة العرب أجمعين يرتفع بها شأننا ، وتصد الغوائل عنا ، وتطهر أرضنا من المرجفين الذين ينفثون سمومهم « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده » .

ولنتجه جميعاً إلى الحق الذى رسمه الله لنا ، أدام الله التوفيق لفتى العروبة والإسلام وبطل هذه الأمة جمال عبد الناصر .

ووفقنا الله وباعد بين العروبة وبين المفسدين الذين تدفعهم العصبية الهوجاء إلى الغل والحقد والضغينة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

مكتبتنا العربية

رد إلى الثقافتين

ليس فى الإسلام مشكلة ثقافية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضنا فى إحدى مقالاتنا بمجلة (الأزهر) لمشكلة الثقافتين عند الأمم الغربية. والمقصود بها مشكلة الانفصال بين ثقافة العلم وثقافة الأدب، واتساع الهاوية فترة بعد فترة بين تفكير العلماء وتفكير الأدباء وأصحاب الآراء النظرية، مما ينذر بإصابة «الشخصية الإنسانية» فى هذا العصر بداء كداء الفصام، ويجعل الإنسان الناشئ على إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى كأنه نصف إنسان.

وقد كانت هذه المشكلة مدار البحث فى سلسلة المحاضرات الفلسفية التى ألقاها الكاتب - العلمى الأدبى - الأستاذ سنو Snow فى شهر مايو الماضى. فثارت حولها ضجة من النقاش والنقد والتعقيب لم تنقطع إلى هذه الأيام؛ لأن المشكلة - على ما هو ظاهر ليست فى المشكلات التى ينتهى الفصل فيها بسلسلة من المحاضرات، أو بطائفة من الآراء تنشر ثم تطوى بعد أسابيع أو شهور، ولا مناص فيها من إتباع القول بالعمل على منهاج متفق عليه، فإن لم يبلغ التفاهم عليه مبلغ الاتفاق فلا أقل من أن يكون صالحا للتنفيذ والتقرير.

وقد عاد الأستاذ (سنو) إلى بحثه فى مقال نشرته مجلة المساجلة Encounter فى عددها الصادر فى شهر فبراير الماضى، وأراد بمقاله هذا أن يلم أطراف المناقشة ويعقب عليها بخلاصة رأيه بعد عرض أقوال الموافقين والمخالفين من الباحثين قبله أو بعده فى مشكلة الثقافتين، وقد جمعهم إلى طوائف ثلاث: موافقين فى الرأى والنتيجة، وموافقين فى الرأى مخالفين فى النتيجة، ومخالفين يعارضون نظرته كل المعارضة فى وصف المشكلة ويرون أن العصر الحديث كالعصر القديم فى تعدد الثقافات، مع اختلاف الموضوع والمقدار.

ولا يعنينا هنا تفصيل أسباب الخلاف بين آراء الموافقين والمعارضين. فذلك شرح يطول ولا علاقة له بالناحية التى نحول إليها البحث من أمر الثقافة الإسلامية.

ولكننا نجتزئ بالإشارة إلى رده المجمل على المخالفين، ثم بالإشارة إلى الحل الذى يقترحه لعلاج المشكلة من الوجهة العامة.

فالمخالفون يقولون: إن الحال لم تتغير فى جوهرها من أيام عصر النهضة إلى اليوم. فلو تلاقى عالم فقيه وشاعر فنان قبيل القرن

مكتبتنا العربية

السادس عشر لما كان بينهما من التفاهم والتقارب أكثر مما يكون بين علماء العصر الحاضر وأدبائه أو مفكريه النظريين .

وجواب الكاتب على هؤلاء أنه لا يسلم بأن المسافة بين الفريقين كانت على هذا البعد منذ ثلاثة قرون ، ولا يقول إن العلم والأدب كانا قريبين متلاقيين فى القرن السادس عشر ، ولكنه يقول إن القنطرة بينهما كانت موجودة مستقرة وهى اليوم تتهدم شيئا فشيئا وتوشك أن تزول ، وأنه على أية حال لا يريد أن تتوحد معرفة العالم ومعرفة الأديب ، ولا أن يتم التفاهم على نمط واحد بين جميع المثقفين ، وإنما يريد أن تقام القنطرة وتظل قائمة لمن يعبرها . ولا يعجز أحد عن عبورها إذا أراد .

أما حل مشكلة الثقافتين من الوجهة العامة عند الكاتب فهو تعميم التصنيع فى المجتمعات الحديثة ، ولا بد - على رأيه - من الاختيار بين البدائية الهمجية وبين تصنيع المجتمع وتعويد الناس جميعا أن يعيشوا معيشة الحضارة العلمية ، فيصبح التثقف العلمى حقيقة واقعة يزاولها الناس فى البيوت والأسواق وفى ميادين الرياضة البدنية والنفسية ، وفى حينها تحول الإنسان بين العمل الصالح واللهو البرىء ، لاضطرارهم إلى استخدام الآلات .

والكاتب ، فيما نعتقد ، مصيب من الجانب الذى ينظر إليه ، وهو جانب (الإنسان الغربى) وارث العلم والأدب فى البلاد الأوربية أو الأمريكية من القرون الأولى بعد الميلاد .

فقد عاش هذا الإنسان على الدوام فى ميدانين متقابلين من عالم الثقافة : ميدان الروح وميدان الجسد ، أو ميدان ملكوت السماء وميدان ملكوت الأرض ، وكان الانفصال بين الميدانين بعيد الأمد يكاد ينتهى إلى عالمين متناقضين أحدهما ملعون منبوذ هو هذا العالم المشهود ، والآخر مقدس مطلوب ولكنه غائب وراء الحواس بل وراء العقول التى تتصرف فى الأمور الدنيوية .

وليس الانفصال بين العلم والأدب فى القرن التاسع عشر وما بعده إلا ميراثاً منقولا من ذلك الفاصل القديم ، ولا غنى فى هذه الحالة عن تقريب القواعد قبل تقريب البناء الذى يقام عليها .

ولهذا لا غنى عن سؤال يجاب عليه قبل البحث فى الحلول العامة المقترحة ، سواء منها حل الكاتب الانجليزى وحل غيره من المفكرين العلميين والنظريين .

هذا السؤال هو : ما الرأى فى « الشخصية الإنسانية » على أى وضع من الأوضاع الاجتماعية فى العصر الأخير : عصر الصناعة وحضارة العلم الحديث أو عصور الزراعة والعلاقات الاقتصادية على اختلافها .

مكتبتنا العربية

هل « الشخصية الإنسانية » هى موضع التربية والتثقيف وغرضهما ومدارهما فى جميع الأحوال ، أو أن موضع التربية والتثقيف وغرضهما ومدارهما شيء آخر لا يبالى مصير هذه الشخصية ؟ .

إن الإسلام لا مشكلة فيه من جهة الثقافة على أنواعها ؛ لأن « الضمير الإنسانى » هو المسئول دنيا وأخرى عما يعمله الإنسان وما يعلمه وعما يدين به فى نجواه وما يدين به بينه وبين غيره .

والتربية فى الإسلام هى تهذيب هذه « الشخصية » وتزويد قواها الفكرية والبدنية معا بكل ما يصلحها للعلم والعمل .

وكل تربية ينالها الإنسان فهى امتداد لقوة من قواه ، سواء منها قوة البدن وقوة الروح ، وإنما تعرف قيمتها بميزان القوة التى تمدها وتزيدها وتهيئها للعمل فى الحياة الخاصة أو الحياة الاجتماعية العامة .

فالتربية الصناعية تجعل للإنسان يدا أقوى من يده أو قدما أقوى من قدمه ، أو بصراً أقوى من بصره ، أو سمعا أقوى من سمعه ، وهى تربية ضرورية نافعة لاغنى عن تعميمها بين الناس فى المجتمعات الحديثة ، ولا غنى لهذه المجتمعات عنها فى عصر الصناعة والمخترعات .

هذه التربية الصناعية قوة تمنح الإصبع قدرة على أن يحرك الجبال بالضغط على زر صغير ، وتمنح العين قدرة على النظر بالمجاهر والمناظير إلى دقائق الخفاء وإلى آفاق السماء .

ولكن هذه القوى جميعا لن تبلغ فى القيم الإنسانية مبلغ القدرة التى ترفع ضميره وتوليه من الشعور والفكر وسيلة توسع أمامه آفاق الحياة وتبسط بين يديه كونا أعظم من الكون الذى يعيش فيه جسده ووجودا أتم من الوجود الذى يلابسه بأعضائه البدنية ولو بلغت غاية مداها من بسطة وامتداد .

إن « زرا » يضغطه الإنسان بإصبعه قد تمنحه قوة ألف إصبع أو آلاف من الأصابع تحسب بالملايين ، ولكن « الشخصية الإنسانية » لا تتوقف عليه ، وقد تصنعه للإنسان شخصية أخرى فيعمل به كل عمله المطلوب ، فليس فى الضرورى أن يكون صانع الزر هو المنتفع به أو هو المتعلم لتركيبه واستخدامه ، ولا شأن له فى إتمام « كيانه الإنسانى » ولا فى الارتفاع به إلى ماهو أهل له من مراتب الكمال .

ولكن القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مزايا الخير والجمال وتذوق بها محاسن الحياة الفكرية والعاطفية تتوقف على « الشخصية » التى تستطيعها ولا تصنعها لها شخصية أخرى كما تصنع الأزرار والمجاهر والمناظير .

مكتبتنا العربية

وهذا هو الفارق بين تربية وتربية ، وبين إنسان مثقف وإنسان ناقص التثقيف ، أيا كان نظام المجتمع وأيا كان حظه من التصنيع .

فإذا وجب التصنيع فإنما يجب لتمكين الإنسان من الانتفاع بصناعات عصره وتوزيع منافع الصناعات بين جميع أبناء المجتمع على سنة الإنصاف والتعاون فى المصلحة والخير ، ولكن المجتمع الذى سيصنع الأزرار والمجاهر والمناظير لأبنائه لا يعطيهم كل شىء ولا يزودهم بمقومات الحياة التى يحتويها كل ضمير بينه وبين الله وبينه وبين الناس ولا يستطيع أن يعول فيها على معمل من معامل التصنيع يتكفل بتوريد الضمائر لأبنائه كما تتكفل المعامل بتوريد هذه الأداة أو ذلك المخترع المصنوع .

ولن تتم فى مجتمع من المجتمعات ثقافة عالية جديرة بأن تسمى ثقافة إنسان مالم تكن ثقافة شاملة يتم بها قوام « الشخصية الإنسانية » بريئة من داء الفصام موفورة الحظ من الضمير والجسد ، ومن العلم والأدب ومن مطالب الأذواق ومطالب العقول .

عباس محمود العقاد

قلم الحبر اختراع عربى

قيل : إن قلم الحبر اخترع فى القرن الثامن عشر الميلادى . وقيل إن الأمريكيين كانوا أسبق الناس إلى معرفته .

والحق أن الذى اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمى فقد جاء فى كتاب المجالس والمسامرات على لسان القاضى أبى حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمى قاضى قضاة المعز المتوفى سنة ٣٦٣ هـ قال : ذكر الإمام المعز لدين الله القلم فوصف فضله .

ثم قال : « نحن نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة منه يجعله الكاتب فى كمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شىء من المداد منه ، ولا يكون ذلك إلا عند ما يبتغى منه فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا قد سبقنا إليها . فقلت : أو يكون هذا يا مولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون إن شاء الله .

فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذى وصف له الصنعة ومعه قلم من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب وزاد شيئا فى المداد على مقدار الحاجة . وأمر بإصلاح شىء منه فأصلحه وجاء به وإذا هو قلم يقلب فى اليد ويميل إلى كل ناحية . فلا يبدو منه شىء من المداد وإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد .

أ - ح - الزيات

دور الأمومة فى الخدمة الاجتماعية

للأستاذ الدكتور محمد البهى

ما هى الخدمة الاجتماعية :

أول ما يتبادر إلى معالج لهذا الموضوع أن يسأل : ما هى الخدمة الاجتماعية ؟ ولكى يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال يجب أن يتعرض لجوانب المجتمع العديدة . والمجتمع البشرى - كمجتمع - يقوم على إقرار بهدف معين لأفراده . وهذا الهدف المعين المشترك بين الأفراد يدفع بالضرورة إلى إيجاد نوع من العلاقات بينهم ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يتركوها فتضعف ، فضلا عن أن يتخلوا عنها . وإلا انحل المجتمع من نفسه وصار مجموعة من الأفراد ، يعيشون وحدات مفرقة منثورة ، تختلف أهدافهم وتتعارض اتجاهاتهم تبعا لاختلاف أهدافهم فى الحياة .

المجتمع البشرى يصنع ، ولذا فهو طارئ فإذا ذهب الهدف الذى من أجله قام مجتمع من المجتمعات ، ذهب هذا المجتمع فى مجتمع آخر قائم بالفعل أو مجتمع ينشأ عنه وعندئذ ينشأ لهدف . وربما يكون هذا الهدف الهدف السابق نفسه فتكون نشأة المجتمع وقتئذ « نهضة » . فإذا كان الهدف على الضد من الهدف السابق كان مجتمعا آخر جديداً ، مع أن أفراد المجتمع السابق هم أفراد المجتمع الجديد .

جاء الإسلام فوجد مجتمعاً عربيا فى شبه الجزيرة العربية . له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته . ووجد مجتمعاً فارسيا فى منطقة الامبراطورية الفارسية له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته ، ووجد مجتمعا رومانيا شرقيا فى رقعة الشرق الأدنى له عرفه وتقاليده ، وله هدفه وغايته . ووجد مجتمعا مصريا وآخر فى شمال إفريقيا لكل منهما عرفه وتقاليده ، وهدفه .

١ — فكان من العرف والتقاليد التى سادت هذه المجتمعات بصفة مشتركة — اضطراب التوازن الاجتماعى وتعدد الطبقات فى المجتمع ، مرة على أساس من النسب ، وأخرى على أساس من الثراء فى الملك والتجارة ، ومرة ثالثة على أساس من المعرفة الدينية ، ورابعة على أساس من جاه الحكم. فكانت هناك الطبقة الاستقراطية فى الشرف والطبقة الأخرى الوضيعة المقابلة لها ، وكانت هناك الطبقة الرأسمالية والأخرى العاملة المستذلة ، وكانت هناك طبقة الكهان

مكتبتنا العربية

أصحاب العراقة أو المعرفة الدينية والطبقة الأخرى التى تطيعها ولا تناقشها ،وهى طبقة المستسلمين أو التابعين ، وكان هناك البيت الحاكم أو الأسرة الحاكمة من جانب والرعايا المحكومون من جانب آخر .ووصل اختلال هذا التوازن الاجتماعى إلى أن أصبح الإنسان سلعة تباع وتشرى ، وأصبح الرق البشرى تجارة رابحة ، وأصبح الذل والاستذلال طابعا لحياة فريق فى المجتمع ، بينما الصلف ـ ومن توابعه الظلم ـ طابعا لفريق آخر فيه .

٢ ـــ وكان من العرف والتقاليد التى تميزت بها هذه المجتمعات شيوع الترف القائم على الإسراف والفساد ، والانحراف عن خط الاستقامة والسلوك المهذب فى جانب ، وفى الوقت نفسه شيوع الفقر والفاقة فى جانب آخر .

وكما كانت « الفجوة » أو « التناقض والمقابلة » مظهرا مسيطرا بين طبقات المجتمع وفى جوانبه ـ كانت هذه الفجوة أو هذه المقابلة مظهرا مسيطرا كذلك بين نوعى الأفراد فى بعض هذه المجتمعات . فكان للرجل قيمة وللمرأة من الأفراد قيمة أخرى، تقربها من أن تكون طبيعة منفعلة على الدوام ، ليس لها إيجابية فى المجتمع سوى أن تقبل التوجيه فى صوره المختلفة من الرجل.

٣ ـــ وكان من العقائد وصور الإيمان التى كانت تحكم هذه المجتمعات ـ ولعل ذلك كان نتيجة لتلك المفارقات والفجوات الواضحة فيها ، التى قامت عليها الطوائف والطبقات هناك ـ أن رفع الإنسان إنسانا آخر فألهه وعبده ،أو دنا بنفسه فى التقدير فعبد ما هو دون الإنسان فى موجودات هذه الأرض من نار أو حجر ، وبذلك أضفى القدسية ، وأسند النفع والضر ، إلى مالا قدسية له من طبيعته ، ولا نفع أو ضر ينبثق أصلا عن ذاته . فكان الشرك فى العبادة ، وكان الهوان فى الاعتقاد .

الإسلام خلق مجتمعا جديدا :

جاء الإسلام بنظام وبرسالة للبشرية . وحدد فى هذا النظام وفى هذه الرسالة هدف المجتمع الإسلامى . حدده برفع الظلم الاجتماعى ورفع الطائفية والطبقية من مجتمعه ، وأعلن قيمة الإنسان من خصائصه البشرية وحدها ، لا من أرستقراطيته فى شرف سابق فى النسب ولا من جاهه فى الثراء أو الحكم ، ولا من انتسابه للون معين من العراقة أو المعرفة ، فكان قول القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فالناس جميعا بمقتضى هذه الآية من خلق واحد . فكل فرد جاء من ذكر وأنثى . وإذن أصل النشأة واحد . ثم هم بعد

مكتبتنا العربية

التشابه وعدم التغاير فى أصل النشأة يتميز بعضهم عن بعض بمدى تنمية طبيعته وتطوير إمكانياتها واستعداداتها البشرية ، وهى إمكانيات واستعدادات تختلف تماماً عن تلك التى يشارك فيها الحيوان . ولذا كان التعبير فى هـــذه الآية عن هذا التميز بعد التشابه فى الطبيعة بقوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ـ تعبيرا فى غاية الدقة . لأنه أفاد : أن أمارة هذا التميز هو الاتقاء والتجنب . وشأن الاتقاء والتجنب لأى أمر أو تصرف وسلوك لا يتم إلا بإرادة . والذى يدرك من الكائنات حـــدود ما يُتقى ويُتجنب هو الإنسان وحده . ولذا الذى له إرادة من بينها ـ وبالأخص عند الاتقاء والتجنب ـ هو الإنسان وحده أيضا . إذ الحيوان لا يفرق بين ما ينبغى ومالا ينبغى ، ثم ليست له إرادة بجانب عدم إدراكه المميز . فشأن الحيوان أن يُدفع ويساق ، وأن يحال بينه وبين أمر ما . وهـو لا يعرف أن يُقدم ، فضلا أن يدرك : متى يقدم ؟ . لا يعرف أن يمتنع ، فضلا عن أن يدرك : متى يمتنع ؟ .

وبجانب إعلان الإسلام لقيمة الإنسان على هـذا النحو ـــ فألغى بذلك الطبقية والطائفية . وفى ضمن إلغاء الطائفية والطبقية إلغاء الرق والبيع والشراء للإنسان ـــ أعلن المساواة فى النشأة والأصل بين الذكر والأنثى من الإنسان ، وذلك فيما تذكره هذه الآية الكريمة : « ومن كل شئ خلقنا زوجين » إذ بمقتضى منطوق هذه الآية الكريمة أن كل جنس من أجناس الكائنات خلق منه زوجان ذكر وأنثى فى الإنسان ، والحيوان ، والنبات . وقابل وفاعل أو موجب وسالب فيما عدا الإنسان والحيوان والنبات .

وكما كانت نظرة الإسلام إلى البشر فى أنهم شعوب وقبائل هى للتعارف والائتلاف والانسجام ، وليست للتباين والتعارض والنفرة ـــ كذلك نظرته إلى خلق الزوجين من كل شىء كانت غايتـــه أيضاً الائتلاف والانسجام وليس النفرة والتعارض . ويشير إلى هذه الغاية ما تنطق به آية أخرى هى قوله تعالى فى شأن الذكر والأنثى من الإنسان : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وقوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » .

وكان لابد من وجهة نظر الإسلام ـــ وقد أعلن مساواة البشر فى الطبيعة ، ومساواة الذكر والأنثى فى الأصل والنشأة ، وألغى تبعاً لذلك كل المفارقات والفجوات التى لا تتصل بالطبيعة الإنسانية ـــ أن يدعو الإنسان إلى الاحتفاظ بقيمته الإنسانية سواء فيما يتصور ، أو فيما يتصرف ، أو فيما يعتقد .

وهنا فى دائرة الاعتقاد لا ينبغى له إذن

مكتبتنا العربية

أن يؤله مساويا له فى البشرية ، وبالأولى لا يؤله أقل منه فى الطبيعة . وإلا إن فعل واحد منهما — يكون قد عكس آية الوجود فيما يتصل بخلقه ووجوده .

وهنا كان منطق الإسلام فى دائرة العقيدة والإيمان أن يدعو الإنسان إلى أن يتجه بإيمانه وعبادته إلى حقيقة هى أعلى من الإنسان، وهى ذات المولى جل شأنه ، وأمارة كون هذه الحقيقة حقيقة عليا . أنها ليست شبيهة لكائنات أى جنس من أجناس الوجود . وقد عرفنا أن أجناس الوجود تقوم جميعها على الزوجية الذكر والأنثى . أو الفاعل والقابل ، وأنه عن طريق هذه الزوجية يكون الولد وتكون الكثرة والزيادة . فإذا كانت هذه الحقيقة العليا لم تولد فهى لا تلد أيضا ، وإذن فهى فرد صمد . وهذا ما ذكره الإسلام فى سورة من السور القصيرة فى كتابه فى قوله : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

وبهذا كله حدد الإسلام غاية رسالته ، وخلق من التابعين له والذين آمنوا به من أفراد المجتمعات السابقة عليه المختلفة فى الجنس أو الاعتقاد أو العرف والعادة ، مجتمعا جديدا . وأصبح التاريخ الإنسانى يتحدث عن «مجتمع إسلامى» دخل فيه العرب والفرس ومن سيطر عليهم الرومان فى الشرق الأدنى ، ثم امتد فوصل إلى ما وصل إليه انتشار الإسلام فى إفريقيا وآسيا ، وفيما وراء إفريقيا وآسيا من قارات العالم القديم .

وهنا نجد أنه نشأ مجتمع جديد انحلت فيه المجتمعات التى سبقته ، وكان لهذا المجتمع الجديد هدف يغاير أهداف تلك المجتمعات السابقة ، وتبعا لقيام هذا المجتمع الجديد وجد نوع من الروابط بين أفراده ، يقصد إلى تحقيق الهدف وصيانة المجتمع نفسه من الضعف أو الانحلال . وتحقيق الهدف هنا هو توكيد اعتبار القيم التى جاءت بها الرسالة الإسلامية ، وهذه القيم هى ما يتعلق بوضع الإنسان وضعا متساويا للإنسان الآخر فى الطبيعة والاعتبار ، وإلغاء الفوارق التى تقوم عليها عادة الطبقات والطوائف تبعا لذلك ، وكذا ما يتعلق بتحديد المقياس الذى يتميز بمقتضاه إنسان عن إنسان آخر ويفضل به شخص شخصا آخر ، وهو مقياس التنمية للمواهب والاستعدادات البشرية ، وليس مقياس النمو والتزيد فى الشرف أو المال أو الجاه .

وجدة المجتمع الإسلامى إذن أنه مجتمع لا يعترف بالطبقات ، ويقوم على أساس المساواة ، وإن كان يقر مبدأ التفوق والمفاضلة فى المعانى الإنسانية ، بينما المجتمعات

السابقة كانت مجتمعات طبقية ، أساس المفارقات بين الأفراد فيها عوارض تعرض لذات الإنسان ، دون طبيعة الذات نفسها ، وجدّنه أيضا فى أنه ـ بناء على رد الاعتبار للإنسان أى إنسان من حيث إنه طبيعة إنسانية ـ حول الإيمان بالشرك فى الألوهية ـ لأنه لا يتفق مع كرامة الانسان ـ إلى الإيمان بالوحدة ، لفت النظر إلى أن المعبود الواحد هو فوق الإنسان ، وأول الموجودات ، وأصل الوجود ونهايته كذلك « هو الأول والآخر » « كل شىء هالك إلا وجهه » .

* * *

هذا مثل يوضح كيف أن المجتمع الإنسانى يُصنع ، وأن صنع أى مجتمع جديد لابد أن تسبقه دعوة إلى تحديد هدف جديد ، ويتلو تحديد الهدف الروابط بين الأفراد ، تلك الروابط التى تساعد على تحقيق الهدف الجديد أو استمرار قيام المجتمع الناشئ .

الثورة المصرية نهضة فى مجتمع قائم :

ومثل آخر لا يوضح قيام مجتمع جديد ، ولكن يوضح «نهضة» المجتمع القائم بالفعل ، ونهضة أى مجتمع قائم تساوى قيام مجتمع جديد فى الحاجة إلى دعوة وفى الإيمان بما تتجه الدعوة إليه من هدف من قائد الدعوة نفسها ، والفرق بعد ذلك بين قيام مجتمع جديد ونهضة مجتمع قائم هو فى ذات الهدف ، فعند النهضة هدف المجتمع لم يتغير ، بينما عند قيام مجتمع جديد يستلزم الأمر تحديد هدف آخر يغاير تماما ما كان من هدف للمجتمع السابق عليه .

هذا المثل الآخر هو مجتمع « ثورة الإقليم المصرى» فى يوليو سنة ١٩٥٢ ، فمجتمع الإقليم الجنوبى قبل الثورة هو مجتمع إسلامى فى رقعة الوطن العربى ولكن غشاه من الانحراف ما جعله مجتمعا لا يعبر عن هدف المجتمع الأصيل ، فالمساواة التى دعا إليها الإسلام تحولت فى المجتمع إلى طبقات وطوائف ، وكرامة الإنسان التى أعلن عنها الإسلام فى توجيه العبادة والإيمان إلى الله وحده سقط اعتبارها تبعا لنمو المعنى الطبقى والطائفى فى ذاك المجتمع ، وهنا ابتعد المجتمع المصرى السابق على الثورة عن هدفه ، وإذا ابتعد أى مجتمع عن هدفه ضعفت أو تلاشت الروابط التى ربطت بين أفراده لأن تلك الروابط وجدت لوجود الهدف وفى سبيل المحافظة عليه .

وعندما قامت ثورة الإقليم الجنوبى أعلنت هدفها فى : المساواة ، والكرامة الإنسانية ، أى أعلنت الهدف الذى هو المجتمع الإسلامى فى رقعة الوطن العربى ـ الإقليم المصرى ـ فهى ثورة لا انقلاب ، ولكن لإعادة المجتمع الإسلامى العربى فى الإقليم المصرى ، بعد ما ابتعد عن هدفه

مكتبتنا العربية

وضعفت روابطه بين أفراده فيما قبل قيامها ورد أى مجتمع إلى هدفه الذى قام من أجله هو نهضة ، وليس إنشاء لمجتمع آخر جديد ، لأن الهدف لم يختلف عندئذ .

وإذن مجتمع الثورة العربية هو مجتمع إسلامى عربى ، أى مجتمع يرتبط بهدف المساواة ، ورفع الطبقية والطائفية ، وبالكرامة الإنسانية فى بلد عربى ، والقومية العربية لا تعنى إلا تحقيق هذا الهدف فى الوطن العربى ، ولا تعنى بحال شيئاً آخر فى ذلك ، وإلا كانت تعبيراً لا مدلول له ، وهدف المساواة والكرامة الإنسانية هو هدف الرسالة الإسلامية التى قام المجتمع الإسلامى على أساسها ، وحدد الروابط بين أفراده قصدا إلى تحقيقها ، وقد تجلى لنا هذا الهدف من توضيح قيام هذا المجتمع الإسلامى على أنقاض المجتمعات السابقة عليه .

وهنا نعود إلى شرح معنى : الخدمة الاجتماعية . ومعناها الآن بسيط كل البساطة : الخدمة الاجتماعية هى إذن كل عمل يصون هدف المجتمع من الضعف . هى كل عمل يسعى بطريق مباشر أو غير مباشر إلى وقاية هذا الهدف من التخلخل فى نفوس أفراد المجتمع . هو كل عمل يتمثل فيه هذا الهدف .

كيف ؟ إن توجيه الناشئة إلى القيم التى تتبلور فى هذا الهدف خدمة اجتماعية . وإن دفع أفراد المجتمع بالقول أو بالعمل إلى تنمية الشعور المشترك بينهم ، ذلك الشعور الذى يعكس بدوره هدف المجتمع ـ خدمة اجتماعية : إن إشعار الإنسان لإنسان آخر فى مجتمعه بمساواته له فى معنى الإنسانية ، وفى الكرامة والاعتبار ـ خدمة اجتماعية . فمثلا إن أسند إليه عملا ، أو أعطاه شيئا ما يدفع به حاجته أو يدفع عنه أذى ـ لا يشعره بأنه أقل منه فى معنى الإنسانية أو فى الاعتبار والقيمة .

الإحسان فى صوره العديدة ـ فى العشرة والمعاملة ، فى الإعطاء والمنح ، فى الرعاية والولاية ، فى التوجيه والقيادة ـ خدمة اجتماعية .

الزكاة والصدقة ـ إن لم يصحبهما عدم الزهو وعدم الرياء ـ يصوران معنى الخدمة الاجتماعية . « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » . والأذى الذى يتبع الصدقة ليس هو الأذى المادى وحده ، بل والأذى النفسى . ومصدر الأذى النفسى عند المتصدق هو فى زهوه وريائه بصدقته .

إن قيام كل فرد بواجبه فى نطاق ما يناط به ـ خدمة اجتماعية : فقيام الموظف بوظيفته ، وقيام العامل بعمله ـ فى إتقان ـ فى مصنعه أو متجره ، وقيام صاحب العمل فى المصنع أو المتجر برعاية حق المستهلك والعامل معا ، وقيام الجندى فى الميدان بما يقتضى حق الدفاع عن الوطن ، وقيام رجل الشرطة بتنفيذ

القانون فى غير تحيز ، وقيام القاضى برسالة العدالة فى قضائه ، وقيام الطبيب برسالة الإنسانية فى مباشرته لعلاج زائريه .

كل ذلك خدمة اجتماعية . لأنه ينمى شعور الترابط بين الأفراد الذى أوجده هدف المجتمع من المساواة والكرامة . فهو بطريق غير مباشر يقى هدف المجتمع من الضعف أو التلاشى .

* * *

الأمومة والمجتمع :

وهنا يأتى الحديث عن دور الأمومة فى الخدمة الاجتماعية . والأمومة ترجع إلى « الأم » فى معناها . والأم هى المرأة ذات الحنو والعطف . وكل امرأة معدة بطبيعتها - التى تمثل فى الأنوثة - لأن تكون ذات حنو وعطف .

والحنو مشترك مع الانحناء فى المعنى ، والعطف مشترك مع الانعطاف وهو الميل كذلك فى معناه . وإذن من لوازم الأمومة الحنو والعطف أو الانحناء على الغير والانعطاف والميل نحوه . ودور الأمومة لذلك هو دور الانحناء على الغير والميل نحوه . ولأن الحنو والعطف أمر طبيعى فى الأم فالدور الذى تؤديه الأمومة من الانحناء على الغير والميل نحوه دور طبيعى ، ينبثق من طبيعة المرأة . وينميه فقط ممارستها لهذا الدور .

وكل عمل يقوم به الإنسان عن ميل واستعداد فطرى فيه ، يجد فيه متعة ، ويكون فى الوقت نفسه مثمراً . فأى جانب أو أية جوانب من جوانب المجتمع فى حاجة إلى حنو وعطف ، وبالتالى فى حاجة إلى دور الأمومة ؟ .

إنه جانب « الضعف » فى المجتمع ليقوى ، وجانب « الركود » ليستأنف حركته ، وجانب « الهبوط » لينهض .

إنه ميدان التربية والتنشئة ، ليسير الصغير ويعتدل فى سيره ، إنه ميدان التمريض ليدفع المريض عن كاهله ثقل المرض ويستأنف حركته فى الحياة ، .

إنه ميدان الحرب ليزيل الجندى عن نفسه داعى الجبن وخور العزيمة ، وينهض بروح وثابة ملؤها الإقدام والأمل .

إن هذه الميادين يثمر فيها دور الأمومة ، دور الحنو والعطف ، أكثر وأسرع مما يثمر دور الرجل . بل إن قوة عضلات الرجل ، وصلابة إرادته قد تزيد ضعف الصغير والناشئ أو قد تدفعه إلى الاعوجاج فضلا عن أن تخلق من ضعفه هذا قوة واستقامة . وقد ترهق المريض بالإضافة إلى مرضه ، فضلا عن أن تعجل باستئنافه الحركة فى الحياة . وربما تكره الجندى على القتال ، ولكنها لا تجعل منه محبا للاستشهاد فى سبيل وطنه ومجتمعه .

مكتبتنا العربية

إن الصغير والناشئ تستهويه نظرات الأم ويحن إليها كما يحن إلى أن يمتص اللبن من ثديها مباشرة ، فيطيعها ويتبعها فيما تفعل أو تقول فى يسر وفى هدوء وفى مقابل ذلك يخشى نظرات أبيه لأنها نظرات إنسان له من قوة الصوت وخشونة الحركة وضخامة بناء الجسم ـ بالقياس إلى المرأة ـ ما لا يغرى طفله بأن يسكن ويطمئن إليه كما يسكن ويطمئن إلى أمه . ومن هنا ندرك : أن رقة صوت المرأة ، وخفة حركتها ، ونعومة تكوينها الجسمى ـ هى التعبير الحسى المشاهد عما أودع فى طبيعتها من العطف والحنان . كما ندرك أن هذه الرقة فى الصوت ، وهذه الخفة فى الحركة ، وهذه النعومة فى تكوينها الجسمى التى جعلها الرجل فى بعض الأحايين أمارة على ضعفها ـ هى التى تفعل فعلها فى تحويل الضعف فى الناشئ إلى قوة ، والجمود فى المريض إلى حركة ، وانحطاط النفسية ، وهبوطها عند الجندى المحارب إلى إقدام واستبسال عند الاشتباك فى ميدان الحرب والقتال .

وكذلك المريض فى سرير مرضه يستهويه ما يستهوى الصغير الناشئ من عطف الأمومة وحنانها إن قامت المرأة بتمريضه والعناية به إنه يشعر بما وهبها الله من طبيعة الأنثى ، عندما تلتقى نظرته بنظرتها ، أو عندما تقدم له يدها الناعمة ما يسكن ألمه من علاج ، أو يشبع نفسه من طعام ، أو عندما يقترب وقع قدميها من سريره فى غير إزعاج — إنه يشعر بذلك فتتحرك الحياة فى نفسه ويقوى أمله فى الحياة من جديد . وهنا إذا قوى الأمل فى الإنسان ارتفعت قدرته على اجتياز الأزمات ، واستهان بها . وذلك سر النجاح فى الحياة ، ليس على المرض وحده وإنما على كثير من العقبات .

وشأن الجندى فى ميدان الحرب لا يتخلف عن أن يتأثر بعطف الأم وحنوها ؛ لأنه إذا رأى هذه الرقيقة فى صوتها ، والخفيفة فى حركتها ، والناعمة فى تكوينها تقاسمه مخاطر الميدان بوجودها فيه أو بالقيام على خدمته فى صحته ، أو بالعناية به فى مرضه — تذكر أنه رجل قوى العضلات ، صلب الإرادة ، أعد بقوة عضلاته وصلابة إرادته للدفاع عن وطنه ومجتمعه . وفى وطنه ومجتمعه من ينتظر منه أداء دوره الخاص به فى الحياة . فى وطنه أمه ، وامرأته ، وطفله ، وأبوه الشيخ وأولو رحمه . فى وطنه ومجتمعه فوق ذلك « العلم » الذى يرمز إلى شخصية هذا الوطن . « العلم » الذى يعبر عن الهدف الذى قام أو نهض من أجله هذا المجتمع . فإذا تذكر رجولته ودوره الخاص به فى حياة مجتمعه ارتفعت معنويته وتملكه الأقدام وأصبح جنديا لا يهاب الموت لأنه سيرى فيه الحياة .

سبحانك اللهم فى خلقك ! كيف ميزت بين الرجل والمرأة ؟ وما ميزت بينهما إلا لتجمع بينهما . وما أفردت واحد منهما بطبيعته ليستغنى عن الآخر أو ليعتزله فى الحياة . ولكنك زودت كلا منهما بطاقة ليتم الوفاق بينهما، وليكون أحدهما عونا للآخر فى حياته .

وإن مجتمعا إنسانيا لا يستقيم أمره أبدا ، إذا كان مجتمع رجال فقط ، أو مجتمع نساء فقط ، أو عطلت فيه طاقة الرجل ، أو عطلت فيه طاقة المرأة . إنه عندئذ يكون غير مجتمع طبيعى . إنه عندئذ لا يكون هو المجتمع الذى أراده الله الخالق ، الذى ميز كلا من الرجل والمرأة بميزة تدفع إلى لقائهما ، وإلى الحركة معا فى طريق الحياة البشرية .

* * *

الأمومة والأسرة :

هذا الذى للمرأة بحكم أمومتها من ميادين الخدمة الاجتماعية إن بدا متفرقا فى حياة المجتمع ، فهو مجتمع فى حياة الأسرة : فى الأسرة صغير وناشئ ، وفى الأسرة مريض ، وفى الأسرة من هو فى حاجة إلى أن ينهض كما ينهض الجندى فى الميدان . فى الأسرة الولد ، وفى الأسرة المريض من الأولاد أو الزوج ، وفى الأسرة الزوج ، وهو فى حاجة - كالجندى سواء - إلى أن ينهض ويقدم فى حركته فى الحياة .

والأم لا غيرها بعطفها وحنانها ، برقة صوتها وخفة حركتها ، ونعومة تكوينها ، هى التى تستطيع أن تعين الصغير على السير والاعتدال فيه ، وتعطى الأمل للمريض فى الشفاء واجتياز أزمات المرض ، وتجعل من الزوج رجل إقدام وشجاعة فى الحياة .

إن هى قامت بدور الأمومة فى خدمة الأسرة خدمت المجتمع كله . ومن السهل عليها أن تقوم بدور الأمومة فى خدمة الأسرة لأنها أنثى وامرأة . والذى يصعب عليها أمر القيام بهذا الدور ليس هو طبيعتها . وإنما أمر خارج عما لها من طبيعة ، تميزت بالاستعداد للأمومة . قد تكون تنشئتها الأولى حرفت فيها هذه الطبيعة . وقد يكون عنادها للرجل أو تقليدها إياه قد استبد بها فكبتت ما لها من أنوثة . وبذلك ابتعدت عن أن تقوم بدور الأمومة . وهى إذ تبتعد عن أن تقوم بدور الأمومة ، لا تستطيع أن تقوم بدور الرجولة ، وإن حاولت أن تمثله لأن ذلك ضد طبيعتها الأولى . والإنسان لا يفقد خصائص طبيعته الأولى بحال ، وإن تعطل بعضها لحين بالقسر وقوة الإرادة ، أو بحكم التكوين والتنشئة فى أدوارها المختلفة .

والمرأة التى تحاكى الرجل ، والرجل الذى يحاكى المرأة كلاهما يعيش فى صراع مع نفسه . وطرفا هذا الصراع فى نفسه : الطبيعة الخاصة

مكتبتنا العربية

بواحد منهما والأسلوب فى الحياة الذى يريد أن يكره طبيعته عليه .

وكما أن تفريغ المجتمع ، أو تعطيله من المرأة أو الرجل يجعله مجتمعاً غير طبيعى وعلى الضد مما أراده الله الإنسان ـ كذلك محاولة المرأة لأن تكون رجلا ، أو محاولة الرجل ليكون امرأة أمر غير طبيعى وعلى الضد مما أراده الله للإنسان .

* * *

الأمومة والتربية :

ولكن متى يؤدى دور الأمومة خدمة للمجتمع الكبير وهو الوطن أو المجتمع الصغير وهو الأسرة ؟ .

ليس فقط فى أن يكون فى تلك الجوانب من حياة المجتمع التى تحتاج إلى عطف وحنو . وإنما مع ذلك بأن يكون ذا قيمة وعلى صلة بالهدف الذى قام من أجله المجتمع ، أو نهض لبعثه من جديد .

وعلى نحو ما تفعل « الراهبة » فى مدرسة الصغار ، وفى ملجأ اليتامى أو الأطفال غير الشرعيين ، وفى المستشفى ، وفى ميدان القتال ـ فى أنها تقوم بدورها فى أى واحد منها لتنفذ إلى رسالتها ، وهى رسالة التبشير بما آمنت به . يجب أن يكون دور الأم ـ وهى كل امرأة ـ فى مجال الأمومة فى حياة المجتمع والأسرة معا .

يجب أن تذكر الصغير برسالة المجتمع الذى يعيش فيه . ورسالة المجتمع هى التى تحقق هدفه . يجب أن توقفه على خطوط هذه الرسالة تباعا وبالتدريج . فى مجتمع ـ كمجتمعنا هذا ـ يجب أن تعرفه ما هو الإسلام ؟ وما هى القومية العربية ؟ .

يجب أن تذكر المريض بالله وبأنه محل الأمل ، وأنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون . يجب أن تثير فى الجندى حماس الاستشهاد فى سبيل الله . وسبيل الله هو سبيل الصالح العام للمجتمع .

ليست التربية زيا ، ولا غدوا ورواحا إلى مكان التعليم ، ولا نجاحا وسقوطا آخر العام ولا شهادة بإتمام الدراسة . إنما التربية تكوين عقلية وتكوين روح وخلق . أما العقلية فلكى يهتدى بها الإنسان فى حياته ، فلا يتخبط فى أحكامه وإدراكه لأحوال مجتمعه . وأما الروح والخلق فلكى يسلك فى حياته السلوك السليم ، سلوك المهذب وسلوك المضحى فى سبيل مثل مجتمعه ، لا سلوك الأنانى أو سلوك المخدوع بما فيه من واقع .

والمرأة التى تقوم بدور أمومتها فى مجالات الأمومة فى حياة المجتمع ، هى التى تقوم أولا بهذا الدور فى أسرتها الخاصة . لأنها عندئذ كمن يقيم البناء من أساسه .

الدكتور

محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

نفحات القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

جانب من العبرة فى قصة آدم عليه السلام

ا وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة !!
ب قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟؟
جـ قال : إنى أعلم مالا تعلمون !! .

تمهيد :

خلق آدم هو الومضة الأولى فى مجاهل الدنيا ، وكانت قصة آدم أول أحدوثة فى مطلع الحياة .

والقصص عن آدم ليس جديداً فى القرآن بل هو فيما اشتملت عليه الكتب السماوية ، وكتب الحديث النبوى عندنا ، وكتب التاريخ الإسلامى وغير الإسلامى .

وقد عنى القرآن فتعرض لقصة آدم فى ست وستين آية أو تزيد ، وجاءت هذه الآيات مبثوثة فى سبع سور، وتناولت من شأن آدم جوانب عدة .

ولو أن القرآن الكريم أراد بنا استيعاب هذه الجوانب كلها من طريقة خاصة لأخذ فى تفصيل أوسع مما ورد فيه ، ولكن القرآن كما عودنا نهجه فى كثير من قضاياه وقصصه يكشف لنا الغطاء عما يكون مستوراً علينا ، وينبهنا فى قصد من البيان إلى ما ينبغى أن نحيط به ، ثم يكتفى بهذا الإيجاز فى توجيهنا إلى الاستقصاء من طريق بحثنا ، وتتبع ما يصل إليه جهدنا العلمى فى تراث الأنبياء والعلماء من أهل الذكر .

وفى هذا التوجيه مسايرة لقوله تعالى ـ إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ـ ومسايرة كذلك لقوله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون

مكتبتنا العربية

وإذا كان للحديث عن آدم شعاب تطول ، فإنا نكتفى بجانب من العبرة فيه ، وهو حسبنا فيما زيد من نفحات القرآن .

١ ـ أفادتنا الآيات السابقة أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل خليفة فى الأرض ، وأن الملائكة ـ وكانوا على شعور سابق بأن آدم هو الذى سيستخلف ـ أخذهم حب الاستطلاع أن يتعرفوا وجه الأرجحية لآدم عليهم .. إذ هم المسبحون بحمد الله ، والمقدسون له . . أما آدم فليس ملكا متعبداً بل هو إنسان فيه ما فيه من طباع الشر ، فسيكون له فى الأرض فساد ، وسفك للدماء ، فكيف يختار دونهم ، وكأنهم حسبوا أن الخلافة مسألة روحانية ، لمجرد العبادة ، لا لشىء آخر ، فهم يستفهمون عن المرجح لآدم ، وهو دون مستواهم عبادة : لا مباهاة بأنفسهم ، ولا تدخلا فى فعل الله ـ فكان الجواب إجمالا فى قوله تعالى ـ إنى أعلم ما لا تعلمون ـ .

وقد كان فضلا من الله على الملائكة أن يخبرهم بشأن اقتضته حكمته ، وفى هذا توجيه لنا إلى سياسة رشيدة فى مجتمعنا : وهى مكاشفة الأعلى لمن هو دونه بما يفيده العلم به ، إذ لم يكن هذا النبأ استشاريا للملائكة ، ولا استعانة بهم ، ولا وفاء لهم بحق عند الله فيما يريد أن يفعله بملكه ، وهو لا يسأل عما يفعل .

بل كان ـ أولا ـ محض تلطف من جانبه ليشعر ملائكته أنه يكرمهم حين يفضى إليهم بما يريده ، ولعل هذا من مظاهر السمو حين يرى صاحب السلطان أن يطمئن المقربين إليه على مكانتهم عنده ، فيزيدهم ذلك عرفانا لفضله ، وشكراً على تلطفه معهم .

وكان هذا النبأ ـ ثانياً ـ سبقا إلى وضع معالم الهداية فى طريق الإنسان ، قبل أن يأخذ الإنسان طريقه فى دنياه ، فإذا برز الإنسان من أفقه المحدود فى عالم الغيب إلى أفقه الفسيح المهيأ لحياته ، ولحركاته وسكناته استطاع أن يقتبس لنفسه مما صنع الله مع ملائكته ، وأدرك أن الله قد بذر لعباده بذور المعرفة ، وعليهم أن يفضى بعضهم إلى بعض بما يعنيهم من شأن ، وأن يجعلوا تدبيرهم جماعياً لا فردياً ، واستشارياً ، لا استبدادياً ، كما أفصحت عن ذلك الشرائع بعد .

وشاهد العبرة واضح فيما صنع الله ، فإذا لم يكن هذا الذى قررناه مستفاداً من صنيع الله ، فماذا يكون القصد الذى نلتمسه من إخبار الله للملائكة ؟ .

أيكون مجرد خبر لا غير ؟ ذلك بعيد !

وكان من مظاهر السمو والتلطف ـ مرة ثالثة ـ أن يتقبل الله استفهام الملائكة ، ويجيبهم إجمالا بأنه يعلم ما لا يعلمون .

مكتبتنا العربية

فلم ينتقم عليهم أن يسألوه ، ولم يبخل عليهم بالتنبيه إجمالا على أن لديه حكمة يعلمها وحده

ومن هذا فطن الملائكة إلى أن الأمر فوق تقديرهم ، فازدادوا طمأنينة إلى صنع الله وأيقنوا أن فى آدم صلاحية للخلافة ليست فيهم .

ومن هذه الفقرة فى القصة نستفيد أن توجيه الاستفهام من الأدنى إلى الأعلى رغبة فى العلم ليس تطاولا ، ولا مساس فيه بأحد الجانبين .

وأن الاقتصاد فى السؤال مع الأعاظم ضرب من الأدب الكريم كما تأدب الملائكة مع الله عز شأنه ، وفى التأسى بهم كمال وفلاح .

ثم يتجه التدبير الإلهى نحو الإعراب عن مقام آدم ، وكرامته على ربه ، فيخلق الله فى آدم علما بأسماء الكائنات من سموات ، وأرض ، وشمس ، وقمر ، وحيوان ، ونبات ، وهواء ، ونور ، وظلمة ، وجبال ، وبحار ، ونحو هذا مما يلابس أهل الدنيا ، ويحتاج المقيم فيها إلى معرفته ، ليستطيع مزاولة الحياة فيها ، وبخاصة من يكون خليفة يقيم العدل ، ويدفع الظلم ، وينهض بتدبير الأمر فى مجتمعه .

علم الله آدم أسماء تلك المسميات تكميلا له ، ورفعا لشأنه ، ثم طرحت من جانب الله مناظرة علمية بين الملائكة ليذكروا أسماء هذه الكائنات إن كانوا أهلا - أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين - وكان هذا أمر تعجيز لا تكليف ، وكيف يكلفون بما لا يعرفونه ؟ ؟ وإنما هو ترفق حكيم فى إشعارهم بفضل آدم ، وبيان استعداده لما لم يكن فيهم استعداد له من معارف وتدبيرات تتصل بالعالم الأرضى .

فلم يسعهم إلا الاعتذار بقولهم : «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»

ثم أجاب آدم عما عجزوا عنه ، ونهضت له الحجة ، وثبتت له المكانة المرموقة عند الملائكة .

وتبينت لهم الحكمة التى كانوا يتوقون إلى معرفتها من قبل ، وهى صلاحية آدم لأمر لا يلائمهم ، ولا تتهيأ له فطرتهم .

وحينئذ سجل الله على الملائكة تكريم آدم ، فأمرهم بالسجود له : سجود تعظيم لا سجود عبادة ، وسجودا فى صورة ما ، لا سجودا على الجباه كما نسجد نحن ! ! .

فإن ذلك لم يشرع إلا عبادة لله وحده .

وما كان آدم فى قدره بالغا ما بلغ إلا بفضل ما منحه الله من علم نافع وعندى - غير مبالغ - أن هذه الحفاوة بآدم لعلمه تعتبر إيذانا بعيد العلم الذى أخذنا به أخيرا ... وأى شىء أجدر بالتكريم من العلم ؟ ؟ .

وكيف يكرم العلم فى شخص آدم بالسجود له

مكتبتنا العربية

من الملائكة بين يدى الله وفى الجنة ، ثم لا يكون ذلك عيدا مستحبا عندنا .

وإذا كان علم آدم تعريفا بمسميات وأسمائها وليس خصوص أمور روحانية ، فلنا أن نعتبر العلم كله قبسا من فيض الله ، وأن المشاهد الذى ندركه من طريق الحس لم يكن متاحا إلا بمعونة الله وهديه ، وعلى هذا يستوى فى مفهوم العلم ما يكون للدين أو للدنيا ولو أن علم الدين أحب إلى الله ، وأقرب مثوبة ، وأعم نفعا .

فعيد العلم بوجه عام لا يحبس على نوع دون نوع وإن تفاوتت قيم العلوم .

غير أن العلم ـ وهو كما عرفنا من غراس الجنة ، وإشراقة من إشراقات الله فيها ... وأول نفحة من نفحاته وأعياده كانت فى رياضها لا يليق بشأنه ، ولا بالإنسان الذى كرمه ربه بالعلم وأسجد الملائكة له من أجل العلم أن يضار أحد به .

بل يكون المرء ماجدا بالعلم فى نفسه وبين الناس ، ونافعا لنفسه وللناس .

ومن آفة العلم أن يسخر فى غير أهدافه ، أو يكون مضيعا بين أهله ، فربما كان ساعتئذ كالخمر : إثمه أكبر من نفعه .

ومع ما تم من تكريم آدم بالسجود له أبى الله إلا أن يكون للعلم خصوم لا يدينون به وأن يكون لآدم حاقد لا يسجد له ، وأن يكون من وراء هذه القصة الرحيمة قصة أخرى شقيت بها الإنسانية ، وعاشت فى مرارتها ، ولن تخمد نارها إلا إذا خلت الأرض من سكانها .

وتلك القصة هى تمرد إبليس ، وعدم سجوده لآدم كما سجد الملائكة ، ووقوفه من الله موقف الجدل .

وقد انفردت سورة البقرة بذكر الجانب الأول المتعلق بخلق آدم ، وتعليمه ، وإقناع الملائكة بمكانته ، وبالسجود له .

ثم جاء الاستثناء لإخراج إبليس من الساجدين ، ووصفه بأقبح صفات ثلاث : إلا إبليس ، أبى ، واستكبر ، وكان من الكافرين .

ومع أن هذه القصة وردت فى خمس سور أخرى سوى البقرة ، فكلها تكتفى بالجانب السلبى المتعلق بتمرد إبليس ، وتقبيحه ، وطرده ، وتحذيرنا منه ، ومن ذريته وجنوده ، لأن جانب الحذر من إبليس ، والتخويف منه ، والحث على مخالفته أشد اتصالا بنا ، وأهم عناية به ، فأطبقت السور كلها على ترديد هذا الجانب الخطير فى حياتنا ، وإشعارنا بوجوب الحيطة له : دون حاجة إلى تكرار صدر القصة وما فيها من حوار مع الملائكة وأنت ترى فى سورة الأعراف ـ مثلا ـ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس

مكتبتنا العربية

لم يكن من الساجدين - وترى فى آية أخرى بسورة الحجر - إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين - وفى سورة الكهف - فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه - وفى سورة طه - فسجدوا إلا إبليس أبى - وفى سورة ص - فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين .

فى هذه المواطن كلها ترديد لامتناع إبليس وأنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه وتقبيح له بالاستكبار والإباء والكفر وفى كل موطن سئل فيه إبليس عن سبب امتناعه لم يكن له من معذرة يتعلل بها : غير أنه كان مخلوقا من النار ، وأن آدم من طين .

وليس هذا بجواب ، وإنما هو إمعان فى السفه ، وشطط فى العناد والتبجح ولم يكن أزكى من الملائكة ولا مثلهم . حتى يستكبر عما لم يستكبروا عليه ، فهم من نور صاف ، وهو من مارج تختلط ناره بدخانه ، فليس له من وجه فى الحجاج ، وإنما هى شقوة غلبت عليه ، وغضب أحاط به .

ومن هذا التشبث بالجدل الذى عابه الله على إبليس ، وكرره بأسلوب التشنيع وقرنه باللعنة والمهانة يمكن أن ندرك معابة الجدل والمشادة فى النقاش ، والركون إلى الغلبة فى عنف وبذاءة ، ومما ورد فى كراهية الجدل قول النبى صلوات الله عليه (أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء ولو كان حقا) .

وهنا موقف بين الآيات يحتاج إلى شىء من التمحيص فالقرآن يقول فى كل آيات القصة فسجدوا إلا إبليس ، أو فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وهكذا مما يفيد أنه من الملائكة ، ثم يقول القرآن فى آية أخرى — إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه — وهذا يفيد أنه من الجن : لا من الملائكة . . وإبليس نفسه يقول — خلقتنى من نار ، وخلقته من طين فهذا قاطع بأنه من الجن والجن من النار لا جرم — والله يقول : والجان خلقناه من قبل من نار السموم — فكيف يطلق على إبليس أنه من الملائكة .

تكلف العلماء فى تحقيق هذا كلا ما كثيراً وأيسره قبولا أنه يذكر مع الملائكة تبعا لا استقلالا فقد كان يعيش فى زمرتهم ويحاكيهم فى أعمالهم ، وبهذا تلقى الأمر بالسجود معهم ، فكان حريا به أن يستجيب .

ونحن نرى من شاهد أحوالنا أن المقيم فى أهل بلد يتابعهم فيما يطلب إليهم ، وأنه ما دام يعاشرهم ويساكنهم كواحد منهم فهو مسئول عما يسألون عنه ، وإلا كان شذوذه عنهم مجلبة لما لا يرضاه . فكيف إذا كان شذوذا مقصودا يتشبث به ؟ .

لهذا كان من عدل الله فى جزائه ، ومن حكمته فى قضائه أن يطرد إبليس بعيداً

مكتبتنا العربية

عن الملائكة ، وأن يبادره بقوله — فاهبط منها — من الجنة — فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين — وكان كذلك من العدل فى الجزاء والحكمة فى القضاء أن يسجل عليه اللعنة إلى يوم الدين — يوم القيامة .

وكان من رحمة الله بعباده أن يحذر آدم وزوجه من عدوهما هذا وأن يحذرنا نحن من عداوته لنا ، وفتنته إيانا ، حتى لا نقع فى شراكه كما أخرج أبوينا من الجنة .

وقد حدثنا الكتاب العزيز فى آيات القصة وفى مواطن غيرها أن الشيطان لا يفتر نشاطه فى إفسادنا ، وأنه وقد يئس من رحمة الله له أعلن أمام الله فى سفه وتبجح أنه ليفتنن أبناء آدم أجمعين إلا عباد الله المخلصين .

وحدثنا الكتاب العزيز أن الله سيعصم من اعتصم بربه إلا الغاوين من أرباب الهوى والفساد ، وأنصار الضلال .

وعلمنا الكتاب العزيز أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كلما خشينا من غواية الشيطان — « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » — والامر لا يكلفنا عند مخالجة الشيطان ، بل وفى كل حال غير استعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وحينئذ يندحر الشيطان ويخفت نشاطه ، وقد صدق الله فى وعده لنا برعايته « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون » — .

هذا وقد اكتفينا من القصة بما ذكرنا . ولها جوانب أخرى فسيحة كما أسلفنا . والله يهدينا به إلى خير مايحبه من عمل خالص ؟ .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء
وأستاذ فى كلية الشريعة

الهمة العالية [من الشعر الجيد]

ليس التعلل بالآمال من أربى ... ولا القناعة بالإقلال من شيمى
وما أظن بنات الدهر تتركنى ... حتى تسد عليها طرقها همى
سيصحب النصل منى مثل مضربه ... وينجلى خبرى عن صمة الصمم

مكتبتنا العربية

مُثُل عُليا إسْلاميّة عَربيّة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٥ - فى العلاقات الدولية (تتمة)

فى كل حرب يكون أسرى، فكيف يعامل الإسلام هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم ووقعوا فى الأسر أثناء الحرب أو بعدها ؟ كيف يعاملهم ، بخاصة بعد أن تضع الحرب أوزارها ، وقد استقر بهم الأمر فى الأسر لا حول لهم ولا قوة ، وهم لا ينتظرون إلا القتل جزاء ما فعلوا بالمسلمين من كيد وقتال وأذى كبير ؟ .

إن الله اللطيف الخبير بالنفوس الإنسانية، وبما ينتابها أحيانا من الضعف الذى يضل بها عن الطريق المستقيم ، يطلب منا أن نرحم هذا الضعف ، وأن نطلب له الطب والشفاء بالخير والحسنى لا بالإعنات الذى ينتهى غالبا إلى العناد ، والضلال الذى لا هدى يعقبه بحال .

ومن ثم ، نجد الإسلام يضرب أروع الأمثال فى معاملة الأسرى معاملة إنسانية، إن ما أثر عنه فى هذه الناحية لا يعرف التاريخ ما يقرب منه فى أى دين آخر ، ولا فى أى قانون أو نظام وضعى فى قديم الزمن وحديثه حتى هذه الأيام ، أيام المدنية الحديثة كما يزعمون !.

وقد وضع القرآن الكريم الأساس الأول فيما يجب أن تكون عليه معاملة الأسرى ، ثم جاءت السنة النبوية بعد هذا بالتفصيل ، وصار هذا وذاك أمرا متبعا وقواعد ملزمة يجب أن تحكم هذه الحالة التى تتخلف عادة عن الحروب ، وذلك تخفيفا من ويلاتها التى تصيب الجميع ، الغالب والمغلوب كما هو مشاهد ومحسوس .

يقول الله تعالى فى سورة محمد عليه السلام: « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء، حتى تضع الحرب أوزارها ».

وبهذا النص القرآنى صار ولى الأمر له الخيار بين أمرين فيما يختص بالأسرى : إما أن يمن عليهم ، أو على من يشاء منهم ، ويخلى سبيلهم دون أى عوض، أى لوجه الله تعالى وحده ؛ وإما أن يكون إطلاقهم وتخلية سبيلهم نظير فدية ينتفع بها المسلمون ،

مكتبتنا العربية

وليكون هذا فيه شيء من التعويض والجزاء بما فعلوه .

ولذلك ذهب كثير من الفقهاء ورجال العلم والتفسير إلى كراهة قتل الأسير [١] ، ومن هؤلاء عطاء والحسن وابن عمر وكثير آخرون غيرهم .

جاء في كتاب أحكام القرآن للإمام الرازي الجصاص ، عن الحسن أنه كره قتل الأسير ، وقال : من عليه أو فاده [٢] . وجاء فيه أيضا أن رجلا سأل الحسن عما يصنع بالأسير ، فقال : يصنع به ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسارى بدر ؛ يمن عليه ، أو يفادى به .

وروى عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من عظماء « اصطخر » ليقتله ، فأبى أن يقتله ، وتلا قول الله تعالى : « فإمّا مَنًّا بَعدُ ، وإما فداء » .

* * *

على أن من الفقهاء من أجاز لولي الأمر قتل الأسير ، وذلك بالرجوع إلى القرآن وإلى فعل الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم . ففي القرآن قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، وقوله في سورة التوبة : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثخِنَ في الأرض » الآية . .

وهذه الآية الثانية نزلت في أسارى « بدر » حين مال الرسول إلى رأى سيدنا أبي بكر وأخذ به ، ولم يرض بقول سيدنا عمر الذي أشار بقتلهم ، وكان أن أطلق الرسول الأسرى نظير الفدية التي أخذها المسلمون ، ولكن القرآن نزل مبينا أن القتل كان هو الرأى الصحيح الذي ينبغي الأخذ به .

وأما السنة ، فإن من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قتل يوم « بدر » عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، بعد الأسر كما قتل يوم « أحد » أبا عزّة الشاعر بعد أن صار في الأسر .

وكذلك كان الأمر في بني قريظة ، بعد أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فصاروا بذلك في حكم الأسرى ، فقد حكم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية ، وكذلك كان .

وهكذا نرى رأيين متعارضين في بادئ الرأى ، ولكل منهما سنده من الكتاب والسنة وأنصاره من رجال التفسير والفقه .

ولكن ينبغي أن نفرق بين حالين مختلفين وبذا يزول التعارض : حال غزوة بدر وأمثالها وما كان فيها من ضراوة المشركين وفجورهم وإمعانهم في الشر والاعتداء ،

---

(١) ينبغي أن نلاحظ أن الكراهة في ذلك الزمن كانت تطلق على التحريم ، ويشهد بذلك كثير من النصوص الفقهية عن الشافعي ومالك وغيرهم .

(٢) ج ٣ : ٤٨١ ، المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٧ .

مكتبتنا العربية

وخروج صناديدهم وقادتهم للقضاء على الإسلام والمسلمين .

وتلك حال شاذة يجب أن يكون لها حكم يناسبها ، وهو عدم المن على الأسرى ، وبذلك يكونون عبرة لغيرهم . وتتمكن هيبة المسلمين ورهبتهم فى قلوب الأعداء الذين لا يصلح معهم العفو ، بل الخير أخذهم بالشدة والعقاب الغليظ .

وبجانب هذا الحال الشاذ ، الأحوال الأخرى العادية ، فهنا لا يكون القتل هو الواجب ، بل المن والعفو أو الفداء لعل الله يميل بهم إلى الإسلام ، ويكون منهم حماة وناشرون له فيما بعد .

* * *

ومهما يكن من جواز قتل الأسير أو كراهته فإن الإسلام يوصى بمعاملته معاملة تليق به باعتباره إنسانا ، كذلك كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فى زمنه ، وكذلك ينبغى أن يفعل المسلمون فى كل زمان .

حدث أن وقع ثمامة بن أثال أسيرا بين أيدى المسلمين ، وكان سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإكرامه ، وذلك بقوله : « أحسنوا إساره » ، فكانوا يقدمون له لبن ناقة الرسول غدوا ورواحا ، وبهذا كان على خير حال يكون لأسير .

وكان من أمره أن النبى خرج إليه وقال له: « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » ، قال : عندى يا محمد خير ! إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ! وإن كنت تريد المال ، فسل تعط منه ما شئت .

فتركه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد ، فخرج إليه كالمرة الأولى وقال : « ماعندك يا ثمامة » ؟ قال : عندى ما قلت لك فقال: « أطلقوا ثمامة » ، فأطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، يا محمد ! والله ما كان على الأرض أبغض إلىّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إلىّ . والله ما كان دين أبغض إلىّ من دينك ، فأصبح دينك أحبّ الدين كله إلىّ ! وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله وأمره أن يعتمر .

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ أى ملت إلى الإسلام ، فقال : لا ، ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا تأتيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزاد ابن هشام على هذا أنه خرج فيما بعد إلى اليمامة فمنع أهلها أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتب المشركون إلى النبى يذكرونه بما يأمر به من صلة الرحم ، فكان أن كتب إلى

مكتبتنا العربية

ثمامة أن يخلى بين أهل مكة وما يريدون من حمل الحنطه إليهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يعنى عناية خاصة بالنساء ، ويجاملهن ويترفق بهن غاية الرفق . حدث أن وقعت ابنة حاتم الطائى (أحد من ضرب بهم المثل فى الكرم) فى أيدى المسلمين ، فأنزلوها بمكان يراها فيه الرسول إذا مر به ، فتعرضت له وقالت : هلك الولد ، وغاب الرافد (تعنى أخاها عديا) ، فامنن منّ الله عليك . فقال لها :

« قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك » .

فأقامت بين المسلمين حتى أتاها ركب من قومها وعزمت على الرجوع معهم ، فكساها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعطاها ما يلزمها من النفقة ، فخرجت معهم مكرمة ، وعادت إلى بلدها وقومها .

* * *

هذا عن المن بلا عوض وأثره الطيب فيمن يُمَنُّ عليه . وفى الفداء بعوض كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرعى العدل دائما شأنه فى كل عمل يأتيه ، فلا يفرق فى هذا بين قريب أو حميم أو غيرهم .

روى الإمام القرطبى فى كتابه « الجامع لأحكام القرآن » (١) ، عن ابن إسحاق ، أن العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أسرى يوم « بدر » . وقد بعثت قريش إلى الرسول فى فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا .

أما العباس فقال : يارسول الله إنى كنت مسلما ، فقال الرسول : « الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك وابنى أخويك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب ، وحليفك عتبة بن عمر أخا بنى الحارث بن فهر » .

فقال العباس : ماذاك عندى يا رسول الله قال : « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل (وهى امرأة العباس) فقلت لها : إن أصبت فى سفرى هذا ، فهذا المال لبنى الفضل وعبد الله وقثم ؟ .

فقال أيا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا لشىء ما علمه غيرى وغير أم الفضل » . ثم فدى نفسه وبنى أخويه وحليفه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه ، وكان فداؤه مائة أوقية من ذهب ، وكان هذا أكبر فداء لأنه كان رجلا موسراً .

وعن ابن شهاب أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إئذن لنا فلنترك

(١) جـ ٨ : ٥٢ ـ ٥٣ .

لابن أختنا عباس فداءه ، فقال : « والله لاتذرون درهما »، بل قال : « أضعفوا الفداء على العباس » ، فأخذ منه المبلغ الذى ذكرناه على حين كان فداء كل واحد من الأسارى أربعين أوقية لاغير .

* * *

وبعد ! ما أكبر الفرق بين حكم الإسلام فى الأسرى ، وما وصى به رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم من معاملتهم برفق وإحسان وإكرام مما كان له أثر كبير طيب فيما بعد ، وبين ما نعرفه اليوم من معاملة الأسرى من الدول الغربية المتمدنة كما تزعم .

لقد رأينا بأنفسنا سنة ١٩٤٥ بأوربا نفسها عند سفرنا إليها كيف كانت فرنسا تعامل الأسرى الألمان ، إنها كانت تعتبرهم بمنزلة الحيوانات التى لاتحس ولا تشعر بكرامة أو إهانة تنزل بها ، وكانت تسومهم سوء العذاب ، وتنزلهم منزلة الهوان فى كل شىء .

إنهم كانوا يعاملونهم على أنهم أرقاء ملكوا رقابهم ، أو يسخرونهم فى الأعمال الشاقة التى لا يقوم بها عادة إلا الحيوان . وكانوا يتعمدون أن يشعروهم بالذل والهوان ، حتى لقد رأيت بنفسى أن الفرنسى الذى كان يحادث الأسير الألمانى ، كما يحادث الإنسان الإنسان كان يعتبر خائنا ويستحق العقاب ! .

ورأيت مثل ذلك ، أنا وكثير من إخوانى وزملائى ، بألمانيا بالمنطقة التى ابتليت منها بالاحتلال الأمريكى ، فقد كان الألمان فى هذه المنطقة وغيرها أذلاء حقا بكل معنى الكلمة ، وذلك إلى درجة أن كان اليأس يتمكن من قلوبهم أن يعودوا من بنى الإنسان كما كانوا من قبل .

من هذه المقارنة السريعة ، فى هذه الناحية وحدها فضلا عن النواحى الأخرى ، يتبين لنا بوضوح كيف يفهم الغربيون الحضارة وكيف يطبقونها فعلا فى حالة السلم والحرب وما هى تعاليم الإسلام العادلة وشرائعه الرحيمة ، وكيف فهمها رجاله الأمجاد وكيف يطبقونها فى كل زمان .

إن الإسلام وسير رجاله فى حالة السلم والحرب ، يظهر لنا ولكل منصف من غير المسلمين أنه الدين الحق العادل الرحيم ، وأنه الدين الذى يصلح للناس جميعا فى كل مكان وزمان .

وقد كان لتطبيق رجالاته تعاليمه وآدابه وتقاليده الطيبة أكبر الأثر على الغربيين غير المسلمين ، حتى لقد دخل الكثير منهم فيه وجعلوه دينا لهم ، وذلك من غير تبشير به من جانبنا .

هدانا الله للخير دائما ، وجعلنا بسيرتنا وأعمالنا من المبشرين بالإسلام الداعين له ، والله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم ؟

دكتور محمد يوسف موسى
مستشار وزارة الأوقاف للشئون الدينية والثقافية

مكتبتنا العربية

الكرامة والعزة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

(ب) العـــزة

— ١ —

« العزة » حالة يشعر معها صاحبها بأنه قوى منيع لا يسهل قهره واهتضامه والتغلب عليه .

وهذا الشعور الذى تنبعث عنه « العزة » قد يكون شعوراً صادقا له ما يبرره من واقع صاحبه ، وقد يكون شعوراً كاذبا منشؤه الغرور أو الجهل وعدم إدراك الواقع الصحيح للأشياء .

ولذلك تختلف « العزة » فتكون تارة ممدوحة ، وتارة مذمومة ، فإذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن صفات وأحوال واقعية تثمرها وتؤدى إليها ، وتجعل صاحبها متسلحا بها أمام القوى المضادة له ، قادرا بها على أن يقاوم ويناضل ويغلب ويتفوق ، فإن العزة حينئذ تكون حقيقية . أما إذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن غرور أو عدم تقدير للأمور ، ولم يكن لصاحبه من الصفات القوية ما يجعله منيعاً مصونا ؛ فإن العزة حينئذ تكون وهمية مصطنعة ، ولا يكون لها بقاء .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذين النوعين المختلفين من العزة فى كثير من آياته ، فيعتبر العزة الأولى هى القوة بالإيمان والاستقامة على الطريقة المثلى فى كل شىء ، ويعتبر الثانية هى العزة بالإثم أو الكفر أو الالتواء عن الصراط المستقيم ، أو الجهل وفساد التصور .

يقول الله تعالى :

١ — « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور » .

وهذه الآية تقرر أن من كان يريد أن يكتسب العزة ويتحقق له معناها الدائم الحقيقى ، فليلتمس ذلك وليكتسبه من الله . فإن العزة لله كلها ، والتماسها من الله إنما هو بالسير على ما رسم ، وتوخى طاعته ورضاه والنزول

مكتبتنا العربية

على حكمه ، والله تعالى لم يشرع لعباده إلا الخير والأعمال الصالحة المثمرة للصلاح والقوة سواء أكانت أعمالا شخصية أم أعمالا جماعية أو اجتماعية ، كما أنه عز وجل لم يمنع عباده من فعل شيء إلا إذا كان هذا الفعل منافيا للخير والرشد ومن شأنه أن ينزل بالإنسان عن المستوى اللائق بكرامته فى شخصه أو مجتمعة أو فيهما معا فإذا ترسم المرء ذلك فيما يأتيه من الأمر وفيما يتركه كان ملتمساً لأسباب العزة الحقيقية من حيث تلتمس فى الواقع ، وكان حرياً بأن يصيب هذه الأسباب وبأن ينال بها ما يطلب من العزة التى هى القوة والمنعة والامتياز والأفضلية ، فتكون عزته ثابتة قائمة على أصول سليمة ، مستقرة غير قابلة للتزلزل أو التحول .

وقد أتبع الله تقرير هذه الحقيقة بتقرير حقيقة أخرى توضحها وتبين سرها ، فعرفنا أن ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل ، إما أن يكون طيبا صالحا ، فهذا هو الذى يصعد إلى الله ، وإما أن يكون عملا خبيثا ، ومكرا سيئا ، فهو لا يرتفع ولكن يرد فيبور ولا ينال صاحبه منه إلا العذاب والوبال .

ومعنى صعود القول الطيب إلى الله ، وارتفاع العمل الصالح ، هو تحقق الغاية ، وحصول الثمرة ، ونجاح القصد . ومعنى بوار المكر والتدبير السيء هو عدم وصول ذلك إلى الغاية المرجوة منه ، فهو لا بد فاشل ضائع مهدر لا ثمرة له ولا انتفاع لصاحبه به .

وإذا فالعزة لها مصدر واحد ، هو ترسم ما رسم الله ، ولست أقصد بمجرد التزام الأوامر واجتناب النواهى فيما شرع الله من عبادات ، ولكن أقصد مع ذلك التزام المنهج الإلهى الذى رسمه الله فى احتفاظ الإنسان بكرامته ، وفى سعيه لاداء واجبه والقيام بنصيبه من الخلافة فى الأرض ، وفى ترفعه عن كل ما يهبط به عن تلك المنزلة الشريفة ، أو يلتوى به عن ذلك الصراط المستقيم .

٢ - « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » .

والمتبادر فى هذه الآية أن المقصود هم آلهة الشرك والوثنية التى يتخذها أهل الكفر اعتقادا بأنها تمنعهم يوم القيامة وتدرأ عنهم العذاب ، فيكونون بها ذوى عزة ومنعة ونجاة وأن الله تعالى يرد عليهم بأن ذلك لن يكون ، وإنما الذى يكون هو عكسه ، فهذه الآلهة ستنكر عبادتهم ، وتكفر بها أى تجحدها وتتبرأ منها وتكون عليهم ضدا ، فهم قد التمسوا العزة والمنعة من غير مصدرها فانتهى أمرهم إلى عكس ما التمسوا ، فذلوا بما به استعزوا .

مكتبتنا العربية

هذا هو المتبادر ، و و الذى يشرح به الآية فعلا كثير من أعلام المفسرين .

ولكننا لا نجد مانعاً من أن نتوسع فى معنى الآلهة التى يتخذها الناس من دون الله ، وألا نقصرها على آلهة الأحجار أو الأشجار ، أو الكواكب أو غيرها من آلهة الوثنية الحجرية أو الجمادية ، فإن الناس يتخذون آلهة أخرى من دون الله غير هذه الآلهة ، ويلتمسون بها العز ، فهم يتخذون الرؤساء آلهة معبودة ، ينزلون على حكمها ولو تعارضت مع حكم الله ، ويتخذون المال إلها معبوداً ، ويتخذون الأهواء والشهوات ويتخذون الجاه ، ويتخذون غير ذلك من الشئون العاجلة مؤثرين إياها على الآجلة ، يريدون بذلك العز والقوة والمنعة ، ويحسبون أنهم واصلون إليها . وربما اغتروا بأوائل الحال ، والله تعالى يذكر فى هذا المقام بسنته فى خلقه ، ويقول إن هذا اللون من التماس العزة والعلو باطل غير مؤد إلى المقصود منه ، بل هو مؤد إلى عكس هذا المقصود ، فإن هذا ما هو إلا التواء عن الطريق المستقيم ، وما هو إلا نزول عن مستوى المثل الرفيعة ، والغايات الشريفة ، وما هو إلا تزوير لعوامل العلو والعزة والمنعة لا بد أن يكشف ، ولا يلبث أن يفتضح أمره ، ويسقط صاحبه .

٣ ـ « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعاً » .

وهذه الآية أصرح فى المعنى الذى ذكرناه آنفاً فهى تذكر فريقاً من الناس يلتمسون العزة من غير وجوهها الصحيحة ، فيخرجون على « الكرامة الإنسانية » التى ينبغى لهم أن يحتفظوا بها ، حيث يرضون بأن يوالوا أهل الفساد وأهل الباطل المعبر عنهم « بالكافرين » دون أهل الحق والصلاح المعبر عنهم « بالمؤمنين » ، فليس من شأن الكريم الذى يعرف حق كرامته ، ونعمة الله فيها عليه ، أن يوالى الشر من دون الخير ، وأن يوالى الفساد من دون الصلاح ، وأن يوالى الباطل من دون الحق ، ذلك ما عبرت عنه الآية بقولها : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ثم تساءلت عن البواعث الخفية التى تبعث مثل هؤلاء إلى هذا الالتواء عن الفطرة ، وعن الكرامة ، وعن المنطق الطبيعى الذى تستوى فيه العقول كلها ، تساءلت عن ذلك فى عبارة واضحة فاضحة تساؤلا كاشفاً واصفاً : علمنا منه أنهم إنما يبتغون عندهم العزة يريدون أن يتخذوا لديهم أيادى تنفعهم وتشفع لهم ولو على حساب الحق والخير والصلاح ، وما دروا أن ذلك سعى غير حميد ، وقصد لا يمكن أن يصل

بصاحبه إلى ما يريد ، فإن العزة كلها إنما هى لله ، وليس اتخاذ الأولياء من المبطلين والمفسدين من الله فى شىء فإن الله هو الحق المبين ، وأن الله لا يحب المفسدين .

ونحن ـ معاشر الشرقيين ـ قد ابتلينا بهذا النوع من الذين يبتغون العزة من غير سبيلها ويرجون أن يقتنصوها من غير ميدانها ، أو أن يستطلعوها من غير أفقها ، ابتلينا بهذا النوع من المواطنين: كانوا يوالون أعداءنا ، ويصانعون الغاصبين لحقوقنا العاملين على كل ما فيه ذلنا وموتنا ، وإذا كان بعض المؤمنين منا قد عرف هؤلاء فى بلد أو غيره من بلاد الإسلام ، ونادوا فى أقوامهم محذرين ، فإن خطرهم ما يزال ماثلا فى الشعوب والدول ، وإن علينا جميعا أن نفتح عيوننا لكى نراهم ونحذرهم ونحذر منهم ، كما حذر الله من أمثالهم سلفنا الصالحين الأولين .

٤ ـ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

وهذه الآية تتحدث عن نوع آخر من المنافقين المرجفين الذين يغترون بظواهر العزة الكاذبة ، من الأغراض التى ليس لها بقاء ، وليس لها أمام الإيمان والثقة قوة ولا احتمال .

فهؤلاء ، المنافقون يرجفون على المؤمنين ويريدون أن يفتّوا فى عضدهم ، ويقوضوا تكتلهم واجتماعهم على مقاومة الباطل ، ويريدون فى الوقت نفسه أن يقووا روح الباطل والشرك ، وأن ينفثوا فى روع الكافرين المقاومين لدعوة الحق طمأنينة وثقة ، فهم يلوحون بكثرة المبطلين ومظاهر عزتهم ونفوذهم ، وأن ذلك سيكون وبالا على المقاومين المناضلين ، لما هم فيه من القلة وضعف النفوذ ، فلذلك يتوقعون أن يخرج من المدينة أقل الفريقين عددا ، وأضعفهم مددا ، وأهونهم منعة وقوة ، ـ يريدون بذلك المؤمنين ـ والله تعالى لا يرد عليهم ظاهر قولهم ، ولكن يقرهم عليه ، والذين سيخرجون من المدينة هم الأذلون حقا ، والذين سيخرجونهم هم الأعزاء حقا ، ولكن العزة ليست فى هذا الأفق الذى يتطلع إليه المنافقون ، وإنما هى فى أفق آخر ، هو أفق الإيمان والحق « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، لأنهم انخدعوا بما يبدو من المظاهر البراقة ، والعناوين الخادعة ، وما دروا أن الإيمان حصن منيع إذا تحصن به صاحبه أمن وغلب ، وما دروا أن الله هو العزيز ، وأن الله هو الغلاب القاهر ، وأن رسوله هو المؤيد ، لأنه هو الداعى إلى الحق ،

مكتبتنا العربية

والمدافع عن الحق « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

٥ — « ص . والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » يذكر الله تعالى فى مطلع هذه السورة الكريمة المانع الذى منع من الانتفاع بالقرآن الكريم وتصديقه ، وهذا المانع هو ما فيه هؤلاء الكفار من « عزة وشقاق » فالعزة فى هذا المقام هى التمنع والتعزز . والاستكبار عن قبول الحق والإذعان له . والشقاق : المشاقة والمخالفة وكونك فى شق غير شق صاحبك ، وكثير من الناس يأتيهم الفساد ، ويقعون فى الباطل من جهة الاستكبار عن قبول الحق والمشاقة فيه ، والمناهضة له ، وهؤلاء يظنون أن الرضوخ ضعف وذل ولو كان للحق وما استبان من الهدى ، مع أن الرجوع إلى الحق فضيلة والنزول على حكمه حكمة ورشد ، ولذلك تراهم يصرون على ما يرون فى عناد وتصميم مهما تبين لهم أنه خطأ أو ضلال ، يبتغون بذلك موقف الرجولة أو البطولة ، ويرونه عزا ومنعة وقوة .

والحقيقة أن من أكبر مظاهر القوة المقدرة على قبول الحق بعد ما تبين ، وأن المرء لا يكون قويا حقيقة إلا إذا كان قويا أمام نفسه وهواه كما هو قوى أمام غيره ، وأن النزول على مقتضى الحق ليس ذلا وإنما هو العز كل العز ، وإذاً فهؤلاء الكافرون ليسوا أعزاء فى الحقيقة ، وإنما هم فى عزة مزورة ، وشقاق باطل .

٦ — وقد وصف الله بعض الناس بقوله « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » وقابل بينهم وبين عباد آخرين بقوله « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » .

وهما صورتان متقابلتان : إحداهما صورة الرجل المستكبر المتعنت الذى يرى نفسه فوق الناس ، وفوق الحق ، ويرى أنه أرفع وأكبر من أن ينبه إلى خطأ ، ومن أن يوجه إلى خير وصلاح ، فإذا نصحه ناصح ازور عنه مغضبا ، وولى مستكبرا ، وغضب وانتفخت أوداجه ، فهذا هو الذى أخذته العزة بالإثم ، أى أنه اعتز وتمنع لا بالحق ولا بالبر والصواب ، ولكن بالإثم والخطأ وأى إثم وخطأ أكبر من العناد واللجاج والاستكبار عن الحق بعد ما تبين ، وإيثار العزة الباطلة والقوة المفتعلة ، أما الصورة الثانية فهى صورة رجل يشرى نفسه أى يبيعها ابتغاء مرضاة الله ، ومعنى كونه يشريها أو يبيعها لله ، أنه لا يرى لنفسه حقا أمام الحق ، ولا يرى نفسه إلا مملوكة لله ، وهذا يقتضيه أن يؤدى حق هذا الملك فيبذل نفسه

مكتبتنا العربية

عيد الفطر في التاريخ والأدب

لأديب من العراق

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الأدب فى فنون الأرب : أن الأعياد الإسلامية التى وردت بها الشريعة ـ اثنان : عيد الفطر وعيد الأضحى والسبب فى اتخاذهما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال صلى الله عليه وسلم ماهذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بدلكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فأول ما بدئ به فى العيدين عيد الفطر وذلك فى السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى (١) ولقد كان لهذين العيدين مظاهر إسلامية تعرض فيها عظمة الدولة وجلال الملك وكان فى العصور الإسلامية الزاهرة تبدو فيهما سطوة الإسلام وشوكته وإننا اليوم فى حاجة ملحة إلى تعزيز الروح القومية بالإشادة بمفاخرنا وأعيادنا الشعبية وحبذا لو أكثرنا من إقامة ذكريات لأعياد قومية منسية لتبعث فى الأمة الحياة والعزة وتثير فى الشباب النخوة والشعور القومى. فعلى المسلمين والعرب أن يحتفلوا اليوم بعيد ذكرى فتح العرب للأندلس، وعيد دخول العرب وتوغل جيوشهم فى فرنسا ، وعيد نزول جيوش العرب إلى إيطاليا بعد فتحهم صقلية ، وعيد فتح العرب للمدائن عاصمة

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ونهاية الارب للنويرى.

لمالكها غير ضنين بها ، ولا حريص عليها ، ولا مستشعر ذلا فيما يفعل .

والصورتان متقابلتان تمام التقابل إحداهما لنفس مغرورة معتزة بالباطل لا تعبأ بالحق ولا تنزل عن كبريائها ، لشىء من الأشياء ، والأخرى نفس معتزة برضا الله ، حريصة على هذه المنزلة ، متنازلة عن أنانيتها فى سبيلها فالنفس الأولى معتزة بالإثم والنفس الثانية معتزة بالله .

* * *

وهكذا يبين لنا القرآن فى هذه الآيات وفى غيرها أن « العزة » الحقيقية الباقية المستقرة هى العزة التى تقوم على أساس من الاستقامة والعمل الصالح ، والتى يتجه صاحبها فى اتجاه الخير والبر ، أما العزة المصطنعة المفتعلة فهى التى تقوم على أساس من الباطل والإثم والاغترار والاستهتار والاستكبار .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

مكتبتنا العربية

عيد الفطر في التاريخ والأدب

لأديب من العراق

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الأدب فى فنون الأرب : أن الأعياد الإسلامية التى وردت بها الشريعة ـ اثنان : عيد الفطر وعيد الأضحى والسبب فى اتخاذهما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال صلى الله عليه وسلم ماهذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بدلكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فأول ما بدئ به فى العيدين عيد الفطر وذلك فى السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى (١) ولقد كان لهذين العيدين مظاهر إسلامية تعرض فيها عظمة الدولة وجلال الملك وكان فى العصور الإسلامية الزاهرة تبدو فيهما سطوة الإسلام وشوكته وإننا اليوم فى حاجة ملحة إلى تعزيز الروح القومية بالإشادة بمفاخرنا وأعيادنا الشعبية وحبذا لو أكثرنا من إقامة ذكريات لأعياد قومية منسية لتبعث فى الأمة الحياة والعزة وتثير فى الشباب النخوة والشعور القومى. فعلى المسلمين والعرب أن يحتفلوا اليوم بعيد ذكرى فتح العرب للأندلس، وعيد دخول العرب وتوغل جيوشهم فى فرنسا ، وعيد نزول جيوش العرب إلى إيطاليا بعد فتحهم صقلية ، وعيد فتح العرب للمدائن عاصمة

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ونهاية الارب للنويرى.

لمالكها غير ضنين بها ، ولا حريص عليها ، ولا مستشعر ذلا فيما يفعل .

والصورتان متقابلتان تمام التقابل إحداهما لنفس مغرورة معتزة بالباطل لا تعبأ بالحق ولا تنزل عن كبريائها ، لشىء من الأشياء ، والأخرى نفس معتزة برضا الله ، حريصة على هذه المنزلة ، متنازلة عن أنانيتها فى سبيلها فالنفس الأولى معتزة بالإثم والنفس الثانية معتزة بالله .

* * *

وهكذا يبين لنا القرآن فى هذه الآيات وفى غيرها أن « العزة » الحقيقية الباقية المستقرة هى العزة التى تقوم على أساس من الاستقامة والعمل الصالح ، والتى يتجه صاحبها فى اتجاه الخير والبر ، أما العزة المصطنعة المفتعلة فهى التى تقوم على أساس من الباطل والإثم والاغترار والاستهتار والاستكبار .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

مكتبتنا العربية

الأكاسرة ، وعيد فتح المسلمين للقسطنطينية على يد محمد الفاتح ، وعيد إخراج الصليبيين فى فلسطين وأمثال ذلك فى الأعياد القومية الإسلامية التى تبعث فى النفوس نشوة الانتصار وتعيد ذكرى الفتوح التى سيطر بها آباؤنا على البلاد وهدوا العباد وأقاموا منار الرشاد . وعلينا أن نفخم الاحتفالات بالأعياد الدينية الشعبية التقليدية لأنها توحد الرأى العام فى الشرق العربى وتفهم سكانه وتذكرهم بالروابط الروحية والتاريخية التى تجمع بين أقطار الشرق الأدنى فى مراكش إلى إيران وتركستان والهند وأندونيسيا ومن تركيا وألبانيا إلى اليمن وزنجبار ضامة بين جناحيها الجمهورية العربية المتحدة والسودان ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق والحجاز ونجد والبحرين وحضرموت وعدن والأفغانستان وغير ذلك من الأقطار الإسلامية وإن الاحتفال بهذه الأعياد الإسلامية قديماً كان يشتد ويقوى حيث يكون الشعور الإسلامى أقوى حيث يعظم التنافس بين أتباع راية الإسلام وبين خصومهم : قال الأستاذ آدم متز Adam Metz فى كتابه القيم : (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) : كان عيد الفطر والأضحى هما العيدين الوحيدين الكبيرين اللذين كان يحتفل بهما بالأبهة الإسلامية احتفالا رسمياً ، وكانا إلى جانب النيروز الفارسى أكبر الأعياد عند أهل بغداد (كما يستفاد من تاريخ الطبرى) قال متز : « وكان الاحتفال بها يبلغ منتهى الروعة والأبهة فى البلاد التى يكون فيها الشعور الإسلامى على أقواه مثل طرسوس حيث كان يأتى غزاة المسلمين فى كل أنحاء المملكة الإسلامية حتى كان عيداها يعتبران من محاسن الإسلام ولما ضاعت طرسوس من المسلمين بقيت صقلية مشهورة بحسن عيديها » . (١)

ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه (تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى) : « عنى المسلمون منذ عهد بعيد بالاحتفال بالعيدين فى شىء كثير من الأبهة والعظمة وكانوا يحتفلون برمضان احتفالا شائقا ويتحذون غرة رمضان فى مواسمهم الدينية كما كانوا يحتفلون بالعيدين احتفالا دينيا فيؤم خلفاء المسلمين الناس فى الصلاة ويلقون عليهم خطبة فى فضائل العيد وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائر الإسلام ولا عجب فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى فى الاحتفال بالعيدين فى البلاد الإسلامية ونخاصة فى بغداد وبيت المقدس ودمشق والقاهرة . وكان الاحتفال بعيد الفطر يبلغ منتهى الروعة والأبهة فى البلاد التى يكون

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز .

(٢) تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن

فيها الشعور الإسلامى قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين فى أنحاء البلاد الإسلامية وترد إليها تبرعات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للغزو بأنفسهم [٢] ولا يخفى ما كان هنالك من أثر واضح لوقوع طرسوس على حدود المملكة الإسلامية فى قصد إظهار جلال الإسلام وأبهته وإظهار قوة المسلمين أمام أعدائهم من الروم فى الثغور وذلك بتعظيم شعائر الإسلام فى الاحتفال بعيدى الفطر والضحى فى تلك المدينة الأحتفالا فخما مما جعل العيدين هنالك من محاسن الإسلام كما عدهما المؤرخون » .

ولنعد إلى حديث العيد قال الأستاذ آدم متز فى كتابه (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) : « إن المسلمين لما أضاعوا طرسوس بقيت صقلية مشهورة بحسن عيديها ويؤيد قوله ما قرأت فى كتاب (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) للمقدسى وهو من كتب العرب فى الجغرافيا والمقدسى من مؤلفى القرن الرابع الهجرى وقد تحدث عن حسن العيدين بصقلية من بلاد الإسلام فذكر أن العيدين فى هذا الثغر يمتازان بمظاهرهما كما امتازت الجمعة فى بغداد مثلا [١] » .

[١] الحضاره الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز .

هكذا كانت الجيوش الإسلامية المجاهدة تحتفل فى الثغور التى ترابط فيها وتعظم من الاحتفاء بالعيدين لأن ذلك مما يظهر شوكة الإسلام وجلال سلطانه .

لقد كانت المدن الإسلامية [١] ـ خصوصاً بغداد فى عهد العباسيين والقاهرة فى عهد الفاطميين ـ تسطع فى أرجائها الأنوار فى ليالى العيد ، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات وتسطع فى جوانبها أنوار القناديل ، وتتلألأ الأنوار الخاطفة الأبصار من قصور الخلافة ، وقد لبست الجماهير فى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية الطيالسة السود تشبها بالخلفاء العباسيين (يقول فى المنجد : الطيلسان كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم) . الذين اتخذوا السواد شعارا لهم وكان بعضهم يتخذ بدل العمائم قلانس طويلة (القلنسوة نوع من ملابس الرأس على هيئات متعددة ويلبسون بدل الدروع دراريع كتب عليها « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » (والدراريع جمع دراعة ، وهى جبة مشقوقة المقدم) ولقد

[١] الدكتور حسن ابراهيم حسن فى (كتابه تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى) ج ٣ ص ٦٠٥ .

مكتبتنا العربية

أفاض جميل نخله صاحب كتاب (حضارة الإسلام فى دار السلام) وأسهب فى وصف الحالة الاجتماعية فى بغداد على لسان رحالة فارسى أدخلة بغداد ليلة عيد رمضان فأخذ يحدثنا الرحالة هذا عما شاهده فيها وقد اقتبس مؤلف الكتاب مواد بنائه من الكتب التاريخية الموثوقة متخذاً لها كمصادر اعتمد عليها وقال فى مقدمة الكتاب : « هذه رسائل وصفت فيها عصراً من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم وجرت فيه أعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملئوا العالم بآثار جمالهم وجعلت الكلام فيها لرحالة فارسى طوفته معظم البلدان الإسلامية فى المائة الثانية للهجرة » ونقتطف من هذا الكتاب اللطيف صفحة جميلة يصف بها بغداد ليلة العيد قال[1] : « اتفق وصولى إلى دار السلام فى عيد الفطر قبيل العتمة هى : (الثلث الأول من الليل) وهى تلمع بالأنوار ويتصاعد من المسبحين بحمد الله والمقدسين له نغمات ترددها معهم أرجاء المدينة وتعذر المسير على مركبنا تجاه باب البصرة (وهو باب من أبواب بغداد) أوكاد لازدحام الزوارق المشتبكة فى هذا المكان وهى مطلية بأبهى الأصباغ والألوان مرصعة بأنوار القناديل الحسان حتى كأن دجلة فى الزوراء أشبه بالمجرة فى كبد السماء ثم تقدم بنا المركب حتى وقف بمقربة من الجسر وعلى مطل من قصور الخلافة (فى المنجد : المطل : المكان يشرف منه) التى كانت تتلألأ بضوء الشان (نقلا عن الأغانى ج ٤ ص ١٨٩) فركبت البر فى الموضع المعروف بجزيرة العباس (فى المسعودى أن السفن الواردة من البصرة تقف فى بغداد بهذا الموضع) وقد غص بمجموع من الناس قد لبسوا الطيالس السود تشبها بملوك هذه الدولة الذين اتخذوا السواد فى شعار الخلافة حزنا على شهدائهم من أهل البيت ونعيا على بنى أمية فى قتلهم . وشاهدت جماعة قد اتخذوا بدل العمائم قلانس طوالا مصنوعة من القصب والورق ملبسة بالسواد أيضا وبدل الدروع دراعات مكتوباً عليها بين كتفى الرجل « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » أخبرنى (نقلا عن ابن الأثير ص ٢٤٥ ج ٥ والأغانى ج ٥ ص ٩٥) بعض من لقيته فى تلك الليلة أن أبا جعفر هو الذى أحب أن تتزيا حوزته (حوزة المملكة ما بين تخومها) بهذا الشكل من اللباس منذ ثلاث سنين . قال ولما تجولت فى المدينة وانتهيت إلى الشارع الكبير المعروف بشارع أبى جعفر وجدته كأحسن وأحفل ما يكون من الشوارع وله السيادة عليها بأمرين : الأول اتساعه إلى أربعين ذراعاً وإن كان يشاركه فيه غيره والثانى طوله من دار الخلافة إلى

[1] حضارة الإسلام فى دار السلام لجميل نخلة .

مكتبتنا العربية

باب الشام على استقامة ليس فى الإمكان أصح منها فلما صرت فيه استقبلت فى دور الخلافة زينة كضوء الشمس قد اتخذت على القبة الخضراء (عن المسعودى والقزوينى) التى رفعها أبو جعفر إلى علو يزيد عن ثمانين ذراعاً ليشرف منها على جهات المدينة وما يجوارها من البساتين كما أنه عنى بتجميلها بالرسوم العجيبة ليكون منها الدلالة على سعة ملكه والشهادة باقتداره على عظائم الأعمال فكانت تظهر زينتها فى تلك الليلة وهى مرتفعة فى الفضاء كأنها إكليل من نور قد تدلى على قصر السلام. ثم إنى أقبلت فى صدر هذا الشارع على مسجد جامع عليه ازدحام فملت إليه فإذا برجال متمنطقين بالسيوف يرجعون الناس ويجعلون ممراً بين جموعهم وورائهم رجل طويل (عن العقد الفريد) أسمر نحيف خفيف العارضين معرق الوجه ناطق العينين عليه ثياب سود من الخز وقلنسوة مطوقة ببر أسود (عن ابن عون وذكر ابن جبير أنه رأى الخليفة ببغداد وعليه قلنسوة ذات وبر) من الأوبار الغالية الثمن وفى وجهه مهابة الملوك وجلالتهم فعرفت أنه الخليفة أبو جعفر على غير ما تدل عليه حاشيته إذ الشمس لا تخفى وإن سترت ثم لم أزل أتبعه بالعين حتى توارى بين الجموع وركب بغلة (عن ابن خلدون) عليها حلية خفيفة من الفضة وكان لجامها فى يد حاجب من حجاب الخليفة وقد دخل صاحبنا بغداد فى عهد بانيها أبى جعفر المنصور ولم يلق المؤلف كلماته جزافا ومن دون سند تاريخى بل إنه اعتمد على أوثق المصادر.

والذى يظهر من قصيدة البحترى التى يهنئ بها المتوكل بعيد الفطر أنه كانت بغداد تشهد موكباً رائعاً للخلافة بتلك المناسبة الكريمة ويؤيد ذلك المؤرخون قال الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه (تاريخ الإسلام): «كانت تتجلى عظمة الخلفاء العباسيين وأبهتهم فى الاحتفال بالعيد واتجهت سياستهم إلى اجتذاب الشعب على اختلاف طبقاته بالعطايا والأرزاق والهبات والأسمطة التى كانوا يمدونها فى الأعياد والمواسم وعنوا باحتفال بعيدى الفطر والأضحى احتفالا رائعا».

ويعرض علينا ابن قتيبة فى عيون الأخبار خطبة طويلة للمأمون فى عيد الفطر قال فيها مخاطباً المسلمين:

(إن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهال ورغبة، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام فجعله خاتمة الشهر وأول أيام شهور الحج وجعله معقبا لمفروض صيامكم ومتنفل قيامكم فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم فإنه يقال لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار).

مكتبتنا العربية

ولقد كان الخلفاء العباسيون يجلسون فى الأعياد لاستماع تهانى الشعراء وجر ذلك إلى أن يتنافس هؤلاء فى تجويد روائع الشعر يمدحون بها جبابرة العباسيين لينالوا من هباتهم وعطاياهم الأموال الغزيرة إذ كانت ثروة الدولة الإسلامية تجبى إلى الخليفة ببغداد أو سامراء فينفقها كما يشاء ولمن يشاء .

وإنك لتجد الخلفاء عامة ، (والفاطميين خاصة) يحتفلون بعيد الفطر الذى كانوا يتبركون به وتعم خيراتهم الناس فيه . فمن هذه الخيرات تفرقة الفطرة والكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد . وكان هؤلاء الخلفاء يهتمون بالاحتفال بعيد الفطر فى العشر الأخيرة من رمضان ، واتخذ الفاطميون فى القصر بابا خاصا أطلقوا عليه (باب العيد) ؛ لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المصلى شرقى القصر الكبير فى الفضاء الذى تشغله الآن قرافة باب النصر وراء حى الحسينية (كما حقق ذلك الأستاذ ابراهيم حسن) .

أما الأستاذ آدم متز Adam Metz فإنه ينقل فى كتابه (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) عن المقريزى ج ١ ص٣٨٧ وعن النجوم الزاهرة لأبى المحاسن ج ٢ ص٤٧٣ وعن رحلة ناصر خسرو ص١٥٨) أنه فى آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٠ حمل يأنس الصقلبى صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل من الحلوى وحمل أيضا على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر وطافا بها فى شوارع القاهرة وكانت تعمل أسمطة أخرى فى القصر يحضرها الخليفة بنفسه فى يوم عيد الفطر ، وعيد النحر . ففى عيد الفطر كان يعمل سماط طوله ثلاثمائة ذراع فى سبعة أذرع من الخشكنان والفانيد والبسند فإذا صلى الخليفة الفجر جلس ومكن الناس من ذلك السماط (وهو مائدة طويلة ممدودة فيهجمون عليه وينهبونه ويحملونه [1] .

ويحدثنا المقريزى فى الخطط ج ٢ ص٣٢٢ أنه ركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر فأقبل فى زيه وبنوده وقبابه . وصلى بالناس وأطال الصلاة وهى صلاة جده على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : فلما فرغ المعز من الصلاة ، صعد المنبر وسلم على الناس يميناً وشمالا ، ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز ، والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن ورحلة ناصر خسرو .

الخطبتين وكان معه على المنبر القائد جوهر ، وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والخوذ على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلة ، فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت السمط ونشطهم على الطعام ، وعتب على من تأخر وهدد من بلغه صيامه العيد(١) . ونقل المقريزى أنه فى آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٠هـ (نقلا عن المسيحى) بقيت مصاطب ما بين القصور إلى المصلى ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر وفيه تقدم أمر القاضى ابن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين يعنى الشيعة ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد ، وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزيه والإخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة (والزراقون هم الذين يقذفون بالنار اليونانية وقد اقتبسها العرب من الروم وهى فى الأصل من اختراع المشارقة وهى مواد مشتعلة تقذف نحو العدو باسطوانات نحاسية مستطيلة : نقلا عن كتاب الجندية فى الدولة العباسية لضابط عراقى)(٢) وخرج الخليفة الفاطمى بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده على بن أبى طالب عليه السلام فصلى على رسمه (على عادته) .

ولما استوزر بعد الأفضل المأمون بن البطائحى انتقد عدم ظهور الخليفة وقال هذا نقص فى حق العيد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال الخليفة الآمر بأحكام الله فما تراه أنت؟ فقال : يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر ، فإذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها ، وتشملها بركة نظر مولانا إليها ، فإذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الأمراء والأجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل الإيوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره . ثم عاد المأمون إلى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الدار وغيرهم

(١) الخطط للمقريزى .

(٢) الجندية فى الدولة العباسية لضابط عراقى .

مكتبتنا العربية

قال : ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان من سنة ٥١٦ هـ وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عند الفاطميين الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة قال المقريزى ولما كان فى التاسع والعشرين من رمضان سنة ٥١٦ هـ خرجت الأوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة باسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون (الوزير) فى آخر النهار للفطور مع الخليفة والحضور على الأسمطة على العادة ، وحضر المقرئون والمؤذنون ، وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات من أهل القصور بلاحى (فى معجم دوزى أنها ضرب من الأوانى لحفظ العطور) وموكبيات (فى معجم دوزى شمعدانات موكبية أى تستعمل فى المواكب) مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى (يقول دوزى هى قطع من النسيج يلف بها الرأس) ودبيق (قماش صنع مدينة دبيق بمصر) وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ، ثم خطب من أسمع ودعا ، فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأحذوا فى الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ، وقدمت جفان القطائف (طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء) مع الحلوى فجروا على عاداتهم وملئوا أكمامهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة إلى قاعة الذهب وأن تكون التعبئة فى مجلس الملك حيث تمد الأسمطة وحضر الخليفة واستدعى المأمون (الوزير) وعرضت المظال المذهبة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل « والله جعل لكم مما خلق ظلالا » إلى آخرها.

وجلس الخليفة الفاطمى ورفعت الستور وسلم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم ووقفوا فى آخر الإيوان وحضر الأمراء ورجال الدولة واستعرضت الدواب وهى ما يزيد على ألف فرس عدا البغال وعرضت الوحوش بالأجلة والديباج والدبيق بقباب الذهب والمناطق والأهلة وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب الذهب وحملت الفطرة الخاصة التى يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات (فى المنجد الجوارش نوع من الحلاوات) بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت فى مواعين الذهب المكللة

مكتبتنا الغربية

بالجواهر وخرجت الأعلام والبنود وركب المأمون (الوزير) فلما حصل بقاعة الذهب أخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك إلى آخره وخرج الخليفة وطلع إلى سرير ملكه وبين يديه الصوانى التى فيها الفطرة الخاصة والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون فيفطر الخليفة ويدخل الناس فيأخذون جميع ما هناك فلما انقضى الفطور ضربت الطبول والأبواق على أبواب القصور وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها ورتبت الصفوف من القصر إلى المصلى(١) .

هذه صفحة رائعة من احتفاء الدولة الفاطمية بمصر بعيد رمضان ومن تعقب وخاض كتب التاريخ الإسلامى وجد الدول الإسلامية جمعاء تحتفى بهذا العيد فهذه الدولة البويهية يحدثنا الأستاذ آدم متز فى كتابه عن الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى الذى هو عصرها الذى ازدهرت فيها العلوم وأينعت الفنون — يحدثنا (نقلا عن معجم الأدباء لياقوت الحموى) أن ابن عباد وهو من وزراء البويهيين كانت داره لا تخلو فى كل ليلة من ليالى رمضان من ألف نسمة تفطر فيها وأن أصدقاءه وأقرباءه فى هذا الشهر كانوا يزورونه بكثرة تبلغ مبلغ زيارتهم له فى جميع شهور السنة .

(١) الخطط للمقريزى.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عربى يصف قومه

وإنى من القوم الذين هُمُ هُمُ ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما زال منهم (حيث كانوا) مسوّد ... تسير المنايا حيث سارت كواكبه

مكتبتنا العربية

شعراء الوحدة

للأستاذ على العمارى

منذ أكثر من ثمانية قرون، وعلى التحديد فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى، وأوائل القرن السابع، كانت تعيش البلاد العربية فى ظروف تشبه كل المشابهة الظروف التى نعيش فيها الآن ؛ أعداء من خارج البلاد يتربصون بها الدوائر، ويبغون لها الغوائل، ويهاجمونها كلما عنت لهم فرصة، وأعداء فى داخل البلاد، من أهلها، يتنكرون للشعوب ويعاونون الأعداء.

وفى ذلك التاريخ اصطفت الأقدار للعرب بطلا، خالص العقيدة، طاهر الطوية شديد البأس، هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب، الذى يتصل نسبه ببنى أمية، فدحر الصليبيين، وخلص البلاد من شرورهم، ووحد الأقطار الإسلامية.

وفى أثناء هذه الحروب الشهيرة، برزت ظاهرة أفادت منها الأقطار الإسلامية، تلك هى الشعور بوحدة الدم والعقيدة والتاريخ، وقد كان للشعراء شأن أى شأن فى الإشادة بهذه الوحدة، والعمل على إذكائها فى النفوس، والشعر - يومذاك - بل الأدب بعامة هو الموجه والرائد، حتى قال صلاح الدين الأيوبى «ما فتحت البلاد بالعساكر، وإنما فتحتها بكلام الفاضل» يقصد وزيره القاضى الفاضل.

وقد ازدحم (بلاط) صلاح الدين بالشعراء الذين غنوا على قيثاراتهم أهازيج النصر، ورددوا أناشيد الوحدة، ومن هؤلاء: ابن سناء الملك، والعماد الأصفهانى، والقاضى الفاضل، وغيرهم من شعراء الإقليم المصرى فى القرن السادس الهجرى.

وسنكتب كلمة عن كل واحد من هؤلاء، نتتبع فيها أثره فى توحيد الصف، وإشاعة العزة والمجد فى نفوس الشعوب، إذ ذاك.

ابن سناء الملك

- ١ -

نشأته :

هو أبو القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد بن محمد بن هبة الله السعدى، ويلقب بالقاضى السعيد، ويعرف فى الكتب بابن سناء الملك، وسناء الملك لقب أبيه جعفر، وقد ذكره ابن خلكان عقب (المعتمد) فيكون - على رأيه - لقبا لجد القاضى السعيد، ويدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين فى الدولة

مكتبتنا العربية

الفاطمية، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين ابن بدر الجمالى، الوزير الفاطمى المشهور»[١].

ولد ابن سناء الملك بمصر، فى أسرة غنية فى حدود سنة ٥٥٠ هـ. وقد حفظ القرآن وبرع فى العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وتفقه فى الدين الإسلامى على مذهب أهل السنة، وإن كان ابن سعيد المغربى يذكر أنه كان متشيعا، بل وغالياً فى التشيع، وقد انفرد ابن سعيد بهذا. ويظهر أنه بقيت فى نفس ابن سناء رواسب شيعية، وآية ذلك أننا نجد بعض العقائد الفاطمية فى شعره، وهو يمدح ملوك الأيوبيين، من ذلك - مثلا - قوله فى مدح صلاح الدين:

أعدت إلى مصر سياسة «يوسف»
وجددت فيها من سميك موسما
وأحييت فيها الدين بعد مماته
فأنت (ابن يعقوب) وأنت (ابن مريما)

وقد وقفت طويلا عند هذين البيتين من شعر ابن سناء، وهما من قصيدة فى مدح القاضى الفاضل، قال:

أصبحت فى مدح الأجل موحداً
ولكم أتتنى من أياديه ثنى
وغدوت فى حبى له متشيعاً
من ذا رأى متشيعاً متسننا

ولم أستبعد أن يكون ابن سناء يخفى فى نفسه العقيدة الشيعية، ويبدو أمام الأيوبيين متمسكا بالمذهب السنى، وقد خدعه العقل الباطن فى هذا الشعر، فأجرى على لسانه التعجب من (متشيع متسنن). ولا وجه للتعجب، فابن سناء نفسه هو ذلك الرجل.

وأيا ما كان فقد كان ابن سناء من رجالات الدولة الأيوبية، وكل آثاره التى بين أيدينا تدل على أنه كان فى ريعان الشباب وفى كهولته وفى شيخوخته (متسننا) على حد تعبيره.

وقد تولى ابن سناء القضاء. وتوثقت المودة بينه وبين القاضى الفاضل. وصنف كتبا، أهمها (دار الطراز) فى الموشحات، و(نصوص الفصوص، وعقود العقول) وهو لا يزال مخطوطا، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر (روح الحيوان) وقد أعجبت هذه التسمية (ابن خلكان) فقال: وهى تسمية لطيفة. وله ديوان شعر منه نسخة خطية فى مكتبة الأزهر، وهى نسخة كثيرة الأخطاء.

وتوفى ابن سناء باتفاق الذين ترجموا له فى سنة ثمان وستمائة، فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وهى توافق سنة ١٢١١ م.

أدبه وخصائصه:

يعتبر ابن سناء من كبار الشعراء المصريين

---

(١) هامش جريدة القصر: القسم المصرى ج ١ ص ٦٤.

مكتبتنا العربية

فى العصر الأيوبى ، وديوان شعره يضم شعرا فى كل الأغراض التى تعنى الشعراء فى ذلك العصر من مدح ورثاء وغزل ووصف ، إلى هجو ، إلى إخوانيات .

أما الفن الذى نبغ فيه ابن سناء فهو فن الموشح وكتابه (دار الطراز) يعتبر الأول من نوعه فى موضوعه ، فقد قام فيه بمهمة وضع قواعد واضحة للموشح ، وليس معنى هذا أن أحدا قبله لم يتعرض لهذه الأصول ، فإن بعض هذه الأصول وردت - ولو بطريق الإشارة - فى بعض الكتب الأندلسية كالذخيرة لابن بسام ، وإنما معناه أن تحديد قواعد الموشح وتبيان خصائصه وطرق نظمه ، وأوزانه ، ثم تأييد هذه الأصول بأمثلة من الموشحات ، هذا العمل لم يعمله أحد قبل ابن سناء ، بل ، وكل الذين جاءوا بعده ، وتحدثوا عن الموشح كانوا عيالا عليه .

وكان ابن سناء منذ شبابه المبكر أظهر ميلا قويا للأدب ، ولاسيما الشعر ، وقد جاء فى مقدمته لدار الطراز أنه لم يأخذ فن الموشح عن أستاذ أو شيخ ، ولم يتعلمه فى كتاب ، وقد ظهرت عبقريته بشكل واضح فى الموشحات ومما قاله فى كتاب (النصوص الفصوص) الورقة (٢١) : « وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من استعارتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة ، فكنت إذا عملت موشحا لا أستعير خرجة غيرى ، بل أبتكرها وأخترعها ، ولا أرضى باستعارتها . وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة وقصدت ما قصدوه واخترعت أوزانا ما وقعوا عليها ، ولم يبق شىء عملوه إلا عملته إلا الخرجات الأعجمية فإنها كانت بربرية ، فلما اتفق لى أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره وجعلت خرجته فارسية بدلا من الخرجة البربرية [1] .

وظهرت فى شعر ابن سناء السمات التى طبعت شعر العصر الأيوبى ، من التأنق اللفظى والتكلف المقيت ، والقصد إلى المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية ، حتى لقد كان الجناس يملأ تفكيرهم فنرى ابن سناء يتوهمه فى بعض الأفعال ، فهو يتحدث عن عين عشقت ، لأن عينا نظرت إليها ، فيحاول أن يتخذ من هذا دعوى قصد الجناس فيقول:

يا جور هذا الحب فى أحكامه
خد يحد ، وطرف عين قد زنا

وأظنه قصد الجناس لأنه

طرف زنا لما رأى طرفا رنا

فيدعى أن طرف العاشق إنما (زنا) بالنظر إلى المعشوق لأن طرف المعشوق (رنا) إليه ونظر . وسبب هذا إنما هو قصد الجناس بين زنا ورنا .

---

[1] هامش دار الطراز ص ١٣٥ تحقيق دكتور جودت الركابى .

وللشعراء المصريين مذاهب فى هذا ومن ذلك قول الشاعر :

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى
مليحا ، دونه السمر الرقاق
فقلت وهل أنا إلا أديب
فكيف يفوتنى هذا الطباق

والشواهد كثيرة من شعر ابن سناء على تكلفه المحسنات البديعية ، حتى مقدمته فى دار الطراز جاءت مسجوعة ، مع أنها مقدمة جليلة من حيث ما تضمنته من أصول الموشحات.

كان القاضى الفاضل يثنى كثيرا على ابن سناء ، وعلى بلاغته ،وصناعته فى النظم ومن قوله فى ذلك : « أما بلاغته فقد بلغت الغاية، وأما قلمه فإنه به قد أعطى الراية » وكان معاصره العماد الأصفهانى الكاتب صاحب خريدة القصر يثنى عليه ، ويعجب به ، وكذلك أثنى عليه ياقوت الحموى فى أكثر من موضع فى كتابه « معجم الأدباء » ومما قاله : « أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته ، وسار ذكره ، وامتدح قصيدته التى سارت بها الركبان - على حد قوله - والحماسية الغزلية . وهى :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى
وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا

وبعد أن ذكر أبياتا كثيرة منها قال : «والقصيدة طويلة، كل بيت فيها فريدة فى عقد، وشعره كثير ، وأكثره جيد » .وأثنى عليه القاضى ابن خلكان ، بأنه صاحب الشعر البديع والنظم الرائق . وأحد الفضلاء النبلاء الأدباء . وأعجب بوصفه لنقصان النيل وقال إنه أحسن ما يوصف به ،وعبارة ابن سناء : وأما أمر الماء فإنه نضبت مشارعه و نقطعت أصابعه ، وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء ، وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء » .

ابن سناء والوحدة :

ذكرت فيما سبق أن القاضى السعيد قال الشعر فى كل الأغراض التى كان يقول فيها الشعراء فى عصره ، وقلت : إن الفن الذى نبغ فيه هو فن الموشحات ، وأضيف هنا أن شعر المدح عند ابن سناء لا يقل أهمية عن موشحاته التى امتاز بها ، ذلك أننا يمكن أن نعتبر هذا الشعر وثائق تاريخية فيما يتعلق بالسياسة العامة ، ولاسيما السياسة الحربية الأيوبيين ، كما يمكن أن نتخذه دليلا على شعور هذا الشاعر بما يمكن أن يطلق عليه (الوحدة العربية) وقبل أن نمضى فى دراسة هذا الشعر ، نقدم كلمة مجملة عن البيئة التى عاش فيها هذا الشاعر من الناحية السياسية.

ولد ابن سناء فى سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى فى سنة ثمان وستمائة ، فهو قد عاش زهاء الستين عاما عاصر فيها أواخر الخلفاء الفاطميين ، وعاصر من الأيوبيين السلطان صلاح الدين وابنه العزيز عثمان ، وولد

مكتبتنا العربية

العزيز الملك المنصور محمد ، ثم الملك العادل ابن الأمير نجم الدين أيوب ، وهو أخو صلاح الدين ، وفى هذه الفترة كان ملوك آخرون من الأيوبيين فى دمشق وحلب واليمن ، ومنذ أن ولد ابن سناء إلى أن توفى ، وملوك المسلمين يشنون غزوات على الفرنج ، والفرنج يحاربون المسلمين ، ويغيرون على البلاد المصرية ، وينتصر المسلمون حينا ، وينتصر الفرنج حينا آخر ، وقد يعقد الصلح بين الفريقين ، وليس من شك أن الشعور العام للمسلمين فى ذلك العهد كان الضيق الشديد بحركات الفرنج ، والفرح المتزايد بكل انتصار يحرزه المسلمون .

ومما يدلنا على الشعور النبيل فى نفوس المسلمين فى ذلك ، وبغضهم الشديد للفرنج ، هذه القصة المعبرة : كاتب (شاور) وزير العاضد الفرنج ليحاربوا معه (أسد الدين شيركوه) فلما تأخر الفرنج خاف شاور ، فعمل فى عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه ويقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل . وقال : والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرفن أسد الدين فقال له أبوه شاور : والله لئن لم نفعل لنقتلن كلنا ، فقال له ابنه الكامل : لأن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد فى يد الفرنج »[1] . ولما بلغ أعيان الدولة أن شاور كاتب الفرنج اجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه وقالوا له : شاور فساد العباد والبلاد . وقد كاتب الفرنج ، وهو يكون سبب هلاك الإسلام » . ومن الآراء التى قيلت فى موت شاور أن الأمراء قتلوه لما علموا بما فعل .

ولم يكن الفرنج وحدهم هم الذين يهددون وحدة المسلمين ، بل كان فى داخل البلاد أفراد يعملون على الثورة ولكن صلاح الدين قضى عليهم واحداً بعد آخر .

وكادت تقع الفتنة بين بنى أيوب أنفسهم بعد صلاح الدين لولا أن الله تداركهم بفضله فتم بينهم الصلح .

هذه صورة مصغرة لما كانت عليه البلاد الإسلامية فى السنوات التى عاشها القاضى السعيد ولابد أنه وهو رجل مسلم ، شاعر ، ومقرب من السلاطين والأمراء كان أشد شعوراً بكل هذه الأحداث ، فلاعجب أن نجد فى شعره رنة الفرح كلما أحرز المسلمون انتصاراً أو ملكوا بلداً ، أو فتحوا حصناً ، وكان كل ذلك كثير الحدوث ، فقد فتح نور الدين محمود فى مدة ولايته نيفاً وخمسين حصناً ، وأما صلاح الدين فقد أعاد للإسلام سطوته ، وللعروبة قوتها ، بالانتصارات المتتالية التى أحرزها .

وقد أسهم ابن سناء بنصيب موفور فى تسجيل انتصارات صلاح الدين ، من ذلك قوله يهنئه بفتح حلب :

(١) ١ ، ٢ النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٥١ .

مكتبتنا العربية

وفى زمان ابن أيوب غدت حلب
من أرض مصر، وعادت مصر من حلب
ولابن أيوب دانت كل مملكة
بالفتح والصلح أو بالحرب والحرب
أرض الجزيرة لم تظفر بمالكها
بمالك فطن أو سائس درب
بمالك لم يدبرها مدبرها
إلا برأى خصى أو بعقل صبى
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحت
من الفساد كما صحت من الوصب

ويمدح صلاح الدين فى قصيدة أخرى فيقول: إنه أنام بنى الإسلام فى كهف بأسه، هكذا (بنى الإسلام) لابنى مصر وحدها، ولابنى الشام وحدهم، ولابنى قطر من الأقطار وإنما هم (بنو الإسلام) بهذا العنوان مما يدلنا على شعور الشاعر بالوحدة الإسلامية ويمضى فى مدح صاحبه فيقول إنه عوض المسلمين من سخطهم رضا، ومن خوفهم أمناً وأنه أقام بدار الكفر تجبى له الجزية، والكفار صاغرون، وهذا غاية ما يتمناه كل مسلم.

ويقول فى قصيدة ثالثة فى مدح صلاح الدين:

لقد نصر الإسلام منه بناصر
يرى مغرما فى الدين ما كان مغرما
يذب عن البيت المحرم جنده
فلولاهم ما كان بيتا محرما
ولولاهم ما كان زمزم زمزما
ولولاهم كان الحطيم محطما

وفى هذا ما يشير إلى ما كان عليه أعداء الإسلام من قوة هائلة، وأنه لولا صلاح الدين لتغيرت معالم الإسلام، ولكنه أعاد للدين حرمته وقوم ما كان قد طرأ عليه من اعوجاج.

وكان صلاح الدين فى الشام، فكتب ابن سناء يذكر له شوق مصر إليه، ويقول:

تغايرت الأقطار فيك فواحد
لبعدك يبكى أو لقربك يبسم
ولا شك فى أن الديار كأهلها
كما قيل تشقى بالزمان وتنعم
وما برحت مصر أحق بيوسف
من الشام لكن الحظوظ تقسم
بمصر كما بى من جوى وصبابة
كلانا معنى بالأحبة مغرم

فهذه البلاد التى (تغايرت) لا شك أنها بلاد واحدة، تنظر إلى زعيم واحد، ويجمعها الشوق إليه، والغيرة عليه، وهذا هو أصرح تعبير عن الوحدة التى عمل لها صلاح الدين والتى تمت فى عهده. وغذاها الشعراء والأدباء بما ينظمون وما ينثرون.

ويهنئ صلاح الدين بفتح الشام، فيقول:

لست أدرى بأى فتح تهنا
يا منيل الإسلام ما قد تمنى
أنهنيك أن تملكت شاما
أم نهنيك أن تملكت عدنا
إن دين الإسلام من على الخلـ
ـق وأنت الذى على الدين منا

مكتبتنا العربية

قد ملكت البلاد شرقا وغربا
وحويت الآفاق سهلا وحزنا

وهذه القطعة على صغرها مملوءة بالمعانى تؤيد ما ذهبنا إليه من أن هذا الشاعر كان من المغردين بالوحدة ، وأن الشعور بهذه الوحدة كان يملأ نفسه، وأن شعره صورة صادقة لما كان عليه الشعراء فى ذلك العهد ، وواضح من هذه الأبيات أن الوحدة الكبرى تمت لصلاح الدين: الشام وعدن ، ومن قبل الجزيرة والفرات ، وفلسطين وعسقلان .

وقد لاحظت أن ابن سناء كان حريصاً على أن يقارن بين ماضى الإسلام وحاضره بين ماضيه مذ درست معالمه ، وضعف سلطان تعاليمه ، وبين حاضره حيث أحياه صلاح الدين من موت ، وأعتقه من عبودية . وإن ما يثلج صدر كل مسلم أن يملك صلاح الدين (البلاد شرقا وغرباً) فهو جدير بأن يهنأ . بل وأن يهنأ الإسلام والمسلمون بهذه الفتوحات العظيمة التى أنالت الإسلام ما كان يتمناه ، وهل كان يتمنى الإسلام إلا جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم . بل يصرح ابن سناء فى أبيات أخرى بأن صلاح الدين قد جمع شمل المسلمين فيقول عن فتحه لإحدى البلاد :

وصليت فيها جمعة بجماعة
تناديك للإسلام يا جامع الشمل

فحبك مفروض على كل مسلم
ويعلم هذا فيك بالعقل والنقل

فلا عجب بعد هذا أن يقول أحد الكاتبين فى ابن سناء الملك ومدائحه : « أنت ترى خلال هذه المدائح نفسا عربية مخلصة تجيش بالإكبار والإجلال نحو الرجل الذى صان الديار الإسلامية وفرض احترامها على من حاول العبث بها ، وطهر بيت المقدس من المغير على أرضه ، فيهجر الشاعر الصنعة والتكلف عفوا ليترك العاطفة تتحدث ، وترتفع نشوى فى أجواء النصر والمجد[1] ».

وظل ابن سناء بعد صلاح الدين يمدح ملوك الأيوبيين ، وفى كل مدائحه تظهر الروح التى ظهرت فى مدائحه لصلاح الدين .

(وبعد) : فإن ابن سناء شاعر كبير ، وهو من الشعراء الذين خدموا الوحدة بين البلاد العربية بما نظموه فيها من أشعار .

ولقد أعاد التاريخ نفسه فجعل من عبد الناصر ، الناصر صلاح الدين الثانى ، فهل نجد من شعرائنا من يكون ابن سناء الملك الثانى يتغنى بوحدة العرب ، ويسجل لنا مظاهر النصر التى تملأ حياتنا الحاضرة .

ولولا أن الأناشيد ، والأغنيات الشعبية ملكت ناصية الأمر فى هذه الأيام لكنا نطمع ، فى شعر كثير جميل يبقى على مر الأيام ، يتحدث بانتصاراتنا ويسجل أروع صفحات تاريخنا ؟.

على العمارى

(١) مقدمة دار الطراز للدكتور جودت كالرانى ص ١١ .

مكتبتنا العربية

الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين

لغالبين من علماء الأزهر

حملة قديمة ـ الايمان بالألوهية ضرورة عقلية ـ إرسال النبيين من آثار الرحمة الالهية ـ رسالة الاسلام ـ القرآن هو الآية الكبرى على رسالة محمد ـ القرآن آية وهداية أين للمعارضون للقرآن ـ الاسلام عبيدة ونظام مزايا العقيدة الاسلامية ـ شبهات حول العقيدة « الجبر والاختيار » ـ حول الايمان بالآخرة ـ نظام الاسلام ـ عبادة الله وحده ـ العلاقات الانسانية ـ العلاقة بين الأغنياء والفقراء ـ بيت المال ملك الامة ـ الاسلام يقيم التوازن بين الأغنياء والفقراء .

الحملة على الأديان ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس وليست من مبتكرات المادية الماركسية التى زعمت أن الدين أفيون الشعوب .

قال الأديب الفرنسى « فولتير » أن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء .

وفولتير أيضا لم يكن مبتكرا لهذا فمن قديم ظهر مثل هذا الزعم عند «السوفسطائيين» من اليونان الذين أنكروا حقائق الأشياء أو شككوا فيها وكان فيما روجوه من مغالطات وتشكيكات أن الإنسان فى أول نشأته كان لا يخضع إلا للقوة لا لخلق ولا لقانون ، ثم كان أن وضعت القوانين ، فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية . ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة فهنالك فكر بعض العباقرة فى إقناع الجماهير بأن فى السماء قوة أزلية أبدية ترى كل شىء وتسمع كل شىء ، وتهيمن بحكمتها على كل شىء (١) .

ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة قد استحدثت فى عصر ما أو أن يكون ثمت وضع خاص من أوضاع العبادات قد جاء مجلوبا مصنوعا فذلك سائغ فى العقل بل واقع بالفعل . أما فكرة التدين فى جوهرها ، فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان .

(١) الدين للمرحوم الدكتور دراز ص ٧٤ .

مكتبتنا العربية

يقول معجم « لاروس » للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . . وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى ، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .

ويقول هنرى برجسون : « لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بدون ديانة .

ويقول أرنست رينان فى تاريخ الأديان : « إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة فى الحياة الأرضية » .

ويعلق الأستاذ محمد فريد وجدى على هذه الكلمة فى دائرة معارفه فيقول فى مادة «دين»: « نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، ناهيك بميل رفع رأس الإنسان بل إن هذا الميل سيزداد ... ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

والحق أن الإيمان بقوة عليا — خلقت هذا الكون وقامت بتدبيره ورعايته على أحكم نظام — ضرورة عقلية بعد كونه ضرورة فطرية وجدانية ، فإن العقل الإنسانى بغير تعلم ولا اكتساب يؤمن بقانون السببية ولا يقبل فعلا من غير فاعل ، ولا صنعة من غير صانع .

وبدون التدين والإيمان سيظل هذا السؤال الذى أثاره القرآن حائراً بغير جواب « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض ؟ » وبداهة لم يخلقوا من غير شىء ، وطبعاً لم يخلقوا هم أنفسهم ، ولم يزعم أحد أنه خلق ذرة فى السموات أو فى الأرض ، فلم يبق إلا الاعتراف بوجود الخالق العليم الحكيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

والذين فروا من الاعتراف بالألوهية الخالقة لأنها شىء غير مشاهد ولا محسوس ولا يدخل تحت التجربة ، لم يمكنهم إلا أن يلجئوا إلى قوة غامضة خفية هى الأخرى أطلقوا عليها « الطبيعة » .

وقد كان الوثنيون والجاهليون أقوم فكراً وأصرح رأياً حين اعترفوا بموجب الفطرة ومقتضى العقل فلم يلفوا ويدوروا كهؤلاء الذين يقولون : بالدهر والطبيعة ، فحين سئلوا من خلق السموات والأرض ؟ قالوا

مكتبتنا العربية

فى صراحة وصدق : خلقهن العزيز العليم . « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون : الله »

* * *

وكان من مقتضى الحكمة الإلهية البالغة والرحمة الإلهية الواسعة ألا يترك الناس سدى أو هملا يتخبطون على غير هدى أو يختلفون بغير حكم ولا مرجع ... فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . وليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه . وليضعوا لهم أسس الحياة الفاضلة ، وليرسموا لهم الطريق إلى الله وإلى سعادة الآخرة والأولى « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

وكان من حكمة الله أن يكون هؤلاء بشراً لا ملائكة يبعثون من بين أقوامهم ليكونوا آنس بهم وأعرف بأحوالهم وأقدر على التأسى بأخلاقهم وقد تعجب بعض الناس أن يرسل الله بشراً فرد الله عليهم « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » .

وقد أيد الله هؤلاء المرسلين بالحجة القاطعة والآيات البينات على صدق دعوتهم وأنهم رسل الله حقا ولم يملك المنصفون من معاصريهم إلا أن يذعنوا لهم ويؤمنوا برسالتهم « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » وأوضح مثل على ذلك سحرة فرعون الذين انتقلوا من الإيمان بربوبية فرعون إلى الإيمان الحق و « قالوا : آمنا برب هرون وموسى »... « لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا » .

وقد تعهد الله البشرية فى شتى عصورها بأنبياء ومرسلين كانوا منارات هادية وقادة مبينين ومعلمين إلى أن أكمل الله الدين وختم الرسالات ببعثة النبى الأمى محمد بن عبد الله بالرسالة العامة الخالدة ليكون للعالمين نذيرا « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

* * *

يخطئ كل الخطأ من يحاول أن ينعت الإسلام بأنه رسالة أرضية اخترعها بشر ونسقها فكر إنسان ، أو أنه ظاهرة اجتماعية أوحت بها أسباب تاريخية أو عوامل اقتصادية. ... إن من يحاول هذه المحاولة يخدع نفسه أولا ويكذب على الناس ثانيا ... ذلك أنه يعصب عينيه ويستر عقله عن كل عوامل المعرفة الصحيحة ، فهو يتجاهل التاريخ الصحيح ، ويضل عن الواقع الاجتماعى والعملى فى جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده...

مكتبتنا العربية

فإن أحوال القبائل العربية فى مكة وما حولها معروفة فى التاريخ كانت حياتها حياة انتجاع وسفر وتجارة ، وسمر ولهو ، وحرب وخصام على ناقة أو فرس — كما نعرف من حرب البسوس ، وداحس والغبراء .

ومن ناحية العقيدة معروف كذلك أنه كان لكل قبيلة وثن تعبده وتستعينه وتستقسم عنده ، وكانت الكعبة معظمة عندهم يتوارثون تعظيمها من قديم وكانت كل قبيلة تأتى بصنمها فتجعله حول الكعبة حتى بلغ عدد الأصنام فى الكعبة ثلثمائة وستين .

ولم تكن الوثنية سطحية فى بلاد العرب بل كانت متغلغلة فى أعماق حياتهم : ظهر ذلك فى حجهم ونذورهم وبحائرهم وسوائبهم وسائر شئونهم ، وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » .

والتحنف قبل الإسلام لم يعرف به إلا أفراد معدودون كانوا أسلم فطرة وأنضج عقولا من أن يجاروا تيار الوثنية فى قومهم فهجروا الأوثان وتعبدوا على ما بلغهم من دين أبيهم إبراهيم ، أو اعتنقوا ديانة كتابية كالنصرانية .

ومن هؤلاء أربعة نفر ثلاثة من قريش ورابع من حلفائهم ، فالقرشيون عمر بن نفيل بن عبد العزى العدوى ، وورقة بن نوفل الأسدى الذى قرأ الكتب القديمة ، وعرف النصرانية واتبعها . وعثمان بن الحويرث الأسدى والرابع عبيد الله بن جحش ابن أسد بن خزيمة ...

ولم يكن لهؤلاء دعوة أو أثر فى قومهم يخفف من غلواء وثنيتهم وتمسكهم بأصنامهم حتى إن دعوة الرسول محمد إلى التوحيد لقيت استنكاراً بالغاً ورفضاً صارماً «أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » .

ولمعرفة الرسول بعصبية قومه لوثنيتهم لم يفاجئهم بدعوته إلى التوحيد وتحسس طريقه إلى القلوب لمدة ثلاث سنوات ثم بدأ ينذر عشيرته الأقربين ويتدرج فى التبشير بالدعوة ومع هذا لم يكد يعثر إلا على الفرد بعد الفرد مدة ثلاثة عشر عاما لقى فيها مرير الأذى وصنوف العذاب هو وأصحابه واضطر أن يأمرهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين .

وأعقب هذا الاضطهاد والناس فى مكة صراع دام فى المدينه دافعت به الوثنية عن نفسها وألقت بكل ما تملك من أرواح وأموال حتى لا يقوم فى الأرض دين التوحيد ...

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إن الجزيرة العربيه كانت تتطور إلى التوحيد بتأثير

مكتبتنا العربية

العوامل الاجتماعيه ، وأن التحنف كان ظاهرة عامة قبل الإسلام .

كان من حق الناس أن يقولوا لمن يدعى النبـــوة عن الله : ائت بآية إن كنت من الصادقين وقد أيد الله رسله بآيات كونية ناسبت عصرهم وما برع فيه قومهم من مثل قلب العصا حية لموسى ، وإحياء الميت وإبراء الأكمه لعيسى ..

ولما كانت دعوة محمد دعوة عامة خالدة للإنسانية كلها وللأجيال كلها شاءت حكمة الله أن يؤيده بآية عامة خالدة أيضاً ، آية عقلية معنوية هى (القرآن الكريم) .

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين »

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » وقد اشتمل القرآن على وجوه من الإعجاز خرست أمامها ألسنة المعارضين وانقطعت حجتهم أمام التحدى الواضح المثير « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

« قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

« قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » وحقت عليهم الغلبة والإذعان التى سجلها التاريخ والواقع .. وصدق قول القرآن نفسه « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

واستطاع هذا الكتاب المبين أن يحدث أكبر ثورة نفسية واجتماعية غيرت وجه التاريخ وأنشأت أمة من العدم قوتها من ضعف وهدتها من ضلالة وجمعتها من شتات . فأصبح لها بفضل هذا القرآن كيان واحد وتشريع يحتكم إليه وأخلاق توجه سلوكها وأعلم لها وجهة الخير ، ورسالة عالمية تدعو الناس إليها « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » .

وقد امتاز القرآن عن آيات الأنبياء جميعا بأنه آية وهداية معا أو كما وصف نفسه : « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

والآية المعجزة إذا كانت من جنس الرسالة والدعوة ، كانت أدل على صدق من أيد بها وأثبت عند العقل من الآيات الخارجة عنها .

مكتبتنا العربية

وضرب بعض العلماء لذلك مثلا : رجلا ادعى فى بلاد كثرت فيها الأمراض أنه طبيب وأن دليله على ذلك أنه ألف كتابا فى علم الطب ، يداوى المرضى بما دونه فيه فيبرءون فاطلع عليه الأطباء البارعون ، فشهدوا بأنه خير الكتب فى الطب وما يتعلق به من عمل ثم عرض عليه من لا يحصى عدداً من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرئوا من عللهم ، وصاروا أحسن صحة ، فهل يمكن المراء فى صحة هذه الدعوى - دعوى الطبيب - مع هذين البرهانين العلمى والعملى ؟ .

كلا . وإن العلم بطب الأرواح أعلى وأعز منالا من طب الأجسام وإن معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع أعسر من مداواة أعضاء الأفراد .

ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية ، وأصول التشريع الاجتماعى والمدنى ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم عالج به أمة عريقة فى الشقاق وحمية الجاهلية ، غريقة فى الجهل والأمية ، ورذائل الوثنية ، فشفيت واتحدت وتعلمت الكتاب والحكمة ، وسادت الأمم من بدو وحضر ، مع أنه كان أميا لم يتعلم شيئا من العلوم ولم يتمرس فى سياسة الشعوب .

« كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم »

لو استدل ذلك الطبيب الجسدانى على صحة دعواه بعمل غير مألوف للناس ، ولكن لا علاقة له بالطب ، لأمكن المراء فى صحة دعواه ، كذلك شأن هذا النبى فى ادعائه أنه مرسل من الله لهداية البشر ، فإن كتابه العلمى المؤيد بنجاح العمل به ، أدل على كونه وحيا أوحاه الله إليه من جعل عصا حية أو إحيائه ميتا لأن هذين - على غرابتهما - ليسا من موضوع الإرشاد والتعليم ، كما أنهما ليسا من موضوع الطب ، فهما إن دلا على صدق الرسول فدلالتهما ليست فى أنفسهما .

والإتيان بعمل خارق للمألوف فى العادة من سنن الكون ، هو دون الإتيان بالعلوم العالية الإلهية والتشريعية من غير تعليم ، فكيف بالإتيان بأنباء الغيب : الماضى والمستقبل ؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم دينا ودنيا ؟ .

فالقرآن إذا برهان على أن ما فيه من الطب الروحانى والاجتماعى وحى من المدبر الحكيم لا يمارى فيه إلا معاند مكابر أو مقلد جاهل [1] .

* * *

ظهر بعد نجاح الدعوة الإسلامية فى الجزيرة العربية - لأسباب نفسية وقبلية - بعض مدعى النبوة ، فماذا كانت حجتهم ؟

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٢١٨ .

وما هى كتبهم التى دعوا إليها الناس ، وماهى أعمالهم التى ترجمت رسالاتهم ؟.

فى العام التاسع والعاشر من هجرة الرسول، ثم فى عهد أبى بكر ، تنبأ مسيلمة الذى ظهر فى اليمامة فى قومه بنى حنيفة ـ مناوئة لقريش أن تستأثر بالنبوة فى زعمهم وزعمه .

والأسود العنسى الذى تنبأ فى (اليمن) .

وطلحة بن خويلد الأسدى الذى ظهر فى قبيلة (أسد) .

وسجاح بنت الحارث والتى ظهرت فى (بنى تغلب) .

وقد تحدثت الروايات عن مسيلمة وغيره أنهم أنشئوا كتبا يعارضون بها القرآن ، لم تسع ذاكرة الأدب والتاريخ شيئا منها إلا ما تندرت به الروايات من مثل قول مسيلمة : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » .

وسواء صحت هذه الروايات أو لم تصح فإن التاريخ الذى ترك لنا تراثا هائلا من الشعر والحكم والأمثال وغيرها لم يجد شيئا ذا قيمة أدبية يمكن أن يسجله أو يحتفظ به .

ولم يستطع باطل هؤلاء أن يصمد طويلا أمام الإسلام الحق فسرعان ما انتهى أمرهم ، بعضهم بالموت وبعضهم بالإذعان للإسلام كما فعل طلحة الذى انضم إلى صفوف المجاهدين المسلمين بحماسة بالغة ، يكفر بها عن ماضيه فى مناوأة الإسلام .

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

وفى عهد الدولة العباسة تحكى لنا بعض الروايات عن أشخاص اتهموا بمعارضة القرآن منهم « ابن المقفع » ولم تعزز هذه التهمة بذكر نصوص هذا القرآن المقلد .

فقد ذكر ابن قيم الجوزية والباقلانى أن ابن المقفع عندما انتهى إلى قوله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » إلى قوله تعالى : « وقيل بعداً للقوم الظالمين [1] » . عدل عن إنشاء قرآنه وقال : هذا ما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة ، وأحرق ما كان قد اختلقه .

ويقول الباقلانى : إن قوما ادعوا أن ابن المقفع عارض القرآن فى كتابه « الدرة اليتيمة » ولم يجد الباقلانى فيما أنشأ ابن المقفع بهذا الكتاب ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن [1] .

ومن الذين اتهموا بهذه التهمة وهى محاولة محاكاة القرآن « أبو العلاء المعرى » فى كتاب الفصول والغايات » وما ورد فى هذا الكتاب « أقسم بخالق الخيل . والريح الهابة بليل

(١) القرآن لمحمد صبيح ص ١٥٨ .

مكتبتنا العربية

بين الشرط ومطالع سهيل. إن الكافر لطويل الويل . وإن العمر لمكفوف الذيل . فعد مدارج السبيل ، وطالع التوبة من قبيل تنج وما إخالك بناج » .

ويقول الرافعى فى إعجاز القرآن [١] : ولا ريب أن هذا قرية على المعرى أراده بها عدو حاذق ، لأن الرجل أبصر بنفسه ، وبطبقة الكلام الذى يعارضه ، وما أراه إلا أعرف الناس باضطراب أسلوبه ، والتواء مذهبه ... الخ .

ويقول طه حسين فى كتابه « مع أبى العلاء فى سجنه » [٢] هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن فى الفصول والغايات كما ظن بعض القدماء ، نعم ، ولا .

نعم : إن فهمنا فى المعارضة مجرد التأثر ومحاولة المحاكاة ، إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد نظر إلى القرآن على أنه مثل أعلى فى الفن الأدبى فتأثره ، وجد فى تقليده ، كما يتأثر كل أديب بما يعجب به من المثل الفنية العليا . ذلك شىء لا شك فيه ، فأيسر نظر فى كتاب « الفصول والغايات » يشعرك بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطوالها ، وليس المهم أنه وفق فى هـذا التقليد أو لم يوفق بل من المحقق أن التوفيق لم يقدر له كما لم يقدر لغيره ، بل من المحقق أيضا أنه لم يظفر إلا بمثل سجع الكهان ، ولكن المهم أن هذه المحاولة ظاهرة ملموسة فى الكتاب ولا تلزمه إثما ولا حوبا .

ولا : إن فهم من المعارضة الاستجابة للتحدى ومحاولة الإتيان بسورة أو سور مثل القرآن فهذا خاطر ما أحسبه خطر لأبى العلاء ، فقد كان أشد تواضعاً من أن يبلغ به الكبر إلى هذا ، وقد كان أعقل من أن يطاول ما لا سبيل إلى مطاولته ... إلخ .

وآخر ما عرفنا من محاولات المتنبئين الذين يتحدثون عن صلتهم بوحى السماء ، وأنه ينزل عليهم قرآنا ، كما كان ينزل القرآن على محمد هى محاولات غلام أحمد الهندى القادياني وميرزا على الباب ، وتلميذه البهاء .

ومن حسن الحظ أن أتباع هؤلاء لا يظهرون هذه القرآنات المزعومة ، بل يسترونها كما تستر العورات . . ومن استطاع بوسيلة ما أن يقرأ شيئا من هذه الكتب لم يجد إلا الغثاثة والتفاهة الفكرية والبيانية ... وخرج منها بيقين أعمق بأن هذا القرآن من عند الله « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

والإسلام الذى بعث به محمد وكان القرآن مصدره الأول ليس — كما يظن القاصرون

---

(١) ص ١٨٩ .

(٢) ٣٣٦ .

مكتبتنا العربية

دينا لاهوتيا ، وليس عقيدة فقط تعنى بالجانب الروحى للإنسان دون أن تعنى بتنظيم علاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة ، وعلاقته بإخوانه بنى الإنسان أفراداً وأسراً ومجتمعات ودولا .

كلا إن الإسلام عقيدة شاملة ينبثق عنها نظام عالمى كامل تقوم على أساسه أمة عالمية متوازنة أبرز سماتها ما وصفها به القرآن : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

* * *

وللعقيدة الإسلامية مزايا وخصائص لا تتوافر لغيرها من العقائد الدينية فهى عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ، تتلخص فى أن وراء هذا العالم المتسق البديع المحكم ربا واحداً ، خلقه ونظمه ، وقدر كل شىء فيه تقديراً وهذا الرب والإله ليس له شريك ولا شبيه ، ولا صاحبة ولا ولد ، « بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون » .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة . فالعقل دائما يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة ويريد أن يرجع الأشياء دوما إلى سبب واحد والواقع المطرد يثبت أبداً أن تعدد الإرادات لا ينتج عنه أثر متكامل أو نظام متسق والقرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » .

وهى عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ، ولا مناقضة لها ، بل هى منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم ، وهذا هو صريح القرآن « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهى عقيدة ثابتة محددة ، لا تقبل الزيادة والنقصان ، ولا التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام ، أو بمجمع من المجامع العلمية ، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ، أن يضيف إليها ، أو يحور فيها ، وكل تحوير أو إضافة مردود على صاحبه ونبى الإسلام يقول : (من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود عليه والقرآن يقول : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » .

وعلى هذا فكل البدع والخرافات ، والإضافات التى لصقت بعقائد المسلمين أو دست فى بعض كتبهم ، أو أشيعت بين عامتهم - باطلة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ حجة عليه .

* * *

مسألة الجبر والاختيار ، مسألة حار العقل البشرى فى الوصول إلى رأى قاطع فيها وتنازع

مكتبتنا العربية

فيها الفلاسفة ، وعلماء الأخلاق ، والنفس والتربية وغيرهم منذ تفلسف الإنسان إلى اليوم وبحث .

وعقيدة الإسلام في هذا هي العقيدة المتوازنة المطابقة للفطرة السليمة والواقع المشاهد .

فالإنسان بالنسبة لهذه العقيدة ، حر مسئول عن نفسه وعمله — في دائرة أعماله الاختيارية — له أن يقدم وله أن يحجم كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه ، وكما تشهد نصوص القرآن نفسه « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » « لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » « فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » إلى غير ذلك من آيات تبلغ الستين أو تزيد ، كلها تقرر حرية الإنسان وكسبه ، ومسئوليته عن عمله « ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

ولم يكتف القرآن بهذا التقرير الإيجابي ، ولكنه زاد على ذلك فحمل بقوة على الجبريين الذين يلقون بشركهم وأوزارهم على كاهل القدر محتجين . بمشيئة الله تعالى في فعل ما فعلوا ، أو ترك ما تركوا

وفي أربع سور من القرآن يرد الله تعالى على هذا الزعم الباطل في سورة الأنعام : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون قل : « فلله الحجة البالغة » .

وفي سورة النحل « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » .

وفي سورة يس « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين » .

وفي سورة الزخرف « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون » .

وبهذه الردود الصريحة على الجبر من القدماء قل هل عندكم من علم . . ؟ كذلك فعل الذين من قبلهم . . إن أنتم إلا في ضلال مبين — ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون » عرف

موقف القرآن الحاسم من مشكلة الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية .

بيد أن الإنسان - كما هو الواقع - ليس مطلق الإرادة ، كامل الاختيار ، بحيث يفعل كل ما يشاء وينفذ كل ما يريد ، ولو فعل لكان إلها .

ولم يستطع أحد - مهما بلغ فى الانتصار للحرية الإنسانية - أن ينكر محدودية الإرادة البشرية . فحكموا فيها الوراثة أو البيئة أو كليهما ، وعبر عن ذلك بعض الفلاسفة بقوله: « الإنسان حر فى ميدان من القيود » .

حتى أولئك الماديون الجدليون قيدوا الإنسان بوسائل الإنتاج وظواهر الاقتصاد فهى التى تكيف تفكيره وسلوكه . وتوجه سير أحداثه ، وبذلك نزلوا بالإنسان إلى أحط مستوى من الجبرية حين جعلوه عبدا خاضعا لمظاهر المادة ، لا سيداً مهيمنا عليها كما يقرر الإسلام .

هذه الحقيقة المتفق عليها - محدودية الإرادة البشرية - قررها الإسلام فى صورة أشرف وأكرم للإنسان من الجبرية المادية أو التاريخية فالإنسان فى عقيدة الإسلام حر مختار فى دائرة ما رسم الله للوجود من سنن يجريها بقدرته ومشيئته ووفق علمه وحكمته - على أجزاء الكون كله ، ومنها هذا الإنسان .

الإنسان إذا حر ، لأن الله أراد له الحرية أو هو يشاء ، لأن الله قدر له أن يشاء : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

ولا عجب أن يذكر القرآن - بجانب حرية الإرادة الإنسانية عمل الإرادة الإلهية ، وهيمنة القدر الأعلى ، الذى يرعى الإنسان والكون جميعا « إنا كل شىء خلقناه بقدر » « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » ، « فعال لما يريد » ، « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » .

وإيمان المسلم بقدر الله ليس إيمانا بعقيدة جبرية ولا بمذهب أهل الصدفة والاتفاق ، وإنما هو إيمان بأن الكون لا يمشى بغير غاية ولا يسير بغير تدبير ، كيف وكل ذرة من ذراته فى الأرض أو فى السماء يحيط بها علمه وتجرى عليها مشيئته وقدرته وفق حكمته البالغة ، ورحمته الواسعة ... « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » .

هذا والإيمان بالقدر على هذا النحو لا ينافى الاجتهاد فى العمل ، واتخاذ كل ما يمكن من أسباب ، فإن الله كما كتب المسببات كتب الأسباب ، وكما قدر النتائج قدر المقدمات ، فهو لا يقدر للطالب مثلا النجاح بحسب بحيث يصل إلى هذه النتيجة عمل أو لم يعمل ولكنه تعالى قدر له النجاح ، بوسائله من

مكتبتنا العربية

جد وحرص وانتباه ووعى وصبر ومداومة إلى آخر هذه الأسباب فهذا مقدر مكتوب وذاك مقدر مكتوب .

وإذا فالأخذ بالأسباب لا ينافى القدر بل هو من القدر أيضا ولهذا حين سئل صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والأسباب التى يتقى بها المكروه : « هل ترد من قدر الله شيئا ؟ كان جوابه الفاصل : هى من قدر الله ».

ولما انتشر الوباء فى بلاد الشام قرر عمر بمشورة الصحابة . العدول عن دخولها والرجوع بمن معه من المسلمين ، فقيل له : أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت إن نزلت بقعتين من الأرض إحداهما مخصبة ، والأخرى مجدبة ، أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أقوى الناس إيمانا بقدر الله - كان أكثر الناس اتخاذا للأسباب وعملا بمقتضاها ، فقد أخذ الحذر وأعد الجيوش ، وبعث الطلائع والعيون ، ولبس المغفر على رأسه ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة ، وأذن فى الهجرة إلى الحبشة ... إلى آخر ما نعرف من سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه المهتدين .

ومع وضوح هذه القضية فى الإسلام على نحو ما رأينا قولا وعملا ، ونظرا وتطبيقا فإن النبى صلى الله عليه وسلم من الناحية العملية كمرب وقائد وإمام أمر أصحابه - سدا للذريعة ، ودرءا للفتن - أن يغلقوا أبواب الجدل العقيم حول المسائل الشائكة التى حارت فيها العقول من قديم ، وهدى الوحى الإلهى الناس فيها إلى القدر الذى فيه نفعهم فى الدين والدنيا ... ومنها « مسألة القدر » .

قال الشيخ محمد عبده : « ولكن وا أسفاه نبأت رءوس بين المسلمين كأنها رءوس الشياطين ... جاء الموالى من عجم الفرس والرومان ، ولبسوا لباس الإسلام ، وحملوا إليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق ، وأحدثوا فى الدين بدعة الجدل فى العقائد ، وخالفوا الله ورسوله فى النهى عن التكلم فى القدر ، وخدعوا المسلمين ببهرج القول وزوروا الكلام حتى كان ما كان من تفرق المسلمين شيعا ، والله يقول لنبيه : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ».

وجد بين المسلمين طائفة تعرف (بالجبرية) ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يعذلها الحق ويطردها العقل ، وينبذها الدين ، حتى انقرضت بعد ظهورها بقليل ، وغلب على المسلمين مذهب التوسط بين الجبر والاختيار وهو مذهب الجبر والعمل وصدق الإيمان ... إلخ .

يثير بعض الماديين المتحذلقين غبارا

مكتبتنا العربية

حول ما ذكره القرآن ، بل الكتب السماوية جميعاً عن انتهاء هذه الحياة ، وقيام الساعة ، ويوم الجزاء ، والجنة والنار .

وكان مما أثاره هؤلاء : أن القرآن يقول : « لعل الساعة تكون قريباً » وقد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ولم تقم الساعة بعد ونسى هؤلاء أو تناسوا أن القرب والبعد مسألة نسبية ، وألف عام أو أكثر ليس إلا زمناً يسيراً وعهداً قريباً بالنسبة لعمر الدنيا وخاصة إذا عرفنا ما يقوله علماء الجيولجيا الذين يقدرون عمر الأرض بالملايين من السنين والقرون ، ونضيف إلى هذا أن محمداً خاتم الأنبياء ، وأن رسالته هي الكلمة الأخيرة من الله للناس . وبذلك يكون معنى القرب واضحا . فلا نبي بعده ، ولا رسالة بعده حتى تقوم الساعة .

أما الحياة الآخرة فهي نشأة أخرى يستوفى فيها كل عامل جزاء عمله بالعدل التام والقسط الأوفى ، فكثيراً ما تقصر الحياة الأولى عن تكافئ الأخيار بما قدموا ، أو تجزى الأشرار بما أسرفوا ، والإيمان بوجود إله عادل حكيم يستوجب وجود هذه الدار الأخرى « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » . أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ، « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار . »

والإيمان بدار الجزاء والخلود ليس معناه اضطراح الدنيا ، واستدبار الحياة والعيش فيها عيشة التواكل والتمني الفارغ ... كلا فإن استحقاق السعادة في الآخرة لا ينال إلا بالعمل الدائب والجد المتواصل « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .

وحسبنا في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما فهموا الحياة ولا عاشوها إلا سعيا وكفاحا ، وضربا في الأرض ، وسعياً في كل ميدان من ميادين الحياة ، لم يقعدوا ولم يكسلوا انتظاراً للجنة وما فيها من نعيم ، والآخرة وما فيها من راحة ، كيف وقرآنهم يقول : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

مكتبتنا العربية

والنظام الإسلامى لا يقتصر على ناحية من نواحى النفس أو المجتمع أو الحياة ، أو يهتم بها على حساب غيرها .. كلا إنه يشمل كل النواحى وينظم كل العلاقات الروحية والمادية . الفردية والاجتماعية . ويقيمها جميعاً على أساس من التوازن والعدل فيما بينها بالقسطاس المستقيم . فلا يطغى المادة على الروح ، كما هو سمة اليهودية ، ولا يهضم جانب المادة من أجل الروح كما هو دعوى النصرانية . ولا يطغى الفرد على حساب المجتمع كما هو نظام الرأسمالية ، ولا المجتمع على حساب الفرد كما هو الشأن والواقع فى الشيوعية .

ذلك أن هذا النظام لم يأت نتيجة ثورة جامحة كانت رد فعل لأوضاع فقاومت التطرف فى اليمين بالتطرف فى اليسار كما هو الشأن فى الثورات التى جمحت دائما وجاءت بأنظمة شكا الناس منها وعدلوها بعد زمن قليل .

ولم يضع هذا النظام فرد أو مجموعة أفراد من البشر تحكم عليهم مواريثهم وبيئتهم وظروفهم وثقافتهم - فضلا عن أهوائهم وشهواتهم - فيتجهون بالنظام الذى يضعونه وجهة ذاتية توافق تكوينهم الشخصى ، وظرفهم الزمنى ، ووضعهم الإقليمى ونزوعهم القومى . . ولذلك لا يلبث الناس بعد حين أن يتبينوا نقصا أو انحرافا فيما وضعوا أو وضع لهم من نظام .. فيقومون أو يطالبون بالتغيير والتعديل والتبديل . . . أما نظام الإسلام فواضعه هو الله رب الناس ملك الناس إله الناس، لا يتحيز لجنس على جنس ولا لطبقة على طبقة ، ولا لجيل على جيل لأنهم جميعاً عباده وهو رب العالمين ، كما أنه تعالى لسعة علمه لا تخفى عليه مصلحة، ولسعة رحمته لا يريد لعباده عسراً ولا عنتاً « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وأول ما شرعه نظام الإسلام هو تنظيم العلاقة بين الله وبين عباده . فإن العباد لم يخلقوا أنفسهم ، ولا أنشئوا فى الأرض أو فى السماء شيئا مما حولهم من نعم غامرة . ورحمة سابغة . فحق الخلق لهم والإنعام عليهم ، والتكريم لهم على من سواهم من الخلق .. يقتضيهم أن يقوموا بشكر ربهم ويعرفوا له حقه ، فيعبدوه وحده لا شريك له، ويخلصوا له الدين هذا ما تنادى به الفطرة السليمة وهو عين ما جاء به الإسلام « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

مكتبتنا العربية

وقد نقى الإسلام العبادة مما ألصقها به أهل الملل والنحل المختلفة ، من طقوس شركية ووساطات زعموها بين الله وعباده وابتداعات وثنية لم يأذن بها الله ، فالصلاة اتجاه إلى الله وحده لا يتوقف على إذن كاهن ، ومكان خاص « فالأرض كلها مسجد ، وأيما رجل مسلم أدركته الصلاة أذن وكبر وصلى » .

والإمام فى صلاة الجماعة — التى فضلها الإسلام على صلاة الفرد بدرجات كبيرة — ليس رجل كهنوت وإنما هو واحد منهم ، يقدمونه لعلمه أو صلاحه ، يستمعون له إذا قرأ ويصححون له إذا أخطأ .. ومرد القبول فى صلاة الجميع إلى الله وحده الذى يعلم الصادق من غيره « إنما يتقبل الله من المتقين » .

وهذه الصلاة الإسلامية بكيفيتها ، ومواقيتها وشروطها ، وما يتلى فيها من أقوال ، وما يؤدى فيها من أعمال لم تعرف لدين ، ولا لمذهب من قبل ، إنها الصلة اليومية للمسلم بربه ، وهى طهارة للجسد ، وزكاء للنفس وتربية للخلق ، وتنمية للوازع الأدبى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » كما أنها بما شرع فيها من جمعة وجماعة رباط اجتماعى وثيق ومدرسة يتعلم فيها المسلم بطريقة عملية — النظام والإخاء والمساواة وهى بما اشترط لها من استقبال قبلة واحدة تعلم المسلمين فى أنحاء الأرض وحدة الغاية والفكرة والاتجاه ، والحج رحلة يتجه فيها المسلم بدينه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة : ذلك البيت الذى بناه إبراهيم الخليل محطم الأصنام وهادم الشرك والوثنية وأبو الأنبياء المرسلين . والذى أمره الله بالتأذين بالحج فى الناس « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ؛ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » .

لكن هذه العبادة التى وضع أساسها إبراهيم خالصة لله .. لم يلبث كر الأيام ومر السنين . أن بعد بالناس عن شرع الله فيها ، وجرهم الجهل والهوى والخرافة ، فاتخذوا من دون الله أوثانا وضعوها فى بيت التوحيد وبدلوا فى شعائر الحج ومناسكه فطافوا بالبيت عرايا وقدموا القرابين للأصنام وخلطوا ما بقى من التوحيد بما ابتدعوا من شرك فكانوا يقولون فى تلبيتهم « لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك » يمنون بهذا الشريك أصناما لهم .

جاء الإسلام والقوم على هذه الحال فمحا معالم الشرك وحطم النبى بيده الأصنام التى نصبوها حول الكعبة — يوم الفتح — وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن

مكتبتنا العربية

الباطل كان زهوقا، وخلصت الكعبة للتوحيد، ورد النبي الحج إلى ما كان عليه فى عهد أبيه إبراهيم وخلصه من آثار الوثنية الجاهلية وأصبح شعار الحج « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » وما ربط الله شعائر الحج بأماكن معينة فى البلد الحرام مكة إلا لأنها أرض الذكريات وميراث إبراهيم ، ونبت الدعوة ، فهى وصلة بين قديم المؤمنين وجديدهم وكل ما يقوم به المؤمنون من أعمال فى الحج إنما هى رموز لها دلالتها وإيحاءاتها فى أنفسهم مجردة من أى قصد ذاتى لها إلا قصد التعبد لله باتباع ما أمر وأداء ما أوجب ، وقديما وقف عمر أمام الحجر الأسود وقال : « أيها الحجر إنى أقبلك وأنا أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » .

أفيقال بعد هذا إن المسلمين إنما يحجون إلى حجر أسود أو أحمر يسجدون له ويتبركون به .

إنما كان الحج قوى فى عين أعداء الإسلام لأنه المؤتمر الإلهى الجامع ، الذى يتنادى إليه المسلمون من كل فج وصوب فيربط بين قلوبهم برباط الأخوة الإسلامية العامة ، ويذكرهم بوحدة الهدف ، ووحدة الآمال والآلام، ويوحى إليهم أن يعملوا ويتعاونوا ليعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس، وهذا ما تغص به حلوق أعداء الإسلام !!

وحسبنا هذه الكلمة الموجزة فى هاتين العبادتين ، وهى كافية فى التعبير عن روح الإسلام فى تنظيم العلاقة بين الله والناس .

ولننظر الآن كيف نظم الإسلام العلاقات بين الناس هل أيد الإسلام الإقطاعيين ؟ هل أقر الظلم الاجتماعى ؟ هل أعان طبقة على طبقة أو قويا على ضعيف ؟ هل ترك المجتمع تتحكم فيه الفوارق المصطنعة من عنصرية ، أو وراثة حسب أو جاه ؟ .

ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية :

إن أدنى دراسة لتعليم الإسلام تبين أنه ليس دين طبقة خاصة أو فئة معينة إنما هو دين قامت أسسه الاجتماعية على : الأخوة والعدالة ، والمساواة وضح ذلك فى شعائره وعباداته كما وضح ذلك فى أنظمته الاقتصادية والسياسية .

اعترف الإسلام بالتفاوت الفطرى المعقول فى الأرزاق بين الناس ، إذ قبل ذلك ثبت تفاوتهم الفطرى فى القدر والمواهب والملكات والطاقات .

مكتبتنا العربية

والإسلام - كدين يعترف بالفطرة ويسمو بها ولا يقاومها - اعترف بالملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع ليشبع بذلك الدوافع البشرية الفطرية فى حب التملك والمنافسة والادخار . ولكن الإسلام لا يحترم الملكية الفردية إذا نشأت عن سبب غير مشروع ، كالغصب ، والسرقة الجلية ، أو الخفية ، كالهدايا للحكام ، واستغلال النفوذ ، وأخذ الرشوة والتحايل على أكل أموال الناس بالباطل بل يصادر هذه الملكيات مهما طال عليها الزمن واختلف الليل والنهار ، فطول الزمن لا يبيح المحظور ، ولا يقلب الحرام حلالا .

والإنسان فى الإسلام ليس مالكا حقيقيا ، يتصرف فى ماله كيف يشاء ، لا ، فالمال مال الله .. ، ومعنى هذه العبارة أنه مال الجماعة ، والغنى موظف على رعايته وتنميته ، وإنفاقه بما يوافق صالح الجماعة لا بما يضارها ، فهو مستخلف على المال « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

فالملكية إذا : وظيفة اجتماعية ، والغنى إذا مطالب إزاء مجتمعه بواجبات مالية أدناها الزكاة ... وهى : ليست تبرعا ولا إحسانا يعطيه الغنى للفقير فيشعر بالاستعلاء ، ويشعر الفقير بالمذلة والهوان ، بل هى حق معلوم وضريبة مفروضة تأخذها الحكومة بواسطة « الجباة » العاملين عليها ، وتنفقها على المحتاجين أو على المصالح العامة « وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله » .

والزكاة ليست تعليما فرعيا أو ثانويا من تعاليم الإسلام بل هى ركن من أركانه وأصل من أصوله لا يكون الفرد مسلما إلا بأدائها ، ولا تكون الدولة مسلمة إلا بالعمل على تحصيلها وجبايتها وقد حدثنا التاريخ أن أرباب المال من العرب عز عليهم دفع هذه الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل أى تهاون فى حق الفقير وجهز أحد عشر لواء لمحاربة الرأسماليين الأشرار وقال كلمته المشهورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

وقد أشاع بعض المغرضين كلاما مرذولا حول بيت المال الذى تجمع فيه الزكاة والموارد الأخرى للدولة الإسلامية ، زاعمين أن هذا المال إنما يجمع للخلفاء والسلاطين وأن بيت المال إن هو إلا خزينة خاصة ينفقون منها كيف شاءوا دون معقب أو محاسب .

والحق الذى يعرفه كل من درس شريعة الإسلام وتاريخه ، أن بيت المال ليس ملكا للخليفة ، وإنما هو ملك للأمة جميعا ،

مكتبتنا العربية

والخليفة إنما هو خازن أمين ، ليس له منه إلا راتبه بالمعروف كما قال أبو بكر (أعطوني كأوسط رجل من قريش ليس كأوكسهم ولا أعلاهم) ذلك أن أبا بكر صبيحة بويع بالخلافة ذهب إلى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقيه عمر فقال له : إلى أين ؟ قال إلى السوق ، قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالي ، فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة أمين بيت المال . ، فانطلق إلى أبي عبيدة . فقال للخليفة : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره .

وقال عمر : إنما أنا وهذا المال . كولي اليتيم ، إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

وأبى علي بن أبي طالب أن يأخذ من بيت المال شيئا لنفسه وأهله هذا هو مسلك الراشدين من حكام المسلمين وخلفائهم ، أما انحرافات بعض الحكام فليست حجة على الإسلام ولا يسأل عنها .

واعتراف الإسلام بالتفاوت الطبيعي في الرزق ، ليس معناه أن يدع الغني يزداد غنى ، والفقير يزداد فقرا ، بل تدخل بتشريعه القانوني ، وتوجيهه الأخلاقي لتقريب الشقة بين الأغنياء والفقراء ، فحد من طغيان أولئك ، ورفع من مستوى هؤلاء ... حرم على الأغنياء الكسب بالباطل .

وحظر عليهم الربا قليله وكثيره ، جليه وخفيه ، واعتبر آكل الربا محاربا لله ولرسوله ولعن كل من شارك في أمر الربا لأنه امتصاص الضعفاء لحساب الأقوياء ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) .

وحرم عليهم الاحتكار الذي هو سمة الرأسمالية الجشعة وأعلن رسول الإسلام (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) .

وحرم عليهم السرف والتبذير ، وجعل للحاكم سلطة الحجر على المبذرين السفهاء .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » .

« إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

وحرم عليهم ألوان الترف الذي يفسد الأفراد والأمم ، فالخمر ممنوعة ، وأواني الذهب والفضة محظورة ، ولبس الذهب والحرير للرجال محرم ، « وإذا أردنا أن نهلك قرية

مكتبتنا العربية

أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ، (من شرب فى آنية ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نار جهنم) .

ثم حرم الكنز وأنذر القرآن الكانزين بوعيد تنخلع له القلوب « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هـذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . ولم يحارب الكنز بالقول بل بالعمل ، فالزكاة محاربة عملية لكل مال يكنز إذ ينقص منه كل عام ٢ر٥ ٪ اثنان ونصف فى المائة ، فإن لم يعمل ويستثمر استهلكته الزكاة .

وبهذه الأساليب من تحريم للربا والاحتكار والسرف والترف من جانب ، ومحاربة للكنز وإيجاب للزكاة من جانب آخر أصبح مفروضا على صاحب المال أن يوجه ماله إلى الاستثمار المشروع والنماء لمنفعة الجماعة ، فيتحقق التوازن العادل الذى يريده الإسلام ويشير إليه قوله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ومن ناحية أخرى أتاح الإسلام الفرص المتكافئة للفقراء ليقفوا على قدم المساواة مع الأغنياء ، فباب العمل والكسب مفتوح للجميع ، ليس محتكرا لطائفة ولا مسدودا أمام أحد فمن أحيا أرضا ميتة فهى له ، ومن طرق باب تجارة فربحها له ، ومن عثر فى باطن الأرض على ركاز يدفع الخمس منه والباقى له .

ومن لم يجد عملا وجب على ولى الأمر أن يهيئ له عملا ، فإن لم يهيئ له أو كان عاجزا عن العمل أو كان أجره من عمله لا يكفيه كان واجبا على ولى الأمر أن يرعاه ويهيئ له ما هو حق لكل مسلم أو ذمى فى ظل دولة الإسلام من مأكل ومشرب وملبس فى الصيف وملبس للشتاء ، ومسكن يكنه ويأويه كما قرر فقهاء الإسلام .

وللحاكم إذا لم تكف الزكاة ، والموارد العادية لسد هذه الحاجات أن يفرض على أغنياء المسلمين الضرائب الكافية التى تقيم مصالح المسلمين ... وقد قرر علماء المسلمين هذا المبدأ : « إذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد ، وقد اتخذ الإسلام طرقا مثمرة فى تفتيت الثروات أبرزها تشريع الميراث الذى يوزع ثروة الرجل الواحد بين زوجته وأبويه وأولاده جميعا ، أو عصبته أو ذوى أرحامه توزيعا عادلا حكيما شمل الذكور والإناث ، لا الذكور فقط كما كان يفعل العرب فى الجاهلية ، ولا الابن الأكبر فحسب كما تصنع بعض الدول اليوم كانجلترا مثلا .

مكتبتنا العربية

ونظام الإسلام يتسع للأغنياء -كأفراد يجمعون الثروات من حلها وينفقونها فى حلها ولا يبخلون بها عند الحاجة إليها ، يتسع لهم كأفراد لا كطبقة لها مزايا شرعية ، أو حقوق قانونية ، أو سيادة اجتماعية يتوارثها الآباء عن الأبناء ، والأحفاد عن الأجداد فجميع الناس أمام القانون وأمام الله وكتابه سواء ، لا يتفاضلون إلا بمقدار وفائهم لإنسانيتهم وإيمانهم بالله واحترامهم لحقوقهم العامة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، (الناس سواسية كاسنان المشط) .

وإذا فالأغنياء إنما هم أفراد يثرون بجهدهم ونشاطهم ، وقد لا يدوم لهم الثراء ، بل قد ينقص أو ينتقل ميراثه إلى غيرهم ، فالفقر أو الغنى فى المجتمع الإسلامى ليس شيئا ثابتا مؤبدا ، بل هو أمر دائم التغير بتغير ظروف الحياة وفرص الكسب ، وقوانين الميراث .

ليس فى الإسلام إذا طبقات بهذا المعنى الذى كان معروفا فى الغرب — بمعنى طبقة لها مزايا وحقوق متوارثة كطبقة الحكام وطبقة الأشراف ، أو النبلاء وطبقة الفرسان وطبقة رجال الدين ... الخ .

الحكام أفراد تختارهم الأمة بواسطة أهل الحل والعقد فيها أو بأى وسيلة تختارها . وليسوا من فئة أو أسرة معينة بل قال الرسول : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى يقودكم بكتاب الله » ، وقال عمر قبيل موته « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته » .

ونظام توارث الحكم والخلافة نظام دخيل على الإسلام فلا يقره ولا يعترف به.

والفقهاء فى الإسلام ليسوا طبقة كهنوتية كرجال الأديان الآخرين إنما هم علماء متخصصون فى دراسة الإسلام عقيدته وتشريعه وأخلاقه ، فهم فى الحقيقة علماء دين ، وعلماء قانون وعلماء أخلاق واجتماع وليسوا واسطة بين الله وعباده ، ولا هم يملكون مفاتيح الجنة ولا هم باعة لصكوك المغفرة والرضوان.

لا طبقات إذا فى الإسلام بالمفهوم الغربى لهذه الكلمة وإذا سمى بعض الناس الأفراد الأغنياء فى دولة الإسلام طبقة فلا ضير فى التسميه إذا وضحت المسميات فقد قسم بعض الباحثين الناس إلى ثلاث طبقات : غنية وفقيرة ، وميسورة ، وهو تقسيم على وجه التقريب والتشبيه كتقسيم الناس إلى أبيض وأسود وأصفر من حيث اللون . ووجود

مكتبتنا العربية

الطبقة بهذا المعنى أمر اقتضاه نظام الوجود كله الذى قضى بالاختلاف والتفاوت حتى بين النباتات والجمادات ، فما بالنا بالإنسان وبين أفراده من التفاوت ما لا يوجد فى أى نوع من الأنواع الأخرى للكائنات ؟ ولقد زال رأس المال من روسيا وزال معه أغنياؤها وثرواتها ونبلاؤها ، وعلى هذا ظهرت فيها — كما قال الأستاذ العقاد طبقة حاكمة من الخبراء والمهندسين لا تدانيها فى سطوتها واستبدادها طبقة حاكمة فى أشهر البلاد ، لاستبداد نظم الصناعة ورأس المال (١) .

ولقد كان الإسلام دين الفطرة والواقع حقا حين اعترف بالتفضيل الموجود فعلا فى كل بلاد الدنيا — رأسمالية أو شيوعية — قال تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وإذا كان هذا صنع الله فالله لا يصنع شيئا عبثا ، إنه يصنعه لحكمة بالغة والحكمة هنا كما ذكر القرآن أمران : أولها : الابتلاء الذى على أساسه يقوم التكليف والجزاء « ليبلوكم فيما أتاكم » ثانيهما التسخير — « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » ، وهذا ليس تسخير القهر والإذلال كما يوهمه المدلول العرفى للكلمة إنما هو تسخير النظام والمصلحة المشتركة . فلو كانت الحياة مصنعا لم يكن صلاحه أن يكون كل العاملين فيه مديرين أو مهندسين بل لابد من المدير والمهندس والكاتب والعامل والخفير .

وإذا كان التفاضل فى الرزق لا يمنح صاحبه ميزة أو مرتبة دينية أو تشريعية فى المجتمع المسلم ، فإن التفاضل الحقيقى المعترف به ، هو التفاضل فى مجال العلم والإيمان ، والعمل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون » .

وهكذا أقام الإسلام العلاقة بين الغنى والفقير على أساس العدل والمساواة والإخاء ، فهو يسوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات العامة .

ويتيح الفرصة للجميع ليكتسبوا .

ويقول للأغنياء بعد هذا : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » .

ويقول لولى الأمر : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »

ويقول للفقير : (لا تحقد ولا تحسد) .

---

(١) حقائق الإسلام ٢٠١

مكتبتنا العربية

« لا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم »

ثم يقول للجميع: (كونوا عباد الله إخوانا).

وكذلك فإن الإخاء يسود المجتمع الإسلامى كله ، فلم يحقد فقير على غنى . ولم يبغ غنى على فقير ، وشعر الغنى أن الفقير أخوه ، وشعر الفقير أن مال الغنى ماله ...

فلا عجب أن رأينا بلال بن رباح ، وعمار ابن ياسر ، وأبا هريرة وأهل الصفة يعملون جنبا إلى جنب مع عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن عبادة ، لا يشعرون إلا بالحب والتعاون والإخاء .

ومن السهل بعد هذا أن نعرف إذا كان الإسلام يشجع الطبقية أو يعترف بالإقطاع والإقطاعيين !! .

جاء الإسلام فوجد العالم كله يعترف بنظام الرقيق : رق الأسرى فى الحروب . ورق السبى فى إغارات القبائل بعضها على بعض ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

فماذا كان موقفه ؟ لم يرد نص واحد بالاسترقاق على حين وردت عشرات النصوص تدعو إلى العتق ، وتفتح أبواب التحرير المرقاب[1] ولم تدعه للأفراد وحدهم يكفرون به من خطاياهم أو يتقربون به إلى ربهم ، بل جعله واجبا على الدولة تساهم به من مال الزكاة « وفى الرقاب » .

ولم يقتصر على فتح أبواب العتق بل قبل ذلك سد كل ما يمكن سده من منافذ الاسترقاق ولم يبق منه إلا ما أبقاه العالم المتحضر الآن . فإن الأمم التى اتفقت على معاهدات منع الرق تبيح الأسر واستبقاء الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو على افتداء بعضهم بالغرامة أو التعويض . أما فى عصر الدعوة الإسلامية فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المأسورين . وإذا كان ارتباط الأسرى ضربة لازب فى الحروب الحديثة ، فالإسلام لم يجعله حتما مقضيا فى جميع الحروب ، وحرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه وجعل المن فى التسريح أفضل الخطتين « فإما منا بعد وإما فداء » . وشريعة تجعل الرق فى أضيق نطاق وتوسع مجالات التحرير وترفع من شأن الرقيق فتجعله عضوا فى الأسرة (إخوانكم خولكم) لا يمكن أن توصف بأنها تشجع الرق أو ملاك الرقيق ، إنما هى فى الحقيقة جاءت لتقوم بتصفية هذا النظام فى العالم بتدرج حكيم وخطة مثلى ... فلم يكن من السهل إلغاء نظام تغلغلت جذوره فى الحياة الاجتماعية

---

(١) العتق ـ التدبير ـ الكتابة ـ الكفارات ـ أمهات الأولاد ـ من ملك ذوى رحم محرم .

مكتبتنا العربية

الأمة فى الإسلام هى الحاكمة وهى صاحبة السلطة . هى التى تختار حاكمها ؛ وهى التى تشير عليه ، وهى التى تنصح له وتعينه ، وهى التى تعزله إذا انحرف وجار .

والخليفة فى الإسلام ليس نائبا عن الله ولا وكيلا له فى الأرض ، إنما هو وكيل للأمة ونائب عنها .

والخلفاء الراشدون لم يكونوا خلفاء عن الله بل خلفاء لرسول الله فى حكم الأمة بما أنزل الله ، وسياستها بما أمر الله ورسوله .

أخرج الإمام أحمد عن ابن أبى مليكة قيل لأبى بكر : يا خليفة الله ، قال : أنا خليفة رسول الله ، وأنا راض به .

وحين ولى الخلافة خطب خطبته الشهيرة فقال : « إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وعمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة وبايعه الناس قام يخطب فقال : « إنما أنا كأحدكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا » .

هذا هو الخليفة ، ليس أفضل الناس وإن كان أكثرهم مسئولية ، هو وكيل الأمة بل هو خادم وأجير لها . عرف ذلك الخلفاء أنفسهم ، وعرف ذلك العلماء ، وعرف ذلك الأدباء والشعراء ، وعرف ذلك عامة الناس .

يروى لنا الإمام البخارى عن عائشة قالت : لما استخلف أبو بكر قال : لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مئونة أهلى ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال ، وسأحترف للمسلمين .

هذه هى وظيفة الحاكم محترف للمسلمين ، وبعبارة أخرى مستخدم أو أجير للأمة . هى التى وظفته وهى التى منحته راتبه ، وهى التى تعينه إذا استقام ، وتقومه إذا اعوج .

ويدخل العالم الجليل أبو مسلم الخولانى على معاوية أمير المؤمنين ، فيقول له فى صراحة : السلام عليك أيها الأجير ، ويقول جلساؤه : قل السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أبو مسلم : السلام عليك أيها الأجير فيعيدون قولهم ، ويعيد قوله ، وهنا يقول معاوية ، دعوا أبا مسلم فهو أدرى بما يقول .

وينظم الشاعر المعروف أبو العلاء المعرى هذا المعنى ساخطاً على انحراف الأمراء والحكام عن وظيفتهم فى العدل والإصلاح للأمة فيقول :

مكتبتنا العربية

مـل المقـام فـكم أعاشر أمـة
أمرت بغـير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ويشيـع هذا المعنى فى الناس جميعا متعلمهم وأميهم ، حضريهم وبدويهم ، فلا يؤمنون بقداسة الخليفة ، أو بعلو حاكم على الناس حتى إن رجلا بدوياً دخل على أحد الخلفاء فوجده جالسا على مكان مرتفع والناس دونه فى مكان منخفض ، فقال له البدوى : هل أنت الله ؟ فقال الخليفة : لست الله . فقال الرجل : هل أنت جبريل ؟ قال : لا . فقال لست الله ولا جبريل فلماذا تجلس مرتفعا ؟ انزل واجلس مع الناس .

وكان من ثمرات هذا الفهم أن شعر كل مسلم بمسؤليته وشخصيته فى رعاية الحق والعدل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تخطىء امرأة خليفة على المنبر فلا يجد غضاضة أن يعلن على الناس : أصابت المرأة وأخطأت .

بعد ثلاثة عشر عاما من احتمال صنوف العذاب والأذى وهجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين ، وبعـد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغـير حق ، وتركوا إخوانهم المستضعفين فى مكة يسامون سوء العذاب ، وبعد أن همت نفوسهم بالانتقام من الظالمين وردهم الرسول إلى الصبر وانتظار أمر الله قائلا « لم أومر بقتال . لم أومر بقتال » ولما طال الصبر ولم يتحول المشركون عن اضطهادهم المستضعفين ، ومصادرتهم الدعوة ، أنزل الله فى شأن القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

وابتدأ الصراع بين جبروت الشرك ودعوة الإسلام الذى استمر عدة أعوام وقعت فيها الغزوات المعروفة فى السيرة النبوية ، وكانت كلها ردا على عدوان المشركين وغدر اليهود .

وفى الوقت الذى كان فيه الصراع دائراً داخل الجزيرة بين قوى الإيمان والشرك كانت هناك دولتان استعماريتان كبيرتان تتنازعان العالم إذ ذاك وتفرضان سيطرتهما على أجزاء من بلاد العرب ... هما دولتا : فارس الوثنية التى تسيطر على العراق ، والروم المسيحية التى تسيطر على الشام .

ولم يكن المسلمون فى هذا الوقت بحيث يفكرون فى فتح امبراطوريات ضخمة مثل فارس والروم أو العدوان عليها ، وإنما بدأ هؤلاء بالشر والعدوان :

بدأت فارس حين أرسل كسرى - رداً على دعوة الرسول له - إلى واليه باليمن «بأذان» يقول له : بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، أيكتب إلى هذا الكتاب وهو عبدى ؟!! .

ولم يكن هذا الغرور والاستهتار عند الفرس وحدهم ، فإن الروم أيضاً بدءوا بالتحرش والعدوان ، فقتلوا مبعوث رسول الله إلى والى الروم ببصرى، ولم يتركوا الحرية لمن شاء أن يسلم بل قتلوا وعذبوا ... ثم أرسلوا طلائعهم إلى تبوك بالأردن تنذر وتهدد ، وعلم النبي أنهم ينوون مهاجمته فى عقر داره فكان من حسن السياسة أن يبادرهم قبل أن يبادروه ويهاجمهم قبل أن يهاجموه ، وبدأ قتال مرير بسرية « مؤتة » ، « وغزوة تبوك » واستمر فى عهد الخلافة الإسلامية .

لم يكن المسلمون يبغون من ورائه إكراه أحد على دين ، أو إعلاء جنس على جنس أو طلب منفعة ، أو استرزاق ، كيف وقد سئل نبيهم : « يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل حمية - أى عصبية - فأيهم فى سبيل الله ؟ فأجاب بالجواب الجامع : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

ولم يكن هذا الفتح فتح استعمار وسلب ونهب ، وإنما كان إزالة للسلطات الطاغية ، وتأمينا للحريات ، ونشرا لمبادئ العدل والمساواة ...

« أين هذا الفتح من فتوح أبادت أجناسا ، وقتلت شعوبا ، وخربت ديارا ؟ وقد صدق جوستاف لوبون حين قال : « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » .

كانت المرأة فى الجاهلية متاعا أو كالمتاع لاتعرف لنفسها قيمة ، ولا يعترف لها برأى أو إرادة حتى شك بعض الناس أها روح أم لا ؟ . وكانت نزعة الزراية بها والهضم لشخصيتها تسود العالم كله .. حتى جاء الإسلام فأعلن كتابه « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « إن المسلمين والمسلمات » ، وبذلك حطم الأغلال عن عنقها ، وأظهر شخصيتها وأعلن مساواتها للرجل فى الحقوق والواجبات إلا ما تقتضيه طبيعة كل منهما .

وحسبنا فى هذا أن الله يقول : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وأن النبي يقول : (إنما النساء شقائق الرجال) .

وخلق حواء من ضلع آدم — الذى يقال

مكتبتنا العربية

إنه يوحي بطغيان الرجل على المرأة — لم تدل عليه آية صريحة فى القرآن ، وماذكره فى ذلك بعض المفسرين رده عليهم آخرون ، والذين ذكروه إنما استمدوه مما ذكر فى (سفر التكوين) من العهد القديم ، وقوله تعالى :

« خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها » معناه خلق من جنسها زوجها ، كما علل ذلك فى آية أخرى : « ليسكن إليها » وذلك كقوله مخاطبا للجميع : « خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » أى من جنسكم .

كل ما للرجل من ميزة هو الدرجة التى ذكرها الله « وللرجال عليهن درجة » وهى درجة القوامة والمسئولية عن البيت « الرجال قوامون على النساء » ليست درجة القهر والعنف ، ولا درجة الاستبداد ، إنما هى الرياسة التى تقتضيها الفطرة ، ويوجبها الواقع وطبائع الأمور . وهذه الرياسة لا تنال من حريتها الدينية ، ولا حريتها الفكرية ، ولا حريتها المدنية ، ولا تصرفها فى أحوالها الشخصية ، ولا تهضمها حقا مقرراً لها .

إن إعطاء القيادة للرجل أمر طبيعى ، فالحياة لا تنتظم من الوحدة الصغيرة إلى الوحدة الكبيرة — إلا بقائد أو مسئول ، والرجل أولى وأحق بهذه القيادة ؛ لأنه القائم بجلب القوت والمنفعة ، وبالمسئولية عن رعاية البيت وحمايته ، وهو أشد قوة وأعظم قدرة من المرأة ... بل كما ذكر فى عالم الحيوان نراه أقوى من الأنثى ... نرى ذلك فى الديك والدجاجة والكبش والنعجة ... الخ ، سنة من سنن الله .

وما يذكره بعض الجاهلين بالإسلام (شاوروهن وخالفوهن) فليس له أساس صحيح فى دين الله بل فيه ما يناقضه وينقضه ، تقرأ ذلك فى القرآن وفى السنة ، فالقرآن يجعل للمرأة حق المشاركة وإبداء الرأى فى رضاع ولدها وفطامه وتربيته « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » والسنة تجعل للأم رأيا فى زواج بناتها (آمروا النساء فى بناتهن) وتجعل الرأى الأخير للبنت نفسها (البكر تستأذن وإذنها صمتها والثيب أحق بنفسها) .

إذا كانت بعض الأديان تقول : اطفئوا نور العقل . . اطمسوا عين البصيرة ... أو تقول : اعتقد وأنت أعمى ... أو آمن ثم اعلم ... فإن الإسلام يقيم عقيدته من أول الأمر على أساس من النظر والتفكير لا التبعية والتقليد :

« قل إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » .

مكتبتنا العربية

« أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » .

والقرآن هو الكتاب الذى يهيب بتاليه وسامعه دائما : « أفلا تتفكرون ... لو كانوا يعلمون ... أفلا تبصرون .. إن كنتم تعلمون .. إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .. لقوم يتفكرون . . لقوم يعلمون . . آية للعالمين » .

والعلم فى الإسلام يقوم على الإيمان ، والإيمان ثمرة له ، ومترتب عليه ، اقرأ قوله تعالى : « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ... الآية » .

والعلم الكونى فى القرآن سبيل إلى خشية الله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وما ذكر فى الآيتين يشير إلى علوم الفلك والنبات والجيولوجيا والحيوان . . وكلها علوم كونية ، والقرآن يمجد العلم من حيث هو علم ، ولا يسوى بين من يعلم ومن لا يعلم بغض النظر عما يعلمه « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ويحترم الاختصاص فى كل فرع من فروع المعرفة ، ويرد الناس إليه « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

ولا يرضى للمسلم أن يسير وراء الوهم أو الظن ويحكم بغير بينة أو علم « ولا تقف ما ليس لك به علم » « ان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

ويحارب التقليد والجمود على موروثات الآباء « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

كتاب يهيب بالعقل البشرى مثل هذه الإهابة ، ويصيح به هذه الصيحة المدوية لا يمكن أن يخشى نتيجة النظر أو التفكير ، وما يستتبع ذلك النظر من حقائق ومعلومات!

والقرآن أنزله الله كتاب هداية وتوجيه وتشريع ، وليس من مهمته التحدث عن نظريات العلوم الكونية أو الطبيعية ، وحسبه أن يدعو الناس للوصول إليها بوسائلهم وجهدهم ، ولم يمنع هذا أن يشير أثناء حديثه عن الكون وما فيه من آيات ـ إلى حقائق علمية كانت مجهولة للبشر ، كشف الزمن عن صدقها . وقد ألف علماء متخصصون مخلصون فى التنبيه إليها كتبا شتى ، ومن حسن الحظ أن هذه الكتب لم يؤلفها أحد من علماء الدين الذين اطلعوا على علوم الكون ، بل ألفها فى الغالب

مكتبتنا العربية

متخصصون فى هذه العلوم اطلعوا على الدين وعلى القرآن الكريم .

ومع أننا لا نوافق على كل ما فى هذه الكتب . ولا على منهج بعضها ، فإنا نجد فى مثل هذه الكثرة من الكتب أدلة واضحة على أن القرآن فى نظر المتبحرين فى العلوم الحديثة ليس غير مصادم لها فحسب ، بل هو هاد إليها ودال عليها ، وسابق فى بعض الأحيان لما قررته .

والقرآن لا يعارض حقيقة علمية قاطعة ، ولكنه قد يعارض بعض الآراء والفروض والنظريات التى لم تصل بعد إلى مرتبة الحقائق الثابتة ، ولا ضير على القرآن فى هذا . فكم من آراء ونظريات كانت عند أصحابها فى مرتبة اليقين الذى لا ريب فيه ، فإذا كر الغداة ومر العشى وتطور البحث العلمى يجعلها أوهاما فى أوهام .

وحسبنا ما كان يعتقده بعض من عرفوا بفلاسفة المسلمين : « كأبى نصر الفارابى وأبى على بن سينا ، من إيمانهم بالنظريات الفلكية اليونانية إيمانا جعلهم يؤولون آيات القرآن ؛ فالأرض عندهم مركز الكون ، والافلاك عندهم لا تقبل الخرم ولا الالتئام ، والعناصر أربعة لا زيادة فيها ... الخ ثم يثبت العلم التجريبى أن هذا كله باطل لا يقوم على أساس فذهبت ظنونهم ... وبقى ما هدى إليه القرآن « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ولكن المعتدلين من المفكرين المسلمين لم يجددوا فى آيات القرآن شيئا يناقض ما ذهبوا إليه أو وصلوا إليه من ظواهر الطبيعة أو حقائق العلم ، ومن هؤلاء البيرونى العالم المؤرخ الفيلسوف المعروف .

وننقل هنا ما قاله المستشرق الألمانى دى بوير فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الإسلام » [1] قال : « لا شك أن البيرونى كان سنيا مستنيراً ، وهو لعلو كعبه فى العلم وسعة فكره ، وتنوع معارفه ، وتفطنه للحدود التى لا يصح أن تتجاوزها أحكام التجربة الإنسانية المعتمدة على المشاهدة ـ يتمسك بحقائق الدين العميقة فلا يعجبه التأويل الهازل للقرآن ، ولا الانكسار المتحذلق ـ من غير أساس كاف ـ لما يروى من غريب الأفكار . وهو يتمسك بالقرآن فيؤلف مثلا كتابا جليلا يسمى « لوازم الحركتين » مقتبسا أكثر كلماته عن القرآن (معجم لأدباء الياقوت ج ٦ ص ٣١١) .

ويقول فى كتابه عن الهند ص ١٣٢ : إن القرآن لم ينطق فى أمر صورة السماء والأرض وفى كل شىء ضرورى بما يحوج إلى تعسف فى التأويل . فهو فى الأشياء الضرورية معها

(١) ص ٣٠٢ ترجمة الدكتور عبد الهادى أبو ريدة .

مكتبتنا العربية

حذو القذة بالقذة ، ولم يشتمل على شيء مما اختلف أيسر من الوصول إليه ...

ويصف البيرونى كيد مظهرى انتحال الإسلام له ، وإدخالهم ما فى كتبهم فيه تصديق ذوى القلوب السليمة ـ الساذجة ـ لهم . وفى بعض الأحيان يذكر الزنادقة من أصحاب مانى ويذكر الحركات والاتجاهات غير الإسلامية ناقدا لها ، راجع كتابه عن الهند ص ٧٦ - ١٣٢ الآثار — ٢١٠ — ٢١٤ ٢٦٤ — ٢٦٥ — ١٩٦)

هذا هو الإسلام الذى قامت على أساسه حضارة علمية واسعة معتدة فى وقت لم تكن أوربا ترى فيه النور إلا من سم الخياط ، وفى تاريخه الطويل لم يضق صدره بعالم أو باحث كما حدث فى أوربا من معارك بين العلم والدين ومجازر تقشعر لها الأبدان .

وما نقل من حوادث فردية وقع فيها صدام بين من اشتغلوا بالفلسفه وبين الفقهاء وعلماء الكلام ، فما كان صداما مع علم سليم الأسس والقواعد بل كان صداما على الجانب الميتافيزيقى الإلهى من الفلسفه الإغريقية بالذات ، وهو جانب يبحث فى أمور قطع الوحى فيها برأى حاسم لا مجال بعده لتخمين العقول ، وافتراض الفروض . وإضاعة الأوقات فى غير نفع ولا فائدة للإنسان والحياة

مصادر الإسلام :

للإسلام مصادر محددة ، تعرف منها رسالته ووجهته ، ولا يمكن أن يحكم له أو عليه بالاستمداد من غيرها ... وتنحصر هذه المصادر فيما يلى :

أولا : القرآن الكريم

وهو مصدر إلهى بلفظه ومعناه ، ليس من عمل محمد ، وإنما هو قول رسول كريم هو جبريل ، تلقاه من لدن حكيم عليم ، ثم بلسان عربى مبين على قلب محمد فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ من أستاذه نصا من النصوص ولم يكن عمل بعد ذلك إلا : —

١ — الوعى والحفظ : « سنقرئك فلا تنسى » .

٢ — الحكاية والتبليغ : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » .

٣ — البيان والتفسير : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .

٤ — التطبيق والتنفيذ : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

وقد نقل إلينا هذا القرآن كاملا متواترا نقلته أجيال عن أجيال تلاوة بالألسنة وحفظا فى الصدور ، وكتابة فى المصاحف ، وشهادة التاريخ بتواتر هذا الكتاب شهادة ناصعة لا يماثلها ولا يدانيها كشهادته لكتاب غيره ظهر على وجه الأرض . . .

هذا الكتاب هو المصدر الوحيد لعقائد

مكتبتنا العربية

الإسلام، وهو المصدر الأول لنظمه وتشريعاته وآدابه وتوجيهاته.

وقد تلقاه المسلمون بالشرح والتفسير والتحليل كل فى مجال عمله واختصاصه واستنبطوا منه أحكام دينهم وأصول مجتمعهم . . . هذا فى مجال العقيدة وذاك فى مجال الفقه والتشريع وثالث فى مجال الآداب والأخلاق.

وقد وضعوا الأسس السليمة، والقواعد المتينة لفهم هذا الكتاب والاستنباط منه وفق ما عرفوه من أساليب لغتهم العربية، وما خطه لهم النبى من توجيهات، وما فهموه من جملة تعاليم الإسلام وروحه العامة . . .

ولم يجد هؤلاء العلماء فى آيات هذا الكتاب إلا التناسق والائتلاف. فهى يصدق بعضها بعضا، ويفسر بعضها بعضا، وما يظنه القاصرون - الذين يجهلون أسرار العربية وأساليبها - تعارضا أو اختلافا، فما هو بالتعارض ولا الاختلاف ... وإنما هى نصوص عامة تقيدها نصوص خاصة أو آية مطلقة تفسرها آية مقيدة ... وهكذا «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً».

نعم إن فى القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات، كما قال تعالى: «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب».

وليس المحكم هو الواضح، والمتشابه هو غير الواضح أو غير المفهوم، كما يظن أو يقال، فالقرآن كله واضح مبين. وإنما المحكم: هو المقطوع بدلالته جزما، والمتشابه هو: ما اختلفت الأذهان فى دلالته، ولعل سائلا يسأل: لماذا لم ينزل القرآن كله محكما ويريح الناس من التشابه؟

ومن عرف حكمة الابتلاء والتكليف للإنسان أولا، وعرف طبيعة اللغات وتنوع دلالتها ثانيا، وعرف طبيعة بنى آدم واختلاف عقولهم واتجاههم ثالثا، وعرف عموم القرآن لكل البيئات والأزمان، والأجيال المتطورة رابعا، وعرف طبيعة الإسلام الذى يحث على إعمال العقل والاجتهاد والاستنباط خامسا ... من عرف هذا كله لم يشتبه عليه الأمر ولم يحتج إلى هذا السؤال بل قال ما قاله الراسخون فى العلم: «آمنا به كل من عند ربنا».

لقد اقتضت حكمة الله أن تكون الآيات المحكمات فى كتابه، هى الأصول التى لا خلاف عليها، والأسس التى يرد غيرها إليها، والمحور الذى يلتف حوله الجميع، أما الآيات الأخرى فقد جعلها الله من السعة والمرونة بحيث تتسع

مكتبتنا العربية

لمختلف الأفهام المعقولة فى شتى البيئات والعصور بحيث يعذر بعض الفاهمين بعضا ، ولا يكفر بعضهم بعضا وشعارهم تلك الكلمة الحكيمة « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » وبهذا يكون القرآن مصدر تجميع لا مثير تفرقة ، يكون كتابا للإنسانية كلها ، فى كل أحوالها ، وجميع أزمنتها وشتى بلادها ولو كانت كل آياته محكمة قاطعة الدلالة ، لكانت هذه هى النقمة الكبرى التى تغلق على المجتهدين باب الفهم ، وتطفىء تألق الفكر ، وتشل حركة العقل . . . ولا تليق إلا بصنف واحد من الناس ولزاوية واحدة من النظر ، وما لهذا أنزل الله القرآن « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ثانيا : السنة :

وهى الأقوال والأعمال الثابتة عن محمد رسول الله ، وضح بها مجمل القرآن ، وفسر بها مراد ربه ، وطبق بها شرائعه وآدابه تحقيقا لقول الله « لتبين للناس ما نزل إليهم » .

هذه السنة هى المصدر الثانى فى تعرف نظام الإسلام وتعاليمه . . ، وإذا ثبت أن محمداً رسول موحى إليه ، كان لما يقوله ويهدى إليه فى تبيين هذا الإسلام ، وتوضيح معالمه ، وتطبيقه فى الحياة ، منزلة الوحى المعنوى ، « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » هذه السنة مشت فى رحاب القرآن ، وعبرت عن روحه شارحة وموضحة وتركت للناس أبواب الفهم والتجديد فى أمور حياتهم المتطورة ، التى تتصل بوسائل المعايش التى تتغير بتغير البيئات والأزمان ، وفى ذلك يقول رسول الله « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

وقد وجدت هذه السنة من الرعاية فى حفظها ، وجمعها ، وتنقيتها من الدخيل عليها ما لا يزال التاريخ العلمى يذكره بالفخر والإعجاب ...

فقد حاول أعداء الإسلام أن يدسوا فيها ما ليس منها ، ليكيدوا بقاءها ، فوضعوا أحاديث مكذوبة ، وروايات ملفقة ، ونسبوها زوراً إلى رسول الله منتهزين ما حاق بالمسلمين من فتن فى فترة من الدهر ، ولكن سرعان ما وقف الأفذاذ من سلف هذه الأمة الذين كرسوا حياتهم ، يطوفون البلاد ، ويجوبون القفار ، بحثا عن صحيح السنة ، وكشفا عن زائفها ... وكان العهد قريبا بالرسول وصحابته ، والأمة العربية أمة حفظ ووعى ، فوضع هؤلاء العلماء الأصول والقواعد للرواية ، وبحثوا عن الرجال ، وجرحوا وعدلوا ، وألفوا الكتب الكثيرة فى التاريخ والسير والأسماء ، ولم يأخذوا إلا عن ثقة عدل حافظ ضابط حتى لقد أفردوا كتبا للثقات من الرواة ، وكتبا للضعفاء ، وذلك جهد لم يعرف لأمة فى صيانة تراث نبيها ...

مكتبتنا العربية

وما يقال : إنهم اهتموا بسند الحديث ورواته دون موضوعه أو متنه ، فهذا كلام غير صحيح لأنهم اهتموا بالموضوع أيضا فردوا الحديث الشاذ المخالف لما عرفوا من أصول ، وردوا الأحاديث لعلل قادحة تتصل أحيانا بالموضوع كما تتصل بالسند ...

نعم إنهم وجهوا جل همتهم إلى السند والرواة لأن الموضوع تختلف العقول فى قبوله ورده حسب عصورهم وثقافاتهم ... وما كان يعتبر صحيحا مقبولا بالأمس ، قد يعد خطأ مرفوضا اليوم ، وبالعكس ..

فقاموا بما عليهم فى نقد الرواة وتجلية حالهم ، وتركوا لمن يأتى بعدهم الحكم على موضوع الحديث بما يتفق وما عندهم من وسائل الفهم وموازين النقد ...

ثالثا : الاجتهاد :

لم يشرع الإسلام فى مصدريه : القرآن والسنة للمسلمين فى كل شىء ، فيضيق عليهم فيما لهم فيه فسحة ، ولم يدع التشريع فى كل شىء فيتركهم تائهين بلا أصل يعتمدون عليه ، ولكنه شرع وحدد فيما لا مجال للرأى فيه كالعبادات وفيما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال كالقواعد الكلية ، والحدود والعقارات والمواريث وأكثر شئون الأسرة .

وترك التشريع أو النص والتحديد فيما يختلف باختلاف الأوقات والبيئات ، وأعطى بذلك العقل الإنسانى حقه فى الاجتهاد والقياس والاستنباط ، وجعل للمجتهد أجراً إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب .

وعلى هذا الأساس قامت حركة فقهية تساير تطور الزمن وحاجة الناس ... وقال الفقهاء « تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من أمور » .

ولم يوضع الفقه فى عهد الخلافة العباسية — كما قاله بعض الجاهلين — بل وجد الفقه منذ عهد الرسول ، ونما فى عهد الصحابة ، وزاد نمواً فى عهد التابعين ، وكان تدوينه فى عهد العباسيين .

وهنا لابد أن ننبه — إلى الفرق بين الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامى .

فالشريعة هى النصوص المقدسة من الكتاب والسنة الثابتة ، والفقه هو : استنباطات الفقهاء فى دائرة النصوص ، أو فيما لا نص فيه .

الشريعة : ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، والفقه مرن متحرك يتغير ويتطور ، الشريعة وحى الله والفقه عمل الإنسان[1] .

ولكن مهما قلنا إن الفقه من صنعة العقل الإسلامى ، فإن فقهاء الإسلام كانوا يحرصون حسب طاقتهم على أن يكون اجتهادهم داخل

---

[١] راجع مقال الدكتور محمد البهى فى مجلة الأزهر تحت عنوان مع المذاهب الاسلامية عدد صفر ١٣٧٩ هـ.

مكتبتنا العربية

إطار الشريعة ، وتبعاً لها محاولين التحرر من الهوى والذاتية ما استطاعوا ...

ولم يهدف الفقهاء فى فقههم إلا إلى ما هدفت إليه الشريعة ، من رعاية مصالح العباد ، من ضروريات ، وحاجيات ، وتحسينات — كما عبر الشاطبى .

« لم يهدفوا إلى رعاية مصلحة خاصة لطائفة أو فرد أو خليفة ، كيف وكلهم رفضوا المناصب والقربى من الخلفاء ، وتحملوا الأذى فى سبيل تجردهم العلمى » .

رفض أبو حنيفة القضاء وتقبل السجن راضيا ، وروى أنه مات فيه .

وضرب مالك بالسياط فى سبيل أن يغير أو يكتم رأيا رآه فأبى .

وأوذى الشافعى من أجل تجرده وأمانته.

واحتمل أحمد بن حنبل من العذاب ما لا يحتمله إلا المؤمنون الأبطال .

وهؤلاء الأئمة الأربعة هم مؤسسو المذاهب السنية المشهورة فى المسلمين .

وهذه المذاهب الأربعة وغيرها لا تلزم المسلمين باتباع أحدها إنما هى اجتهادات لأصحابها الذين لم يزعموا لأنفسهم العصمة ، ولم يلزموا الناس بتقليدهم يوما ، ولم ينظر واحد من هؤلاء الفقهاء إلى غيره نظرة التعصب أو الخصومة ، بل نظرة ملؤها التسامح والمودة ، وتقدير آراء الآخرين .

قال أبو حنيفة : هذا رأينا فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه .

وقال مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى : رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

وما عرف فى بعض العصور والأقاليم من التعصب لمذهب ضد غيره ، فهو ثمرة من ثمرات الجهل ، والتأخر العقلى الذى أصيب به المسلمون حينذاك والإسلام وفقهاء الإسلام منه براء .

ونحب أن نقرر هنا أن الخلاف بين المذاهب السنية ، وبين الشيعة المعتدلة ليس خلافا جوهريا يمتد الى أصول العقيدة ، وإنما وسع الهوة بينهما أهواء الحكام ، ودسائس خصوم الإسلام ، فالجميع من سنيين وشيعة ، يؤمنون بإله واحد ، ويقدسون كتابا واحدا ويتبعون رسولا واحدا ، ويتجهون إلى قبلة واحدة .. هم جميعا يقيمون الصلاة ، ويؤدون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلا .

إن فى الفقه الإسلامى ثروة من القواعد والتطبيقات والنظرات العميقة فى كل مجال من مجالات الحياة : أسرية ، ومدنية ، وجنائية ودستورية ، ودولية ، اعترفت بقيمتها وصلاحيتها المؤتمرات الدولية التشريعية

مكتبتنا العربية

الحديثة ، كمؤتمر « لا هاى » وغيره .

وهى ثروة صالحة لأن يقوم عليها صرح تشريعى مكين إذا توفر باب الفقه والقانون عليها ... ، وفعلا قد اقتبس واضعو القوانين المدنية فى البلاد العربية منها كثيرا من المواد والقواعد . . .

وبعد : فإن مبادئ الإسلام هى أفضل المبادئ لإصلاح الأفراد وإسعاد الأسر ، وتنظيم المجتمعات ، وتوجيه الحكومات ، وهداية الإنسانية كلها إلى الصراط المستقيم .

بيد أن المبادئ وحدها لاتغنى إذا لم تجد رجالا يؤمنون بها ، وينقلونها إلى واقع تراه الأعين ويلمسه الناس ، وبدون هذا سنظل نردد قول القائل :

« يا له من دين لو كان له رجال » .

وحسبنا أن تعلم أنه حين تهيأ الإسلام حكم عادل ، وخلافة راشدة فى عهد عمر بن عبد العزيز رأت الدنيا فى مدى عامين - ٩٩ - ١٠١ هـ - من العدالة والنظام ، والقوة ، والرخاء ما لم تحققه عشرات السنين من بعد .

ومن كان يريد أن يستدل بالتاريخ فليستدل بأمثال هذه السير المنيرة . . وإلا فليعرف الإسلام من كتابه المنزل ، وسيرة نبيه الثابتة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

يوسف القرضاوى ، أحمد العسال

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العلم

العِلْم مذكان ، محتاج إلى العَلَم ... وشفرة السيف تستغنى عن القلم

وخير خيلك (إن غامرت فى شرف) ... عزم يفرق بين الساق والقدم

لا يدرك المجد إلا كل مقتحم ... فى موج ملتطم أو فوج مضطرم

ورب أمر يهاب الناس غايته ... والأمر أهون فيه من يد لفم

تنمى قوى الشىء بالتدريج إن رزقت ... لطفاً ويقوى شرار النار بالضرم

مكتبتنا العربية

المذهبيّة والتقليد

للأستاذ محمود الشرقاوى

« التقليد إبطال منفعة العقل ، لأنه خلق للتدبر والتأمل »
[أبو الفرج ابن الجوزى]

المذهبية والتقليد مظهران من مظاهر الانحراف الذى ندعو إلى تقويمه فى الفكر الدينى . ولكنهما مظهران أخذا يتحولان أو يزولان فى السنوات الأخيرة . ولكنى أعتقد أن الأمر لا يزال يحتاج إلى معالجة ، لأنه على وجه اليقين ، لا يزال كذلك موجوداً فى غير مصر من بلاد الشرق . ولا يزال التعصب للمذهب أساساً لا يحيد عنه كثير من رجال الدين فى بعض البلاد الإسلامية من شرقنا العربى . ونعتقد أن بعض رجال الدين عندنا لا يزال فى نفوسهم شىء كثير من هذا التقيد بالعصبية المذهبية والانتصار لما يتبعون من المذاهب . مع أنهم ورثوا تبعيتهم لهذه المذاهب عن آبائهم وأجدادهم ولا مدخل فيها للفهم والرأى والترجيح ولم يستمسك المقلدون بمتابعة مقلديهم إلا بعد أن فشت الجهالة بين الناس .

لذلك نجد العلماء وأصحاب الرأى لا يقلدون ولا يرضون لغيرهم أن يقلد .

من ذلك أن أحمد بن حنبل كان يقول : « من ضيق علم العالم أن يقلد فى اعتقاده رجلا » . وذكر له رأى لابن المبارك فقال : « إن ابن المبارك لم ينزل من السماء . وقيل له : قال إبراهيم بن أدهم ، فقال : جئتمونى ببنيات الطريق ، عليكم بالأصل . فلا ينبغى أن يترك ـ أى الأصل ـ لقول معظم فى النفس ، فإن الشرع أعظم ، والخطأ فى التأويل على الناس يجرى » .

وقد نهى الإمام الشافعى عن التقليد . وروى عنه وعن غيره من الأئمة قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط .

بل إن بعض العلماء ـــ كأبى الفرج ابن الجوزى ـــ يرى أن يجتهد العامى أيضا ، لا العلماء وحدهم ، واجتهاد العامى فى اختيار من يقلده : « وأما الفرعيات فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها ، وقرب له أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى

مكتبتنا العربية

التقليد فيها لمن سبر ونظر ، إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده » [١] .

ويقول ابن الجوزى فى التقليد رأيا هو : « إعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد . وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتأمل . وقبيح بمن اعطى شمعة يستضىء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة » . وكذلك يقول : « واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال . لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل » [٢] .

ثم يروى أبو الفرج أن الحارث بن حوط قال لعلى رضى الله عنه : أيظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل ؟ فقال له على : « ياحارث : إنه ملبوس عليك . إن الحق لا يعرف بالرجال ، إعرف الحق تعرف أهله » .

ويقول الإمام ابن حزم : المقلد راض أن يغبن فى عقله » .

ومن الذين وقفوا موقف الخصومة من التقليد العالم المجتهد الذى كان فخر عصره علما وعملا وخلقاً : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الذى يقول :

ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ، بحيث لايجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من شهد الكتاب والسنة له ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة ضلالا عن مقلده » .

ثم يصف الشيخ عز الدين كيف كان المتقدمون يتعبدون ويعرفون أمور دينهم فيقول :

« لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب ، ولا إنكار على أحد من السائلين ، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال ، كأنه نبى أرسل ، وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب ، لا يرضى به أحد من ذوى الألباب » .

فالتقليد عند عز الدين بن عبد السلام : بعد عن الحق ، وعن الصواب ، لا يرضى بهما عاقل .

وعز الدين بن عبد السلام من أعظم علماء الشافعية فى جميع العصور ، وكان أبرز علماء مصر فى القرن السابع الهجرى .

وفى شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور البهارى أن من ألزم بالتقليد ، فقد ألزم بشرع لم يأمر الله أحدا بالتزامه ، فهو يقول إن إيجاب التقليد « تشريع شرع جديد » .

---

[١] ص ٨٧ من كتابه : « نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس » السعادة ١٣٤٤ هـ .

[٢] ص ٧٦ - ٨٧ من المصدر السابق .

وأن إلزام العمل بمذهب معين نقمة على الناس وشدة .

كانت المذهبية والتقليد تعصبا وعوجا ابتلى به الفكر الدينى عند ما ضعف العلم وفشا الجهل . حتى رأينا من (أوجب) هذا التقليد . كصاحب الجوهرة الذى يقول : وواجب تقليد حبر منهم .

وقد كان لهذه العصبية المذهبية الضيقة أثرها فى حياة المجتمع الإسلامى حتى رأينا بعض الفقهاء يجعل من مسائل فقهه هذا السؤال : الابن الذى أبوه شافعى المذهب ، هل هو كفؤ للزواج من بنت الحنفى ؟ .

وحتى رأينا من يعرض بحنفى المذهب فيقول : إذا وقع النبيذ على طعام أو عجين ، فارم به إلى كلب أو إلى حنفى ، يريد أن بعض الحنفية يرى تحليل النبيذ وطهارته .

فانظر ماذا تفعل العصبية وضيق الفهم بأواصر المسلمين الذين جعلهم الله أمة واحدة وجعلهم الحديث الشريف كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وقد قلنا أول هذا المقال إن هذا الانحراف فى الفكر الدينى أخذ يتحول ويزول ، عندنا على الأقل ، وبقى أن يعمل رجال الفكر الدينى على القضاء على مابقى منه فيها وفى غيرها وقد رأينا وجه الحق ورأى العلماء فيه .

حدود المذاهب الأربعة :

ننتقل بعد ذلك من (المذاهبية والتقليد) إلى أفق أوسع : إلى حدود المذاهب الأربعة فقد مضت على الفكر الدينى عصور من التخلف والضيق كان يرى فيها أن (الشريعة) هى مذهب أبى حنيفة ، كما كانت ترى دولة الخلافة العثمانية فى عصور طويلة . وكما كان غيرها يرى الرأى نفسه فى مذهب الشافعى ، أو مالك ، أو مذهب الشيعة ، كما فعلت الدولة الفاطمية زمنا ما . وكما يرى غيرهم الرأى نفسه فى مذهب الزيدية ، أو الوهابية .

ولكن هذه النظرة خاطئة بقدر ما هى ضيقة . وشريعة الله أفسح وأرحب من حدود هذه المذاهب ، ونحن لانريد أن نفصل أمر هذه المذاهب الأربعة وما بعد الأربعة ولا أن نذكر أمر نشأتها وتداولها ، واستقرارها وأسباب الغلبة التى جعلت بعضها يشيع ويثبت ويستقر وبعضها الآخر يضيق ويتهافت ويضعف ، أو يتلاشى لا نريد أن نستطرد إلى شىء من ذلك الذى يستطيع أن يعرفه من يريده فى تاريخ التشريع

ولكن الذى نقوله إن العمل برأى ضعيف أو مرجوح فى هذه المذاهب ، وترك العمل بالراجح القوى فيها ، ليس خروجا على الشريعة ، وما دامت المصلحة هى الدافع على

مكتبتنا العربية

ترك القوى الراجح إلى الضعيف المرجوح وترك العمل برأى فى هذه المذاهب بعضها أو كلها ، إلى رأى قيل به فى مذهب آخر وراء هذه المذاهب الأربعة ليس كذلك خروجا على الشريعة ما دامت المصلحة هى الدافع والغرض ، أو أن يرى صاحب الأمر ذلك لخير الجماعة . وصاحب الأمر الآن هو الدولة . وعلى رجال الفكر الدينى الفاقهين ، أن يهيئوا لها ذلك وأن يمكنوها منه .

أسباب السيادة لبعض المذاهب

ونحن نعرف أن السيادة قد تقررت لهذه المذاهب بشيوعها وغلبتها على بقية المذاهب وتداول كتبها ودراسة رجالها ومعرفة الناس لهم وتلبسهم بهذه المعرفة السنين الطوال . ولكننا نعرف بعد ذلك أن هذه السيادة المقررة وهذا الشيوع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة فى الفهم ، بل لذلك أسباب هى إلى السياسة أقرب منها إلى العلم .

ونعرف أيضا أن بعض هذه المذاهب ـ غير الأربعة ـ كانت له فى يوم من الأيام وفى أزهر العصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة وهذا التفوق اللذين نجدهما الآن للمذاهب الأربعة . فقد بقيت السيادة فى الذهن وفى الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة فى زمن الدولة العباسية .

يقول أبو بكر الصيرفى ، الفقيه الشافعى الأصولى ، « كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعرى فجزهم فى أقماع السمسم . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار ، علم ما كانوا عليه من العدد والقوة » .

ونحن ليس من همنا أن نوازن بين المذاهب الأربعة وغيرها من وجهة التاريخ والسيادة بل نحن نزنها من جانب الفائدة العلمية وإمكان الاستفادة مما عند أهلها من الفروق والاختلاف عن المذاهب الأربعة الشائعة فى السعة واليسر ، « وكلهم من رسول الله ملتمس » . كما قال صاحب البردة .

هذه النظرة إلى هذه المذاهب وموازنتها بالمذاهب الأربعة والاستفادة مما قد يكون فيها من اليسر والسعة . سيظهرنا على ميادين فسيحة ، نجد فيها آراء ذات قيمة فى عصرنا الحاضر ، ومجتمعنا الحاضر . وقد نجد لهذه الآراء أيضاً رجحانا فى الفهم والحجة .

أربعة عشر مذهبا :

نحن واجدون أن فى الفكر الإسلامى القديم مذاهب لا يقل بعضها فى القيمة والقوة عن هذه المذاهب الأربعة ، وواجدون

مكتبتنا العربية

فى هـذه المذاهب من الكثرة ومن السعة مانستطيع أن نفيد منه أكبر الفائدة فى تجديد تفكيرنا الدينى وإمداده بالطريف الصالح مما يوافق العصر والحاجة .

فقد كانت المذاهب فى العصر العباسى نحو أربعة عشر مذهبا كلها من الإسلام وكلها مفيد وكلها مستمد من كتاب الله .

نجد غير هذه المذاهب الأربعة مذهب الأوزاعى فقيه أهل الشام . ومذهب الحسن البصرى ، ومذهب سفيان الثورى ، ومذهب ابن عيينة ، والليث بن سعد فقيه مصر الذى قال فيه الشافعى : « الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه أضاعوه أى لم يدونوا فقهه ومذهبه . وهناك مذهب إسحق بن راهويه وأبى ثور . والطبرى وهناك من المتأخرين من لم يشتهر بأنه صاحب مذهب فقهى . ولكن له آراء يخالف بها أصحاب المذاهب الأخرى ، كابن تيمية وابن حزم .

وبعض هذه المذاهب شاع فى بلاد الإسلام كما شاع مذهب الظاهرى فى فارس والأندلس وكان القضاء فى القرن الرابع للشيعة حتى نقله صلاح الدين إلى الشافعية لأنه شافعى .

ونجد فوق ذلك — وهو ما يهما لأنه مناط الفائدة — نجد من الفوارق بين هذه المذاهب ما يمكننا من نيل أكبر الفائدة حين ندرسها ونقتبس منها ما يوافق حاجة عصرنا ونحن فى كل ذلك ملتزمون حدود الإسلام وأصوله ما دامت هذه المذاهب منه .

وهذه الفوارق بين المذاهب تعد من دلائل اليسار والسعة ، وهى كنز لا يفنى للتجديد الدينى ومطاوعة الشريعة الإسلامية لكل عصر وجيل .

لست أقصد فى هذا البحث أن أتقصى هذه الفوارق بين المذاهب وما نجد فيها من الآراء الموافقة لعصرنا وحاجتنا من غير المذاهب الأربعة التى عكفنا عليها . بل إن مقصدى الأول هو لفت الأنظار إلى هذه المذاهب والفوارق بينها وأنه من الضرورى أن نعترف بها وأن ندرسها لنستفيد مما فيها . وأنا الضمين بأننا سنجد فى ذلك فائدة لا ندرك قيمتها الآن ، وهى تفوق كل ما يخطر على بالنا فى ذلك .

وأخص بالنص ولفت النظر من المذاهب ما يمتاز تفكير الرجال فيه بميزات فائقة من رجاحة العقل وحرية البصر وحدة الفهم ونفاذ الذهن والقوة فى الجدل والبراعة فى الإحاطة بالرأى ونقده وتقديره كمذهب المعتزلة ، وهذه الميزات التى نحتاج إليها لنلقح بها تفكيرنا الدينى الحديث .

وليس بدعا أن ندرس كتب المذاهب المختلفة ولا أن نعرف مقدار رجالها ونستفيد من مذاهبهم وتفكيرهم . فهم مسلمون

مكتبتنا العربية

كأصحاب المذاهب الأخرى التى نعكف عليها . بل فيهم كثيرون هم الذين حملوا لواء الدفاع عن الإسلام وصمدوا فى خصومة المغيرين عليه من رجال التفكير النصرانى واليهودى فى عصرهم .

وبعض هذه المذاهب قريب غاية القرب من المذاهب الأربعة فى العقيدة والشريعة ، كما نجد فى مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية .

نظرة إلى الماضى :

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامى بعد العصر الأول خاصة رأينا ماكان لهذه الخلافات المذهبية من الأثر فى تفتيت المجتمع الإسلامى وتوهين وحدته التى أمر بها القرآن ، حين تمادى أصحاب الخلافات فيها ، فاستحالت بعد ذلك إلى خصومات . استغلتها المطامع والأهواء حتى وقعت بسببها حروب ، وجرت دماء .

نجد فى نظرتنا إلى هذا التاريخ أن الخصومات المذهبية لج فيها أصحابها وتمادوا وأفحشوا حتى خشى منهم الفتنة ، فأصدر الحاكم الفاطمى مرسوما بأن يترك الناس هذا الجدل الفقهى والمذهبى .

ونجد فى فترة من تاريخ مصر أن الحاكم ، وهو المستنصر ، وأبوه وجده كانوا رافضة ، وكانت الخلافة العباسية فى بغداد ، فى نفس الوقت ، على مذهب أهل السنة . وكان الناس فى كلا البلدين الإسلاميين تمزقهم هذه الخصومات المذهبية الحادة .

ولا أريد أن أسترسل فى أخبار هذه الخصومات المذهبية التى كان لها أثر بالغ السوء فيما وقع من الخصومات السياسية والحروب بين البلاد الإسلامية فى تاريخها الطويل . فتلك أخبار مبسوطة فى كتب التاريخ ، ولو أنها تسردها وترويها وتقص عنها دون أن تستبطن أسبابها أو تستخلص عبرتها . وقد أوشكنا ولله الحمد أن نفىء إلى أمر الله ، ونستمسك بحبله ، ونعلو بديننا وعقيدتنا عن هذه الخصومات المفرقة .

لا أريد أن أسترسل فى ذلك . ولكنى أقول إنه ليس من المبالغة القول بأن هذه الخصومات المذهبية أفسدت فى الماضى حياتنا ، وسودت فترات من تاريخنا ، بل ملأته فى بعض الأوقات ، بالشرور والآثام والدنس والخصومات والحروب والمظالم - ويكفى أن نذكر محنة ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن وما يشبهها - .

وقد ظهر قليلون من عباقرة العقول والقلوب فى ظلمات هذه الأيام ضاقوا ذرعا بهذه الخصومة السوداء واستطاعوا أن يظهروا

على الملأ محطهم عليها ومنهم البيرونى [1] ، فقد كان يلبس فى إصبعه خاتما رسم عليه شعارين : أحدهما لأهل السنة والآخر للشيعة.

ونريد من رجال الفكر الدينى فى عصرنا الحاضر أن ينظروا إلى هذه الخلافات المذهبية كما يجب أن ينظر أهل العلم إلى الرأى المجرد ، نظرة التقدير وحسن الظن والإفادة من خلافاتها لمصلحة الشريعة نفسها ومصلحة الناس . وأن يكون تقديرهم لأصحابها الأول تقدير المجتهد الذى جعل الله له أجرين إن أصاب ، وأجراً إن أخطأ ، كما جاء فى الحديث الشريف . وأن ينظروا إلى أصحابها ومعتقديها الآن نظر الأخ إلى أخيه . وهو النظر الذى جدده قول الرسول الكريم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

ونحن نعرف أن هناك مذاهب متعددة ونحلا كثيرة أدعو لدراسة هذه المذاهب دراسة موضوعية مجردة .

وأعتقد أن أحداً لا يجادل فى أن هذه الدراسة ، على الأسس التى بيناها ، كفيلة بأن تحقق للفكر الدينى ، وللحياة العامة جملة من الفوائد ، فهى ، فى الفكر الدينى ، تزيده نماءاً وخصباً وعمقاً وسعة ، هى ثروة من المعرفة يحتاج لها الفكر الدينى أكبر الحاجة وهى كفيلة بأن تظهر ما فى شريعة الإسلام من السعة والمرونة والكفاية لتحقيق حاجات مجتمعنا الحاضر ووضع الحلول لمشكلاته ، سيجد فيها المقنن والمشرع ما يبتغى أن يجد من القوانين والتشريعات لتنظيم مجتمعنا المعاصر على أسس الشريعة ، بدلا من تنظيمه على أسس دخيلة . وهى — بعد ذلك — ستكون عاملا قوى الأثر فى التقريب بين عواطف الناس فى الجماعة الإسلامية كلها ، وفى الأمة العربية التى تريد أن تبنى قوميتها وتقيم أسسها على عواطف الفهم والمحبة والقربى.

محمود الشرقاوى

---

(١) أبو الريحان البيرونى : من عباقرة الفكر الإسلامى ، أصله فارسى ولد بخوارزم سنة ٣٦٣ هـ [سبتمبر سنة ٩٧٣ م] نبغ فى الفلك والرياضيات والطب والتقويم والتاريخ . وكان يراسل ابن سينا . وضع فى الفلك « القانون المسعودى » للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين فظل حجة فى علم الفلك قرونا . ورحل إلى الهند فأقام بها سنين طويلة يدرس الثقافة اليونانية واللغة السنسكريتية ثم وضع كتابه فى تاريخ الهند : « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة » فكان أشمل وأكمل كتاب عن تاريخ الهند وثقافتها القديمة ، وقد طبع وترجم إلى الانجليزية فى لندن سنة ١٨٨٧ بإشراف المستشرق سخاو وله كتاب « آثار باقية عن القرون الخالية » كان ثمرة من ثمرات رسائله مع ابن سينا ، وقد طبعه سخاو أيضاً مع ترجمته الانجليزية فى ليبسك سنة ١٨٧٨ ، وله رسائل ومؤلفات أخرى ، وكان كذلك بارعا فى اللغة الفارسية وله بها مؤلفات فى صناعة التنجيم ، وله عند الله ورسوله منزلة عظيمة

توفى البيرونى فى اليوم الثالث من رجب سنة ٤٤٨ هـ « ١٣ من ديسمبر سنة ١٠٤٨ م » .

مكتبتنا العربية

عمر الفاروق

فى بعض نواحيه الممتازه

للأستاذ عباس طه

لحياة عمر رضى الله عنه مناح شتى ، دينية واجتماعية وسياسية ، ولعل من أحفلها بالطرائف ناحيتها الفلسفية . وللفلسفة معاييرها فى تقدير الملكات العقلية ، وطرقها فى التنقيب عما ينطوى فى أعمال العاملين من البواعث الدالة على مميزاتهم الأدبية ومراتبهم الروحية .

نشأ عمر وكبر فى الجاهلية ولم يظهر عليه شىء من السمو الذى ظهر به فى الإسلام ، فكل ما اشتهر به الشدة وقوة الإرادة فلما بعث النبى وبدأ يدعو إلى الله سرا ، بلغه أن أخته قبلت الإسلام دينا ، فغضب لذلك أشد الغضب ، فلما زارآها فى دارها فلما أسرعت فناولته صحيفة فيها من القرآن . فلما قرأها (وكان من القلائل الذين يقرءون) وقع فى قلبه من سمو الإسلام ما حفزه على أن يجتمع بالرسول الأعظم ، فلما التقيا عرض الرسول عليه الاسلام ، وتلا عليه آيات من الفرقان . فآمن بها من فوره .

وكان أول ما عمله فى إسلامه أن قال : يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فأجابه رسول الله « إنا قلة وقد رأيت ما لقينا » . فقال له عمر والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ! فلقبه النبى بالفاروق من ذلك اليوم .

قرر علماء النفس أن العبقرية لا تقتصر على العلوم والفنون والحروب ، ولكنها قد تكون فى الحكم أيضا . ولسنا نشك فى أن عمر وقد خلف أبا بكر كان عبقريا لما ظهر من ثمرات أعماله الماجدة الخالدة .

كانت الأداة الحكومية فى منتصف القرن السابع للميلاد على شىء من التركب الآلى ، بحيث تتأثر ما جريات الشئون وأطوارها الاجتماعية بوفاة عامل وقيام عامل آخر مقامه . وكانت الحكومات كلها من الضرب الاستبدادى الذى ترجع فيه الأمور إلى القائم بالأمر وخصائصه العقلية والخلقية .

والحكم فى الإسلام وإن كان حاصلا على جميع الأصول التى تدعو إلى إقامة أداة محكمة للحكم ، يكون من عملها تمثيل الأمة فى مجلس نيابى أو مجلسين ، وتقسيم السلطات على هيئات خاصة ، وضمان استقلال كل منها ، فإن الأحداث لا يمكن أن تسبق أزمنتها ،

مكتبتنا العربية

فكان الحكم فى الإسلام موكولا لمن تراه الأمة أهلا لإقامة تلك الأصول ، اجتهادا من تلقاء نفسه .

وقد دلت الأحداث على أن عمر قد حقق الفراسة فيه ، وبلغ من إقامة الأصول الإسلامية مبلغاً رفعه إلى درجة العبقرية .

ليس من الهين فى دور الشكل الاستبدادى للحكومات أن يقيم القائم بالأمر جميع المثل العليا للتعاليم التى يصدر فى أعماله عنها تمثيلا كاملا ، مهما حرص على ذلك ، إلا إذا كان من الملهمين .

لأنه كيف يتسنى لعقل عادى فى أول عهد القرون الوسطى أن يفهم مغزى أصول مثالية لم نفهمها نحن اليوم إلا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراسيها البعيدة إلا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عالمية خطيرة .

نعم إن كلمات عدل وحق ومساواة إلخ ، كانت مدلولاتها معروفة منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطلقة ، حتى إن واضع الديمقراطية أرسطو لم يفهم مؤداها المطلق ، فقرر فى بحوثه السياسية حرمان العمال والأرقاء من الحقوق المدنية من الناحية السياسية ، الأولين : باعتبار أن نفوسهم ليست من نوع نفوس الأحرار ، والآخرين : لاشتغالهم بالمهن اليدوية ! فشتان بين ديمقراطية أمس وديمقراطية اليوم .

فنبوغ رجل كعمر يدركها وأمثالها على الوجه الذى أراده الإسلام مطلقة وخالصة من كل شائبة بشرية ، فوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو إلى العجب العاجب . ولا مخرج منها إلا بتعليلها بالعبقرية فى الحكم .

كل ما فى الإسلام من التعاليم الاجتماعية لا تخرج عن إقامة منارة الحق ، ومراعاة المساواة بين الخلق ، والحكم بالعدل ، واحترام حرية القول والعمل ، واللجوء إلى الشورى فى الأمور الجامعة ، فكان عمر مثلا أعلى فى تطبيق هذه الأصول الكلية ، وله فى كل منها مواقف وكلمات نابغة بقيت أعلاما منصوبة ومبادئ عرفية ومكتوبة حتى يومنا الراهن .

ومن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه لوقابتها قوله من خطبة : « أيها الناس إذا رأيتم فى إعوجاجا فقوموه » فقام إليه رجل من الحاضرين وقال « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

فلو كان عمر اكتفى بسماع هذه الكلمة وتجاوز عن مؤاخذة قائلها لعد ذلك له منقبة ومفخرة يتناقلها الناس ويعدونها دليلا على

مكتبتنا العربية

وفور عقله وسعة حلمه، ولكنه أجابه بقوله: « الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » .

قال كعب الأحبار :

« نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جاراً لعمر بن الخطاب ، فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ! فقال : ليس عليه باب ولاحجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس » .

وعن الحسن البصرى قال :

كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لى ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها » .

تأمل فى قوله : لاخير فيكم إذا لم تقولوها ! إنها والله لكلمة من أنبغ الكلمات الاجتماعية، وهى كما تدل على مبلغ احترام عمر للمعارضة وهى ركن من أركان الحياة السياسية ، تدل أيضاً على تجرد الأمة التى تهيب هذا الركن من الخير . وقوله : « ولا خير فينا إذا لم نقبلها » تقرير بأن الحكومة التى لا تطيق المعارضة تكون مجردة عن الخير أيضاً .

أبلغ من كل ما مر فى الدلالة على فهم عمر الديمقراطيه الحقة . أنه لما دعى إلى بيت المقدس ليتفق والمدافعين عنها على التسليم ، كما شرط عليه ذلك ، شخص إليها على بعير كان يتعاقب عليه هو وسائسه فى الطريق ، ولما شارفوا المدينة كان الدور للسائس فكان راكباً وأمير المؤمنين أخذ عقود الجمل . فقال له خادمه : لو نزلت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال ! فم يجبه أمير المؤمنين إلى طلبه ، وقدم على مستقبليه راجلا يقود البعير لخادمه . فكانت المفاجأة المذهلة ، ولكن أحداً لم ينبس بكلمة اعلمهم من هو عمر وما هى ديمقراطيته .

وأبلغ مما مر فى الدلالة على فهم عمر للديمقراطية ، كما يريدها الإسلام مطلقة ، أنه لما كان فى بعض انتقالاته بفلسطين عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه فأمسكهما بيده ، فخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت ياأمير المؤمنين صنعاً عظيما عند أهل الأرض فصكه عمر فى صدره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله » .

وأعظم مما مر وأحفله بالمعانى التى لايدركها إلا المستبصرون ما رواه الفضل بن عميرة : أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب

مكتبتنا العربية

فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو محتجر بعباءة ، يهنأ بعيراً من إبل الصدقة .

فقال عمر : « يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين» .

فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا .

فقال عمر « يا ابن فلانة وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة » .

إن عمر رضى الله عنه بقوله من : ولى أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، وبتوليه عملا هو من مهن العبيد ، وبدعوته الأحنف ليعمل معه فيه ، قد ضرب الأرسطقراطية ضربة قاصمة لن تقوم بعدها لها قائمة فى المسلمين باسم الإسلام قط . وقد تتبعنا سير جميع الحكام النابهين فلم نعثر على مثال فى الديمقراطية يشبه هذا المثال .

وهكذا ثمرات العبقرية تأتى على غير مثال سابق .

ولما أقبل سفراء بيت المقدس لمقابلة أمير المؤمنين عمر ، سألوا أين هو ؟ فأشاروا لهم إليه ، وكان نائما على الأرض فى ظل شجرة ، فلما رأوا وأبوا أن يتفقوا مع من هذه حالته ، استنكاراً لها ، حتى يستأنسوا برأى كبرائهم . فلما رجعوا وقصوا عليهم ما رأوا قال لهم بطريقهم : ارجعوا أدراجكم إنه طلبتنا ، وهذه حليته فى كتبنا .

نقول : ليس هذا من سقوط الهمة ، ولكنها الديمقراطية يضع عمر بيديه أركانها ويشيد بنيانها ، ويقيم بقدوته أعلامها . وإذا كان للعظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذا فى سيرة عمر عظمة عبر عنها (أمن وكوتان[1]) « إن هذا العاهل الذى كان يلبس ثوبا مرقعا كانت ترتعد فرائص الملوك عند ذكر اسمه » .

وخطب الفاروق يوما فقال « يا أيها الناس إنى والله ما أرسل عمالا[2] إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلى ، فو الذى نفس عمر بيده لأقصينه عنه » .

فوقف عمرو بن العاص فاتح مصر ووالیها فقال « يا أمير المؤمنين أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أإنك لتقصينه عنه ؟ » .

---

(١) عالمان ومؤرخان فرنسيان فى كتابهما المسمى بالتاريخ العام .

(٢) ولاه .

مكتبتنا العربية

فقال الفاروق :

« أى والذى نفس عمر بيده إنى لأقصينه عنه ، وكيف لا وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه » .

إذا ادعت حكومة بأنها تقيم مبدأ المساواة بين الناس فلتكن من هذا الطراز المطلق ، وإلا فهى صورة ناقصة لها كأكثر ما نسمعه عنها وما نراه منها .

الديمقراطية تسوى بين السادة والعبيد :

من أمثلة المساواة التى كان يقيم عمر حكمه عليها ما رواه الحسن البصرى قال :

حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش بين تلك الرءوس ، وصهيب وبلال من تلك الموالى[1] الذين شهدوا بدراً . فخرج إذن عمر لهم وترك أولئك .

« فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط : يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا .

« فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا : أيها القوم إنى والله أرى الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم[2] ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذ ادعوا يوم القيامة وتركتم ؟ » .

ومن أجل ما صدر عن الفاروق فى تنفيذ مبدأ الديمقراطية المطلقة قوله وهو يجود بنفسه وقد دعى لأن يعهد بالخلافة لمن يثق به : والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها شورى . أى أنه كان يعهد إليه بالخلافة ولا يحيلها إلى شورى .

هنا لا نجد عبارة تصور إكبارنا لهذه الديمقراطية التى تمثل روح الإسلام فى أبدع وأروع صورة .

وشكا أحد أهل مصر إلى الفاروق ابنا لعمرو بن العاص واليها مدعيا أنه ضربه قائلا له : أنا ابن الأكرمين . فلما ثبت لعمر أنه صادق فى دعواه ، أعطاه درته وقال له : « اضرب ابن الأكرمين كما ضربك . ثم التفت للناس وقال لهم : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

إن الفاروق لم يرو بما فعل أن يذل ابن أحد ولاته ، ولكنه يرفع علم المساواة إلى أعلا ما يمكن أن يصل إليه ، وليس بعد هذا غاية .

ومن أمثلة حرص عمر على حفظ النظام ما رواه أبو ساعدة الهذلى قال: « رأيت عمر ابن الخطاب يضرب التجار بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سككهم أسلم ، ويقول لا تقطعوا علينا سابلتنا » .

(١) الذين كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء

(٢) يريد دعوا إلى الإسلام .

أليس هذا بعينه ما نكلف به الشرطة من تنظيم حركة المرور بالعواصم اليوم ؟ فلو كنت شرطيا لباهيت بوظيفتى التى وضع أساسها أكرم حكام الأرض فى أعظم أمة .

قال المسيب ابن دارم « رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول : حملت جملك ما لا يطيق .

فمن لى بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوان أن عمر بن الخطاب سبقهم إلى سن هذا النظام قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟

وبعد : فإن هذه السيرة التى تتجلى فيها المثل العليا للحكم فى غاية أبهتها ، وتطبق إلى أقصى حدودها ، لا تتأتى إلا إذا كان القائم بها عبقريا .

نعم : إن عمر لم يفعل أكثر من أن نفذ الأصول التى دونت فى الكتاب ، والسنة ، ولكن تنفيذها على هذا النحو الباهر لا يتأتى إلا من طريق العبقرية ، فهى وحدها التى تلهم صاحبها المواقف الموفقة فى كل ما يعرض له من للشئون ، وللشئون مآزم لا يغنى فيها مجرد التشدد فى تطبيق حرفية المثل العليا ، فلا بد فيها من تصرف وجدانى يضع الامور مواضعها وهناك مجال فسيح للعبقرية .

وإلا فلم قرر علماء النفس وجود عبقرية للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة مقررة مرسومة ؟

نعم . ولكن تطبيقها على الحوادث إلى سبيلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة الجماعة دون الإخلال بسلطان تلك الأصول والإفادة من مرونتها فى حدودها المقررة وتعيين مواضع هذه الرخصة وأوقاتها المناسبة ، كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس وتجد العبقرية مكانها العالى منها .

هذه سيرة عمر وأنماطه فى الحياة المثالية .

وتلك همة نفس لو أراد بها
شم الجبال لما قرت رواسيها

عباس طه

الوطن

بلد صحبت به الشبيبة والصبا
ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل فى الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميد

مكتبتنا العربية

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

الأملوك :

كتب إلى الأستاذ محمد فكرى كمال القدوسى بالقوات المسلحة يقول : « ثار جدل بينى وبين أحد مدرسى اللغة العربية فى المدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم حول كلمة (أملوك) التى وردت فى قول الحجية بن المضرب يمدح يَعفر بن زُرعة من ملوك اليمن :

فإن كنت سآلا عن المجد والعلا
وأين العطاء الجزل والنائل الغمرُ
فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر
وعش جار ظلّ لا يغالبه الدهر

أهى مفرد أم هى جمع ، أم هى اسم جمع فيقول الأستاذ متشبثا : إنها مفرد . وحجته فى ذلك وجود الألف ، ولو حذفت لكانت جمعا . وقلت أنا : إنها اسم جمع بمعنى الملوك وبعد الرجوع إلى الجزء الأول من كتاب الأمالى للقالى ص ٥٣ ، والاطلاع على هذين البيتين ، وكتاب المزهر ص ٨٣ ، اتضح لى بأن (كذا والصواب أن) صوغ هذه الكلمة يمنىّ إنما تأثر بما جاوره من الصوغ الحبشى فى العهد الذى قيل فيه البيتان . إذ أن الجمع عند الأحباش يأتى فى الأعم على وزن أفعول . وقد ذكر السيوطى مما جاء على وزن أفعول ثلاث كلمات فى العربية ، هى أمعوذ للقطيع من الظباء ، وأجعوش لجيل الحبش ، وأركوب لجماعة الركاب . وكنت أرى أنه لا يمنع أن تزيد كلمة (أملوك) على الثلاث التى ذكرها السيوطى ، أو ما يماثل هذه الكلمة » . والأستاذ يسألنى بعد هذا مزيدا من البحث فى هذه الكلمة .

ويحسن التعريف بالشاعر فهو حجية ابن المضرب الكندى ، والمضرب أبوه بفتح الراء المشدودة لا بكسرها ، كما جاء فى كتاب الأستاذ القدوسى تبعا لنسخة الأمالى ويقول البكرى فى اللآلى ٢٠٤ : « وإنما قيل لأبيه المضرّب لأنه ضُرب بسيف عدة ضربات

مكتبتنا العربية

فما أحاك فيه » . وزرعة أبو يعفر ممدوح الشاعر كأنه زرعة الرهاوى الوارد ذكره فى سيرة ابن هشام على هامش الروض (٢ - ٣٤٦) .

وأقول بعد : إنه جاء فى الحديث : أن الرسول عليه صلاة الله وسلامه كتب إلى أملوك رَدمان ، وردمان : موضع باليمن . وأكثر اللغويين على أن الأملوك مقاول حِمير . والمقاول جمع مِقوَل ، وهو الأمير دون الملك الأعلى . ويقال أيضا الأقيال جمع القيل ، والقيل أصله القيّل بتشديد الياء فخُفّفت كما يقال : هَيْن فى هَيّن . ومرجع ذلك إلى أن قوله نافذ ماض على رعيته لا يردّ . فالأملوك على هذا من المُلك فى معنى جمع المَلك ، فإن القَيْل ملك صغير فى قومه : وقال قوم : إن الأملوك مفرد وهو دون المَلك كما ذكره الخطابى فى تفسير الحديث ، وقال آخرون : إن الأملوك هو مالك من تبابعة اليمن ، ويريد الشاعر بقوله فنقب عن الاملوك . عن بنى هذا التبع . وعند بعضهم أن الأملوك قبيلة من حمير ، وهذا راجع إلى ما قبله ، فإن المراد قبيلة تسمى باسم أبيها الأملوك .

وإنى أسوق إليك بعض النصوص فى هذه الكلمة .

جاء فى القاموس : « والأملوك بالضم : اسم للجمع — أى لجمع ملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير » . وفى اللسان « والأملوك قوم من العرب من حمير . وفى التهذيب : مقاول حمير » . ويقول القالى فى يعفر بن زرعة : « أحد الأملوك أملوك ردمان » ، فيقول أبو عبيد البكرى فى اللآلى ٢٠٥ : « فالأملوك قبيلة من حمير . وقال الخطابى : « الأملوك واحد . وهو دون الملك » ويقول السهيل فى الروض الأنف ١/٢٣ فى مالك الذى هو أبو شمر أحد التبابعة ومالك هو الأملوك . وفى بنى الأملوك يقول الشاعر :

فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر
وعش جار عز لا يناليه الدهر

وقد قيل : إن الأملوك كان على عهد منوشهر . وذلك فى زمن موسى عليه السلام » .

وأظهر هذه الأقوال أن الأملوك مقاول اليمن ، وهم كالولاة ورؤساء الأقاليم . وإذا صح أن الأفعول من صيغ الجمع فى لغة الحبش فالقريب أن هذه الصيغة كانت فى اليمنية إما بالأصالة أو بالاستعارة من الحبشية ، فيكون الأملوك جمعا لملك ، ويكون من هذا القبيل ما ذكره السيوطى ، فالأمعوز والأركوب والأحبوش صيغ يمنية وبقيت

مكتبتنا العربية

فى المضرية : ويقابل هذه الصيغة فى المضرية الأفعال فيقابل الأملوك الأملاك والأحبوش الأحباش وقد جاء عن اليمنية أبنية لم تعهد فى المضرية :

فمن أسماء المواضع عندهم حوريت ، وهو لا يأتى على بناء من أبنية الأسماء التى دونها سيبويه فى كتابه ، وفى الخصائص ٣/٢٠٧ : « وأما حوريت فدخلت يوما على أبى على ـ رحمه الله ـ فحين رآنى قال : أين أنت أنا أطلبك . قلت : وما هو ؟ قال : ما تقول فى حوريت ؟ فخضنا فيه فرأيناه خارجا عن الكتاب (يريد كتاب سيبويه) . وصانع أبو على عنه بأن قال : إنه ليس من لغة ابنى نزار ، فأقل الحفل به لذلك » . ويريد بابنى نزار ربيعة ومصر .

شىء طائر :

أنكر [1] اليازجى هذا الاستعمال . وذلك أنه يقال : لذذت الشىء أى أحسست له شهوة ومالت النفس إليه .

ويقال أيضاً : لذلى الشىء ، فهو لذ ولذيذ وفى الكتاب العزيز فى صفة خمر الجنة : يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . وفى المصباح : « لذ الشىء يلذ لذاذا ولذاذة ـ بالفتح ـ : صار شهيا ، فهو لذ ولذيذ . ولذذته ألذه : وجدته كذلك ، يتعدى ولا يتعدى » . ولم أقف فى اللغة على ألذه من الإلذاذ .

على أن بعض الباحثين يرى صواب الملذ لما يحدث اللذة : وقد جاء فى الأساس فى مادة رذذ : « وباتت السماء ترذنا وتقول : إن السماء مرذ ، وإن السماع ملذ ، فهل أنت إلينا مغذ . أراد سماع الحديث والعلم ، لا سماع الغناء » . والظاهر أن الذى أوقع الزمخشرى فى هذا رغبته فى السجع وكلفه بالازدواج . فاستعمال الملذ إنما سوغه مشاكلته المرذ والمغذ . ويدل على هذا أنه لم يذكر الملذ فى مادة (لذذ) . والسجع والازدواج يجوزان ما لا يجوز فى غيرهما . وفى حديث [1] ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بهذه الكلمات : أعيذكما بكلمة الله التامة ، من شر كل سامة ، ومن كل عين لامة ؛ قال أبو عبيد : قال : لامة ولم يقل ملمة ، وأصلها من ألممت بالشىء تأتيه وتلم به ليزاوج قوله : من شر كل سامة . وقد ذهب اليازجى فى مجلة الضياء ٨/٤٢١ هذا المذهب فى تخريج كلام الزمخشرى ، فهو يقول : « استدرجه إليه

(١) انظر لغة الجرائد ٤٦ .

(١) انظر اللسان فى (لم) .

قصد التجنيس بين سماء وسماع ، ومرذ وملذ ولذلك عدل إلى تذكير السماء وهى أضعف اللغتين » .

فعلوه مضروب منه وزارة التربية :

عاب بعض النقاد هذا الأسلوب ، وذلك أن الفاعل قد حذف حين بنى الوصف للمفعول ، وقد ذكر بعد (من) فإن الوزارة هى التى قامت بالندب ، ففى هذا شبه النقض للغرض الذى ابتدئ به الكلام . وقد قيل : إن هذا ترجمة لأسلوب افرنجى ناب عن العربية .

ولم أر من نص من القدماء على إنكار هذا الأسلوب . فأما الحذف للفاعل ثم ذكره فقد يكون له غرض صحيح ، وهو الإجمال ثم التفصيل ، وهو من مقاصد البلغاء . وقد جاء قريب مما نحن فيه فى قول الشاعر :

ليُبْكِ يزيدُ ضارع لخصومة
ومختبط مما تطيح الطوائح

وجاء قوله تعالى فى سورة النور : « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » ، بفتح الباء من (يسبح) فى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وقراءة ابن عامر . فالفعل فى البيت والآية مبنى للمفعول ، ثم ذكر الفاعل مرفوعا بفعل محذوف . وهذا وإن كان الكلام فيه من جملتين فهما كالجملة الواحدة فى الاتصال ، فهو لا يختلف عما نحن فيه .

وقد جاء من هذا الأسلوب كثير فى الكتاب العزيز . فمنه قوله تعالى : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » إذا أريد بالأخ ولى المقتول ، ويقدره بعض المفسرين : من دم أخيه أى المقتول فلا يكون من بابنا . ومنه قوله تعالى : « قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى » ، وقوله تعالى : « أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه » . ؟

محمد على النجار

مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

"الله" في العقيدة الإسلامية
وفي أقوال علماء المقارنة بين الأديان

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم « المقارنة بين الأديان » يسمى علما مع الحيطة المتفاهم عليها بين الباحثين والقراء لأنه من المعارف التي يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة كاختلافهم في العقيدة الدينية وفي النظر إليها

فمن علمائه من يؤمن بعقيدة يصدقها ولا يصدق غيرها ، فهو يبتدئ البحث بحكم قاطع على العقائد الأخرى يجزم بتكذيبها قبل الموازنة العلمية بين أدلة التصديق وأدلة التكذيب .

ومن علمائه من يؤمن بعقيدته ويؤمن بصدق العقائد الأخرى في أوقاتها ومناسباتها ، ويرجع بالخطأ والنقص فيها إلى انتهاء زمانها أو إلى عوامل التشويه والتبديل التي طرأت عليها ، فهذا العالم يواجه البحث مفتوح العينين مستعدا لقبول الحسنة والسيئة ولكنه يرتبط بنتيجة سابقة لا يسمح للمقدمات أن تذهب به إلى نتيجة غيرها .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من يؤمن بالغيب ويؤمن بالإله ، ولكنه يحكم على الأديان كأنها أعمال إنسانية تقاس بمقاييس النظر إلى الرسل والأنبياء وإلى التابعين لهم من الأمم والجماعات أو الآحاد . فهو يحفظ لموضوع البحث حرمته وقداسته ويقبل التفصيلات بعد ذلك أو يرفضها على حسب أسانيدها الإنسانية وظروفها الواقعية ، فيعالجها تارة بمقاييس الغيب المجهول وتارة أخرى بمقاييس الواقع المشهود التي تتردد بين الأنباء والأفكار .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من ينكر الأديان أصلا ولكنه يؤمن بصلاحها لسياسة الأمم وتعزية النفوس . ومنهم من ينكرها أصلا وينكر فائدتها وصلاحها ، بل يرى أنها خدعة مقصودة وغير مقصودة يخترعها الرؤساء وتمالئهم على اختراعها البديهة الشعبية فلا تستحق بعد فوات الخدعة غير التفنيد والتجريح .

وهؤلاء المنكرون جميعا يبحثون العقيدة غير معتقدين . فيخفى عليهم جوهر العقيدة في صميمه ولا يتأتى لهم أن يحكموا على شيء يجهلونه أو إحساس لا يشعرون به حكما يصدر عن فهم واع وإدراك محيط ، فإنهم

مكتبتنا العربية

كمن يحكم على الكائن الحي بعد وصوله إلى مائدة التشريح مفقود الحياة ، فـــلا يخلو حكمهم من النقص الذى يتعرض له كل حكم على مجهول غير محسوس به على وجهه الذى يتم به وجوده فى عالم العمل والحياة .

ومن أولئك الباحثين من يقارب موضوعه كما يقارب الشاعر موضوع ملحمة تاريخية يؤمن بحدوثها إيمانا لا شك فيه ولـكنه يتصوره كما يتصور ملاحم البطولة بين المجاز والخيال والواقع ، فلا يعرضها ليقول للقارئ هل يؤمن بها أو يرفضها ولـكنه يعرضها ليشهد القارئ ما فيها من بواعث الروعة والجمال وما تحدثه فى الخواطر من دواعى الشعور والتأثير ، وهؤلاء الباحثون يقرأهم القارئ فلا يحاسبهم بحساب الدين ولا بحساب العلم ، وإنما يحاسبهم بحساب الأسلوب، أو بحساب العرض الفنى، ولا يعطيهم من العناية فوق هذا المقدار .

من هؤلاء الأخيرين الأستاذ استاس هايدون Eustace Haydon صاحب كتاب « تراجم الأرباب » Biography of the Gods وقد كان أستاذا لعلم تاريخ الأديان بجامعة شيكاغو عند تأليف هذا الكتاب ، ويظهر أسلوبه وموضوعه من عنوانه القصصى، لأنه يتكلم عن حياة الإله المعبود كأنها ترجمة تبدأ بظهور الديانة التى تدعو إليه وتتقدم بين النشأة والشباب والبقاء أو الزوال على حسب مصير الديانة من الشيوع والانتشار أو من الخمول والتبدل والانقراض .

وفى هذا الكتاب تتابعت تراجم أرباب الديانات المجوسية والصينية واليابانية ، ثم انتهى الكتاب بالكلام على « الله » بعد الكلام على « يهوا » كما يصفه كتاب العهد القديم ، فكانت فاتحة الكلام على الإله فى العقيدة الإسلامية أن الاعتقاد به غير مستعار من ديانات الأمم الأخرى ، وأن الدعوة إلى الايمان بالله كان يمكن أن تظهر حيث ظهرت ولو لم تدخل الجزيرة العربية عبادة من خارجها ، لأن وحدانية الله فى الإسلام لم يسبقها مثيل لها فى صفة الوحدانية التى لا هوادة فيها ولا فى غيرها من جملة الصفات المستفادة من أسماء الله الحسنى .

ولا حاجة إلى بيان الخلاف بين المفهوم من صفات الله فى عقيدة المؤمن المسلم وبين المفهوم من هذه الصفات فى هذا الكتاب ، ولـكن المؤمن المسلم لا ينتظر من غير المسلمين ولا من الـكاتبين بهذا الأسلوب الذى يسوق الدراسات مساق القصة فكرة عن « الله » هى أقرب إلى « الاحترام » من فكرة الله فى كتاب تراجم الأرباب .

إن « الله » الذى يدين به المسلمون لم يخذلهم فى حياة البادية ولم يتركهم فى حياة الحضارة الممتزجة من بقايا الدول الفارسية والبيزنطية التى انتقل إليها المسلمون بعد انتشار الإسلام فى الأقطار الآسيوية والإفريقية ، وقد وصل إلى أبعد أقطار العالم المعمور فى هذه القارات قبل انتهاء

مكتبتنا العربية

المائة الثانية من تاريخ قيام الدعوة المحمدية .

وفى خلال هـذه الرحلات المتباعدة لقى المسلمون عقيدة الفلسفة اليونانية القديمة ، وسمعوا بإله يسميه أرسطو السبب الأول ، وتقول الأفلاطونية الحـديثة إنه يكل تدبير العالم الأرضى إلى فيض بعد فيض من خلائقه العليا حتى ينتهى إلى ما دون فلك القمر فيتصل بعالم الفساد على بعد و يمهل عباده على الأرض إلى حـين ، ريثما تعـود عقولهم الهيولانية إلى الاتصال بعد الجهاد ، بالعقل الأول مصدر هذه الفيوضات .

ولو أن معبوداً آخر فهم المفـكرون من عباده أنه لا يعـدو أن يكون « سبباً أول » أو علة رياضية بعيدة عن هذه الحياة الإنسانية لما بقيت لعبادته بقية فى عقول قراء العـلم والفلسفة ، ولأصابه ما أصاب المعبودات المهجورة من (الأنيميا) القاتلة للأرباب الباطلة على حد تعبير الـكتاب .

ولـكن الفلسفة اليونانية لم تزعزع عقيدة المسلم المفـكر فى (الله) بل استطاع الضمير الإسلامى أن يخرج لتلك الفلسفة أنداداً لها من المفـكرين على طريقة الإمام الغزالى : « برأس فيلسوف ، وقلب ناسك » أو على طريقة الإمام الأشـعرى بتسليم صاحب البحث وبحث صاحب التسليم ، فخرج الإيمان بالله وصفاته المتعددة سليما ، منزه الوحدانية بعيداً من شبهات الفلاسفة وأتباع الزندقة المثنوية ويتخلل الـكتاب خلط كثير يمتزج بالسخافة أحيانا كلما حاول تصوير الظروف الطبيعية ، والاجتماعية ، التى يفسر بهـا ثبات المسلم على الإيمـان بإله أحد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ولـكنه يعود حينا بعد حين إلى عناصر قوية تكمن فى ذلك الإيمان وتهيئ له أسباب النجاة من الشكوك والبـدع التى لا نسـوقها تقلبـات الزمن وعوارض الاحتكاك بالحضارات الأجنبية ، وهذه العناصر القوية هى التى أنجدته مرة أخرى بعد محنة الفلسفة اليونانية عند ما واجهته العصور المتأخرة بمحنة كبرى لاتذكر محنة الفلسفة اليونانية بالقياس إليها ، ففى هذه العصور المتأخرة استطاع الضمير الإسلامى أن يخرج للمحنة الجديدة أندادا لها من المفكرين المؤمنين خلفاء الغزالى والأشعرى وورثة الحكمة والتصوف وأعلام المحافظة والإصـلاح . « وأعظمهم الإمام المصرى الشيخ محمـد عبده . فإنه حفـظ العقيـدة الموروثة دون أن يمس بهـا وجدد الإيمان بإله الإسـلام السرمـدى بـلا أول ولا آخر ، فردا لا مثيل له فى قدرته وكماله ، حيا عالما مريدا سميعا متكلما بصيرا ، يخيل إلى من ينظر إلى هذه الصفات لأول وهلة أنها حكاية معادة من بقايا المـاضى ، لولا أن الشيخ محمد عبده ينفض عن الدين ما علق به من جمود القدرية ويقرر نصيب الإنسان من التبعة وواجبه فى إصلاح العالم معتمدا على عون

مكتبتنا العربية

الله له فى إقامة النظام الاجتماعى الصالح والقيم الأخلاقية الملائمة لذلك النظام » .

* * *

ومن متاعب علماء المقارنة بين الأديان ممن يعولون أولا وآخرا على طبيعة الأرض والسكان فى تعليل العقائد أن يعللوا هـذه القوة ـ قوة العقيدة الإلهية فى الإسلام ـ بعلة طبيعية يتواضعون عليها ويطبقونها على سائر العقائد ، إذا كان المسلمون قد انتشروا فى بقاع كثيرة بين أمم مختلفة فى أزمنة متفاوتة فلا تصلح العلل المتفرقة بين هذه البقاع والأزمنة لتعليل عقيدة واحدة ، ولا معنى للتفسير إذا اشتركت جميع هذه العلل فى أثر واحد ...

ولكنهم ـ على وضوح الخطأ فى الاستناد إلى سبب طبيعى واحد لتفسير هذه الظواهر المتعددة يتلاقون عند وجهة يكررونها على نحو متشابه . ولا يقع الخلاف فيها كثيرا بين مدارسهم المتناقضة ، ومنها المدارس التى تعطى الأديان حقها من أدب الرعاية والاحترام والمدارس التى تستخف بأسبابها ونتائجها ، ولا تتكلف لها ما ينبغى لموضوعها من التثبت والإمعان فى المراجعه والتحقيق .

تلك الوجهة الواحدة هى غلبة العوامل « الجسدية » على عقائد الديانة الإسلامية ، وبرهان هذه الفلسفة الحسية عندهم هو الاعتماد على السيف فى نشر الدعوة وأوصاف النعيم السماوى فى الدار الآخرة .

وقد يكفى لإسقاط هذا الرأى ما ألمعنا إليه من استحالة تفسير العوامل المتناقضة بعلة طبيعية واحدة . أو يكفى لإسقاطه إحصاء المسلمين والمقابلة بين عددهم فى البلاد التى فتحت بالسيف ، والبلاد التى لم تحارب المسلمين ولم يحاربوها ، أو إحصاء عدد الداخلين فى الإسلام على أثر الفتح وعدد الداخلين فيه مختارين بعد ذلك بعصور متطاولة ولكننا نكتب هذا المقال بين معالم شهر رمضان ونقنع منه بصبغة واحدة تدل على حكم الإسلام فى مسائل الحس وواجب المسلم نحوها ، ولا تحتاج إلى دلالة أخرى لتقرير موقف الإسلام بين الحياة الروحية ، والحياة الجسدية ، وتلك الصفة هى تخصيص شهر كامل من شهور السنة ، تقوم فيه حياة المسلم خلال هذا الشهر على حكم شهوات الحس وإخضاعها للإرادة فى أقوى مطالب الجسد من طعام ومتاع ، وهى فريضة تعلم المسلم واجبه فى سائر أيام حياته ، وتلهمه أنه صاحب ضمير يملك زمام نفسه ويأخذ من الحس بما يشاء الإنسان العاقل المريد .

وكل فريضة من فرائض الإسلام هى فى الواقع صورة أخرى من صور هذه الرياضة العامة فى جميع أوقات الحياة فالمسلم لا يقف

مكتبتنا العربية

بين يدى الله خمس مرات فى اليوم ليكون (مخلوقا حسيا) مستغرقا فى مطالبه الجسدية ولا تجب عليه الزكاة لأنه (مخلوق حسى) ينقاد لمطامع النفس وشهوات الجسد ، وليس الحج بواجبه عليه لأنه (مخلوق حسى) يستسلم للدعة ويطمئن إلى الراحة ويحجم عن مشقة السفر وبذل المال والتضحية بشئ منه وهو مرتحل أو مقيم ، بل هو لا يشهد بوحدانية الله ليشرك معبودا آخر مع الله يتمثل فى عبادة الدنيا والاستسلام لغوايتها على وجه من الوجوه .

إنما العقيدة الإلهية فى الإسلام عقيدة حسية روحية كما ينبغى أن تكون كل عقيده يؤمن بها كائن حى عاقل له جسد وروح .

والله خالق الحياتين ومانح السعادتين فى الدارين ، فلا ينبغى أن يكون قوام عبادته مسخ الجسد وازدراء الدنيا ، ولا أن يكون قوام عبادته تسليم الدنيا للشيطان والابتعاد منها كأنها من عمل عدو لله وليست من عمل الله ولا من نعمه التى ارتضاها لعباده بتدبيره وهـــداه .

* * *

ونختم هذا المقال كما بدأناه فنعيد فى ختامه أن علم (المقارنة بين الأديان) يسمى علما مع الحيطة ... لأنه معارف شخصية يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة ، ولكننا نعيده لنضيف إليه شاهدا من الشواهد « المحسوسة » على وجوب الحيطة فى تناول آراء الباحثين فى هذا العلم ، فإن بها لنقصا يتبين للناظر فيها كلما قابل بينها وبين الحقائق الثابتة عن تاريخ الإسلام . فلا مناص من تغييرها أو تغيير التاريخ الثابت الذى لا ينكرونه إذا عادوا إليه بالتمحيص النزيه .

إذا صدق علم المقارنة بين الأديان على أسس الأسباب الطبيعية التى تفهمها مدرسة التعليل الطبيعى وجب أن يكون اعتقاد المسلم بالله كالاعتقاد (بشيخ عربى) كبير تضاعفت قواه الحسية عن النسبة التى تكون بين رئيس قبيلة وبين رئيس الخلائق جميعا .

وصاحب الأمر والنهى فى السماوات والأرضين .

ولكن علم المقارنة بين الأديان لا يصدق الحكم فى هذه القضية ، لأن « الله » فى عقيدة المسلم ينسخ آداب الشيخ العربى القديم وأولها العصبية وإيثار الآل والبنين . وأين يجد الباحثون أثرا من آثار الشيخ العربى فى معبود سرمدى لم يلد ولم يولد ولا فضل لأحد من العالمين عنده بغير التقوى ، وليس يحب العدوان والمعتدين ولا يأمر بغير البر والإحسان .

فإن دليل المقارنين بين الأديان ليتخبط فى طريق مضلة لا تهديه إلى شيخ ولا إلى شئ لأنه يولى وجهه إلى قبلة غير القبلة وعلى سبيل غير السبيل فإذا أدار وجهه عنها فأينما يول فثم وجه الله .

عباس محمود العقاد

مكتبتنا العربية

مختار من الشعر القديم والحديث

نجد

للأستاذ حسن جاد

مبعوث الأزهر بالرياض

تلك الرياضُ وهـذه نجدُ ... الشعرُ والتاريخُ والمجـدُ
ماضى العروبة فى مفاخرها ... وعلى رُباها رفرف الخُلد
وأرومة الفصحى وقد درجتْ ... فى حجرها وصفا لها الوِرْدُ
شبَّ البيانُ العبقرىُّ بها ... فرعتَـه وهى لعبقرٍ مَهْدُ
وعلى ثراها من مشارعه ... هطل الحيا وتفجـر الصَّلد
عُصمُ إذا (ثهلان) رجّعها ... صغت الرُّبا وتلفت الوَهْد (١)
يا نجد أين صباك مُلهمةٌ ... للشعر وهى رقيقةٌ رَوْدُ (٢)
مسكيّةُ النفحات ضمخها ... العَبْهرُ المنضور والرَّند (٣)
والبرق حَزَّ لخفق وامضـه ... قلبُ المشـوق فكاد ينقد
كم شاءهُ اللهفان مُدَّكراً ... وتوهمتـه حُلَيَّها الخَوْدُ
وشميمُ ذياك العرارِ وقـد ... رقَّ العشىُّ وراق يا نجـد
طارتْ إليك بنا مجنحـة ... كالبرق أعجل ومضه الحفْدُ (٤)
ركبتْ سراة الريحُ ملجمة ... فعنا الجماحُ وذلَّل القَوْدُ (٥)

---

(١) الوهد : الأرض المنخفضة وثهلان : جبل بنجد . (٢) رود : لينة .
(٣) العبهر : النرجس أو الياسمين ـ الرند : شجرة طيب الرائحة .
(٤) الحفد . الإسراع (٥) السراة : الظهر . والقـود : القيادة .

مكتبتنا العربية

تطوى الفضاء فلا يعوقها بحر طغى موجا ولا طـوْدُ
وتشق جيب السحب عانية وأزيزُها فى جوفها رعـــد
تنقض جارحة فإن صعدت فمُسدَّد لم يُخطه القصـــد (١)
وكأنما الجبل الأشم يُرى منها كثيب رَمْلُه مَهدُ (٢)
حتى أظلتنـــا سماءُ رُبا فى ظلها يستروح الجهد
يا ساهر الأشـــواق أرقه طولُ الحنين وشفه الوجـد
يصـــبو لأهل بمصر وقد شط المزارُ وأوغل البُعْـد
أقبلت من وطن إلى وطن حان فلا بُغض ولا حقـد
أهلوه أهلونا يظللنـــا علم ويجمع بيننا الود
هوِّن عليك فنست مغتربا تلك الديار لنا بها عهـــد
ســـبق الخيال إلى مطارحها شوقا وطار بأفقها يشْدُو
كم قد غدا والصبح منبلج وسرى وجنح الليل مُرْبَد
ولكم حكى عنها وصـــورها فكأنها لعيوننا تبدو
حملت صباها منه راوية يحدوه من نفحاتها النَّـد (٣)
وعلى ضفاف النيل سامِرُه قد شافه الإنشادُ والسَّرْدُ (٤)
اليوم رَأىَ العين نُبصرها بعد الخيال ويصدُق الوعدُ
وعلى رمال البيد لاح لنا واد فسيحُ الأفق مُمْتد
مشت الحضارةُ فى جوانبـــه فصبا إليها السَّهل والنَّهْدَ
وبدت حواشـــيه مطرزة فكأنه من وَشْيها بُرْد
يحلو (الرياض) على ترائبه ركنا وطيداً ليس ينهـد
مُثمِراً بواذخ كلما نهضت عصماءُ منها طالها ندُّ (٥)
طلعتْ نجومُ الكهرباء بها وزانت الشرفاتُ والعُمُـد

---

(١) الجارحة : واحدة الجوارح وهى سباع الطير . والمسدد : السهم .
(٢) المهد : الأرض المستوية . (٣) الند : الطيب والعنبر .
(٤) السرد : جودة سياق الحديث .
(٥) طالها : فاقها فى الطول . والند : المماثل ، والمراد بذلك قصور الرياض وعمائرها الضخمة

مكتبتنا العربية

وترى الموارق فى طرائقها ... زُمراً ينوء بحصرها العدد (١)
بجنونة الأبواق نافرة ... نفرَ الظباء يروعها الصَّيْد
أين النواجى فى مفاوزها ... قُلصاً وأين عتاقها الجُرْدُ (٢)
أنا من صبا للبيد يأسِرُه ... منها فضاء ما له حَدُّ
وسكونها ذاب الضجيج به ... إلا رسيمُ النوق والوخد (٣)
ومساؤها الساجى يهيم به ... سارى الخيال ويُقدَحُ الزَّندُ (٤)
ونجومها حبباً على ثبج ... والليل مدَّ عبابه المد (٥)
ورمالها تبر يفضِّضُه ... بعد الأصيل من الضحى رأدُ
وخيامها السجواء قد سعدت ... فيها الحياة وأسعف الجد
والشاء والراعى ومعزفة ... والشيحُ والقيصومُ والمردُ (٦)
قف سائل الطلل المحيل بها ... إن كان فيه لسائل رد
أين المهلهل فى ملاعبها ... غزل الشباب يروح أو يغدو
وعلى (عنيزة) أو بذى حُسُم ... كم شدَّ وهو الفارسُ الجلد (٧)
يا نابغىَ الليل كيف ترى ... ليلا ليوم الحشر يمتد (٨)
كم ضاق قبلك ذو القروح به ... فى (إثمد) وأمضَّه السُّهدْ
ناما بليل ما لأوله ... من آخر أو يأتى الوعد
أغفى به الأعشى وكان بها ... صنَّاجة بسرى الدجى تحدو
شُدتْ أنامله على وتر ... يطويه فى (منفوحة) لحْدُ (٩)

---

(١) المقصود بالموارق : السيارات الكثيرة الصاخبة الأبواق بمدينة الرياض .
(٢) النواجى : جمع ناجية وهى الناقة تنجو براكبها وتجتاز المفاوز والقلص : جمع قلوص وهى الشابة القوية والعتاق الجرد : الخيل الأصيلة . (٣) الرسيم والوضد : نوعان من سير الإبل .
(٤) الساجى : الساكن الهادى والزند : ما يقدح به الشرر . والمراد تفتح القريحة وتوقدها .
(٥) الحبب : ما يعلو الماء من فقاقيع والثبج : وسط الماء أو اضطرابه .
(٦) المرد : الغض من ثمر الأراك (٧) عنيزة وذو حسم من مواقع حروب البسوس . والجلد القوى . (٨) كان النابغة وذو القروح (وهو امرؤ القيس) مشهورين بالشكوى من طول الليل . والمراد بالليل الآخر الموت .
(٩) منفوحة : قرية بجوار الرياض بها قبر الأعشى . وكان يسمى صناجة العرب لتغنى بشعره .

مكتبتنا العربية

أيك البيان الحرُّ منذ نما ... فى الجاهلية غصنُه المللد (١)
ما زلت فى الإســـلام حلبته ... وبه ندفق نبعُك المد (٢)
حتى أظلك بعـــد مَنبهةٍ ... ليلُ الخمول وأطبق الرَّقد (٣)
فالنبع شحَّ وغاض دافقـــه ... والروض جفَّ وصوح الوَرْد
والجهل أطفأ من خرافته ... نور العقول فأبهم القصـــد
ثم انتبهت على مُجَلجِلةٍ ... للبعث يطلقها فتى نجْدُ (٤)
فسلى (عُـيَيْـنة) كيف ردَّدَها ... مثل الأذان إمامُها الفردْ (٥)
(والدَّراعيَّـة) كيف رنَّ بها ... صوتُ البشير ورفرف البند (٦)
درع حبتْه حـــين لاذ بها ... وجنودها للوائه جنـــد
والمشرفيـة للهدى سـند ... والدين نعم العونُ والأيدُ (٧)
تقوى السيوف الفاتحاتُ به ... وبدعوة الإصلاح تشتدُّ
والملك ما لم يســـتقل على ... أسسٍ من الأخلاق ينهـد
قـد ينهض الشعبُ الجريح إذا ... لم ينطفئ من رُوحـه الوَقْدُ
ويعود مرفوع اللواء وما ... لمُضيع أخلاقه عَـــوْدُ
والعبدُ حر من تخلقه ... والحرُّ من شهواته عبد
قُلْ للبدئ بكل مخترع ... يُشقى الحياة ورُوحهُ صَلَدُ (٨)
أعماه عن نور الهدى صلف ... وأضـــله الإلحاد والجَحْـد
أين السعادة فى مدمرة ... تُفنى ؟ وأين العيشةُ الرَّغد
قالوا : السلام فقلت : ينشدهُ ... يا للأسى أعـــداؤه اللـد
ويكـوه موءوداً ومنْ عجب ... يبكيه من بيمينه الوأدُ

---

(١) الملد : الناعم اللين . (٢) المد : الكثير الماء . (٣) الرقد : النوم
(٤) النجد : الشجاع ، والمقصود به هو الإمام الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » الذى نهض بدعوة الإصلاح الدينى فى نجد بعد رقدتها الطويلة فى ليل الجهل والخرافات ، وذلك حوالى عام ١١٥٠هـ
(٥) عيينة : هى البلدة النجدية التى انبعث منها صوت إمام الدعوة « محمد بن عبد الوهاب » .
(٦) الدارعية : بلد الأمير سعود الذى ناصر دعوة الإمام « ابن عبد الوهاب » عند البدء العلم الكبير .
(٧) الأيد : القوة .
(٨) [illegible]

مدنيّة خُدِعَ الغريرُ بها ... لى فى بريق طلائها زُهُدُ
قلق تعقّدت النفوسُ به ... وتوقع للشر مُمْتَدّ
وصراعُ غاب من شريعته ... أن يستبدّ بأعزل وَرْدُ (١)
ولربما جر الخرابَ على ... دنيا الخلائق أحمق وغدُ
السيفُ لم يعتد حامله ... بعقيدة أولى به الغمد
والعِلمُ ذو حدين : نافعهُ ... حَدٌّ وجانبُ شره حد
إنّا ودينُ الله عدتنا ... لسنا بغير الله نعتد

• • •

زمن أدالك فى تداوله ... فجرى عليك النحس والسعد
والدهر صفو بعده كدر ... والعيش صاب بعده شهد
قد أذّن الفجر المضىء فلا ... يحجبْك عن أضوائه سَدّ
صُبْحُ العروبة لاح بعد دُجى ... من ليلها وتبين الرشد
فخذى مكانك فى انتفاضته ... نهضَ الأسير وحُطّمَ القيْد
قومى انهضى وابنى ولا تهنى ... كيما يعود لأرضنا المجد
حيا صباح عُلاك مُطّلعه ... وله الثناء الجمّ والحمد
(وسقى ديارك غير مفسدها) ... غدق عميمُ السّح يا نجد

حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية
ومبعوث الأزهر (بالرياض)

(١) الورد : الأسد القوى

مكتبتنا العربية

الكتب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - تاريخ الإسلام فى الهند:

للأستاذ عبد المنعم النمر

للإسلام والمسلمين تاريخ حافل فى الهند استقر هناك خلال أكثر من ثمانية قرون ، والأستاذ عبد المنعم النمر المدرس بالأزهر الشريف حين كان مبعوثا للمؤتمر الإسلامى والأزهر فى الهند عام ١٩٥٦ جعل هدفه أن يكتب تاريخ الإسلام فى الهند ، حيث المراجع ميسرة والآثار الإسلامية قريبة منه والعلماء المؤرخون الهنود من المتأخرين لا زالوا على قيد الحياة .

ونحن نتعجب مع المؤلف لهذا الإهمال فى العناية بتدريس تاريخ الإسلام فى الهند ، فى الوقت الذى نعنى بتدريس تاريخ أوربا والغرب المزدحم بالصليبية الحمقاء .

لقد قدم المؤلف لسفره الضخم ببحث ألقى أضواء على الهند عامة تشمل أوضاعها السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وحضارتها ومراحل الغزو الأجنبى منذ الغزو الآرى إلى قبل الميلاد بقرون طويلة إلى الغزو الانجليزى الأخير ، ثم تحدث عن الأديان العديدة التى استقرت فى الهند قبل الإسلام ، وأبرزها الهندوكية والبوذية وعن تسرب الإسلام عن طريق العلاقات التجارية وعن فتح الإسلام للهند على يد الدولة الغزنوية وبطلها الفاتح محمد الغزنوى أواخر القرن الرابع الهجرى إلى أن صفى الاستعمار الانجليزى هذا الحكم الإسلامى فى متوسط القرن التاسع عشر .

وعرض المؤلف لمزايا الحكم الإسلامى فى الهند ، حيث استقر العدل والسلام والأمن وغرس فيها ضروبا من الحضارة فى أرقى أطوارها ، كما عرض لنماذج من البطولات الإسلامية التى صنعت بسواعدها أروع ما عرفته البشرية من الفدائية والتضحية .

وختم المؤلف مؤلفه الذى جاء فى زهاء خمسمائة صفحة ، ببحث عن الثورة الهندية

مكتبتنا العربية

ضد النفوذ الانجليزى فى مايو عام ١٨٥٧ حيث استمرت أربعة شهور ، استقرت بعدها السيطرة الانجليزية التامة على شبه القارة الهندية وانهارت آخر لبنة فى الحكم الإسلامى .

وفى هذا البحث الأخير قدم المؤلف وصفا دقيقا للوحشية الانجليزية خلال الثورة الهندية ومهما بحثت عن مرادفات للخسة والنذالة والهمجية فى قواميس اللغة بأسرها ، فلن تفى بما هو أهل للوحشية الانجليزية القذرة ولقد تجلت وقاحة الانجليز فى معاملتهم بعد إخماد الثورة لآخر ملوك المسلمين (بهادورشاه) وأبنائه ، بما يجل عن الوصف ، ولا تحتمله الأعصاب .

والواقع أن الأستاذ عبد المنعم النمر قدم للمكتبة الإسلامية العربية مؤلفا كانت فى مسيس الحاجة إليه ، حيث سد فراغا كان لابد أن يملأ ، كما أدى إلى جانب مهمته - كمبعوث للأزهر والمؤتمر الإسلامى - واجب الوفاء ، فقد حقق هدفا أدبياً دينيا ، وليت مبعوثينا فى شتى البلاد الإسلامية يقتدون به فيستطيعون أن يسدوا للتاريخ والإسلام أجل الخدمات .

* * *

٢ — ديوان ابن الدمينة :

للأستاذ أحمد راتب النفاخ

تحقيق هذا الديوان شطر من رسالة الماجستير للمؤلف والشطر الآخر دراسة مطولة للشاعر والديوان معا ، وفى هذا المؤلف جعل دراسته ذات شطرين :

الأول عن ابن الدمينة الرجل ، والآخر عن ابن الدمينة الشاعر ، وجعل الشطر الأول فى فصلين ، أولها عن مصادر ترجمة ابن الدمينة وقيمتها التاريخية ليعتمد فى الحديث عن حياته على أساس نقدى صحيح . والآخر عن حياة ابن الدمينة نفسها . وأما الشطر الثانى من الكتاب فقد جعله المؤلف فى ثلاثة فصول ، عن رواة شعر ابن الدمينة وتدوينه ، وعن اختلاط شعره بغيره ، ثم عن أغراض الشاعر الشعرية ومذاهبه فيها .

وابن الدمينة شاعر عربى ينتمى إلى قبيلة خثعم ، ولكن مولده ووفاته مقتولا مجهولان اضطربت فى إثباتهما آراء المؤرخين ، وبذل المؤلف المحقق فى هذا الصدد جهوداً ضخمة مضنية ، وخرج بأن الشاعر لم يكن إسلاميا ولا من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وإنما كان شاعراً عباسياً محدثا .

وحقق الأستاذ النفاخ شعر الشاعر تحقيقاً دقيقاً عميقا ، وقد اعتبر - كما ذكر فى المقدمة - أن الشطر الأكبر من شعر الشاعر جاء نسيباً عذريا وهو الذى اختلط بشعر غيره ، وأما الباقى فقد جاء نسيباً مشوبا بموضوعات وصفية

مكتبتنا العربية

من أغراض أهل البادية ، ثم ألم ببعض عيوب القافية فى شعر ابن الدمينة ، وتناولها بالتحليل والتفسير .

إن الأستاذ النفاخ أديب متعمق من الإقليم الشمالى ، وفى تحقيقه لهذا الديوان قدم للمكتبة أثراً أدبيا له قدره ، والتقدير اللائق به ليس لأنه حقق ديوانا ، وإنما لأنه اختار شاعراً مغموراً لم تتفق روايتان على تاريخ مولده ووفاته والعصر الذى عاش فيه ، ولذلك بذل مجهوداً مضنياً وحسبنا دليلا هذه الأمهات من المراجع الأدبية والتاريخية والمخطوطات والمعجمات وهى مائة وستون مرجعا أثبتها فى تحقيقه عدا غيرها مما ضاق به الحصر ، ومع هذا فالأديب النفاخ يرى أن بين عمله وبين ما يريده لهذا الديوان بونا بعيدا ، وهو يأمل أن يجد من آراء الزملاء الدارسين ما يعين على استكمال أسباب التحقيق وفوق كل ذى علم عليم .

٣ — وجهة العالم الإسلامى :

للأستاذ مالك بن نبى

ترجمة الأستاذ عبد الصبور شاهين

الأستاذ مالك بن نبى أحد أبناء الجزائر المناضلة . وهو من المفكرين القلائل الذين نشئوا فى أوربا وأفنوا زهرة شبابهم فى طلب العلم هناك ، وكان تعمقهم فى الثقافة الأوربية سببا فى تحررهم من نفوذها ومعرفتهم لمصادرها ومواردها .

وللأستاذ مالك مجموعة من المؤلفات القيمة اختار لها عنوان : مشكلات الحضارة ، وبحوثه جميعها ربطها دائما بالثقافة الإسلامية ، ويقدمها ناضجة واعية ، تبدو عليها هندسة البناء ، فأصبحت تؤسس مدرسة على مستوى أعلى فى الأفكار الإسلامية ...

وكتابه هذا « وجهة العالم الإسلامى » دراسة عميقة ، قسمها إلى ستة فصول :

مجتمع ما بعد الموحدين ناقش فيه نظرية الظاهرة الدورية ، وقدم إنسان ما بعد الموحدين ، والاتصال الأول بين أوربا والإسلام ، والفصل الثانى : النهضة وناقش فيه « حركة الإصلاح » التى بدأت بكتب ابن تيمية وكانت الحركة الوهابية امتداداً لها ، ثم جاءت عقلية جمال الدين الأفغانى التى كان هدفها الأول تقويض نظم الحكم الموجودة آنذاك كما يعيد بناء التنظيم السياسى فى العالم الإسلامى على أساس الأخوة الإسلامية ، أما هدفه الثانى فهو مكافحة المذهب الطبيعى الذى كان متفشيا ، كما ناقش فى هذا الفصل « الحركة الحديثة » التى ليس لها فى الواقع نظرية محددة كما يذكر المؤلف — لا فى وسائلها ولا فى أهدافها ، وهى لم تتجه نحو الأعمال بل اتجهت إلى الأفكار ، كما أنها [illegible] العناصر

ثقافية جديدة لعدم اتصالها الواقعي بالحضارة الحديثة .

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن فوضى العالم الإسلامى الحديث وعواملها الداخلية والخارجية ، وفى الفصل الرابع عن فوضى العالم الغربى ، وفى الفصل الخامس عن الطرق الجديدة لبناء النهضة الشاملة ، وفى الفصل السادس عن بواكير العالم الإسلامى التى تبشر بمستقبل زاهر ، وختم المؤلف كتابه ببحث موجز عن الكمال الروحى لعالم الإسلام .

والحقيقة التى لا نكران فيها أن الأستاذ مالك بن نبى وثيق الصلة بالثقافة الغربية ، ووثيق الصلة بالأفكار الحديثة ، وواسع الاطلاع إلى درجة تفوق الوصف ، وهو فى مؤلفاته يعنى بالتخطيط الهندسى والتعمق فى الدراسة ، والواقعية فى معالجته المشكلات والقضايا .

٤ — **أشعة خاصة بنور الإسلام :**

المسيو إيتين دينيه

ترجمة الأستاذ راشد رستم

هذه الرسالة هى العدد السابع عشر من سلسلة الثقافة الإسلامية ، أما المؤلف فهو فنان فرنسى عاش زهرة شبابه فى خضم الفكر الإسلامى ، وبعد بحث وروية وتيقن وتفكر أعلن إسلامه عام ١٩٢٧ ، وجعل مهمته الانتصار للحق ، فبذل جهدا مشكورا فى الدفاع عن الإسلام ودحض المفتريات التى ألصقها بالإسلام - عن قصد - بعض المستشرقين الموتورين ، وأخرج للمكتبة الإسلامية عدداً من المؤلفات الجليلة .

وفى هذه الرسالة عرض المؤلف لمناقشة المعجزات وطابع الإسلام والإصلاحات الدينية إزاء حركة مصطفى كمال أتاتورك ، كما عرض المؤلف لمسائل : الخمر ، والوسيلة ، والعلم ووضعه فى الإسلام ، وتعدد الزوجات وغير ذلك ، وفى كل مسألة ينفى عن الإسلام الأباطيل التى صاغتها الأهواء .

ويقدم المؤلف لرسالته بأنه لا عدوان فى الإسلام . وأن وصية الله لنا معشر المسلمين ألا نعتدى على أحد مسالم لنا ، أما أهل السوء الذين لا ينفكون يهاجمون الإسلام بالأباطيل ويحاربونه بالمفتريات فليس علينا جناح بعد ذلك أن نظهر من نوع سلاحهم ، وندفع عن بيضة الإسلام بهتانهم فواحدة بواحدة واليادى أظلم .

والواقع أن السيد « ناصر الدين دينيه » وهذا هو الاسم الجديد بعد اعتناقه الإسلام ، ناقش بعنف الزيغ فى بعض العقائد ، وكان لكتبه أثر بالغ سواء فى فرنسا مسقط رأسه ، أو فى الجزائر وطنه الثانى ، والذى أوصى أن يدفن فيـــه وقد نفذت وصيته عام ١٩٢٩ م .

محمد عبد الله السمان

مكتبتنا العربية

بريد المجلة

الرئيس يشبه بالأزهر فى الهند:

الكلمة التى ألقاها السيد / الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى حفل الاستقبال الذى أقامته جمعية علماء الهند تكريما لسيادته :

« أيها السادة العلماء » :

إننى أحمل إليكم من القاهرة ـ مقر الأزهر الشريف ـ تحية إخوان لكم يعملون معكم لنفس الأهداف التى يسعى إليها مجتمعنا، وهى فى الواقع نفس القيم الإنسانية العالية التى يوصى بها ديننا، وهى فى الوقت نفسه جزء من التراث الروحى للجنس البشرى — ذلك التراث الخالد الذى استطاع به الجنس البشرى أن يعبر على جسر من الإيمان فى عصور الظلام الأولى إلى الآفاق الروحية المشتركة .

« أيها السادة العلماء » :

إن الشعوب الإسلامية مدعوة اليوم للمساهمة بنصيب وافر فى خدمة المبادئ العليا السامية التى نريد لها أن تسود ، وإن أمتنا لتجد من عقائدها حوافز تدفعها إلى العمل مع غيرها من الأمم التى تسعى خلال عقائدها الخاصة إلى نفس المثل العليا، التى أرادها الله للعالم الذى خلقه وأبدعه ؛ وأراد له الخير وأراد له الهدى . وفقكم الله إلى أن تقوموا مع إخوانكم من علماء الإسلام فى النهوض بجزء من أعباء الرسالة العظيمة التى تعمل الشعوب الإسلامية على إقامتها مع غيرها من شعوب العالم المتطلعة إلى الحرية والعدل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

شكر الأستاذ الأكبر للسيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى الهند يشكره على الكلمة السابقة :

أحمد إليك الله وأشكره على ما أمدك من عونه وتوفيقه فى جمع كلمة العرب والمسلمين على التواصى بالخير والتعاون على البر والتناصر فى الشدة ثم أقدم إلى سيادتكم أخلص الشكر وأصدق الدعاء على تنويهك

برسالة الأزهر فى كلمته الكريمة الملكية

للسادة علماء الإسلام فى الهند ، وعلى دعوتك وارثى الدعوة المحمـــدية وقادة الشعوب الإسلامية إلى العمل معا على نشر مبادئ الرسالة الخالدة: رسالة الوحدة والوئام رسالة الهدى والسلام : رسالة الله العامة التى لا تفرق بين دين ودين، ولا بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون . وعلماء الدين وزعماء الدنيا حريون أن يستجيبوا لهذه الدعوة الجامعة فيتضافروا على رفع المنارة الروحية فى طريق القافلة البشرية ؛ لتهتدى بنور الله إلى السبيل الواضحة وتنتهى إلى الغاية الجامعة ، أيدك الله بنصره وأمدك بروح من عنده وجزاك جزاء المصلحين المخلصين .

رسالة الأستاذ الأكبر

إلى مسلمى الفيلبين :

يحرص إخواننا مسلمو الفيلبين على أن يسمعوا صوت إمام المسلمين وشيخ الأزهر فى الشئون الدينية ، فهم لا يصومون إلا إذا أشار ، ولا يفطرون إلا إذا أفتى ، وقد اتصل بهم فضيلته فى يوم عيد الفطر عن طريق اللاسلكى وأبلغهم هذه الرسالة .

إخوانى فى الدين وفى الله مسلمى الفيلبين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد .

فإنه ليسرنى ، ويشرح صدرى أن أعود إليكم فأتحدث معكم مرة أخرى حديثا متصلا بحديثنا السابق فى غرة رمضان المعظم ، وكان موضوع حديثنا السابق التهنئة بحلول شهر رمضان أما موضوع حديث اليوم فهو التهنئة بحلول عيد الفطر المبارك .

إخوانى :

استقبلنا بالأمس القريب شهر رمضان وتلونا وسمعنا قول الله فيه « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وكنا أمام هذا الأمر الإلهى فريقين: فريقا آمن بربه وعرف مكانة الشهر عنده فقام بواجبه فيه فصامه . وأخلص فى صومه ، واستمر الشهر كله صائما حتى أتم الله عليه نعمته بالامتثال والطاعة ، وفريقا آخر انحرف قلبه عن أمر الله . فانتهك حرمة الشهر بفمه ، فأكل وشرب ، وبقلبه ، فحسد وحقد ودبر الكيد ، وبنفسه فامتهت شهوته إلى ما حرم الله عليه واستمر هكذا حتى ودع رمضان ورمضان ساخط عليه .

فإلى الفريق الأول الذى قام بواجب الصوم نوجه التهنئة له بهذا التوفيق الذى ظفر به ، وتهنئة أخرى باستقبال العيد: عيد الفطر المبارك

مكتبتنا العربية

الذى نستقبله بفرحة العبادة . وشكر المولى على ما أنعم به علينا . وأما الفريق الثانى فإننا ندعو الله أن يوجه قلبه إلى الهداية وأن يأخذ بيده إلى الطريق المستقيم .

أيها السادة :

إن يومنا يوم عيد وقد انقضى شهر رمضان وثبتت رؤية هلال شوال عندنا فى مساء السبت ٢٦ من مارس وبهذا صار يوم الأحد ٢٧ من مارس عيد الفطر صلينا فى صباح العيد وأفطرناه وهنأ به بعضنا بعضا بعد أن ثبتت رؤية هلال شوال فى الجمهورية العربية المتحدة . وإذا لم تعلموا أنتم برؤية هلال شوال إلا بعد ظهر يوم الأحد المذكور فإن اليوم التالى وهو يوم الاثنين ٢٨ من مارس يكون هو العيد عندكم وعليه يجب أن تعزموا من الآن على صلاة العيد صباح الغد وبهذا صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واختاره جمهور الفقهاء وبه نعمل ونفتى .

وإنى أنتهز هذه الفرصة فأبعث إليكم ، وإلى سائر المسلمين فى جميع بقاع الأرض خالص التهنئة داعيا الله لنا جميعا بالألفة والمحبة ، واتحاد الكلمة ، وجمع الشمل وأن يؤيدنا تعالى فى نشر ديننا والعمل بما يرضيه ويقربنا إليه .

فلتفرحوا وليهنئ بعضكم بعضا متحدين قلبا وهدفا ، وغاية وسلوكا وأمنا وطمأنينة وليعد بعضكم إلى بعض - على ما بينكم - من بعد المسافات ، واختلاف اللغات وتباين الأقاليم - يد التهنئة والتعاون والتكتل ، والتآلف والمحبة التى تجمع قلوبكم وتوحد كلمتكم وتطهر أرضكم من أشواك الاستعمار وظلمه ومكايده والله معكم أينما كنتم « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عيد الفطر عيد مبادئ ومثل :

أبرق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الفطر المبارك يقول :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد

فإن عيدنا اليوم عيد مبادئ ومثل لأنه عيد القيام بالواجب الذى فرضه الله علينا . هو عيد التواد والتآلف والتحاب والتعاطف والتراحم والوحدة الجامعة بين القلوب والسلام لجميع الناس .

المعانى الفاضلة للصيام :

ففرحة المسلمين إنما هى فرحة زينة وعبادة تجمع بين حظ الجسم والروح فتبقى على

المعانى الفاضلة التى اكتسبها المسلمون فى شهر الصيام من إيمان وصبر وعزم وقوة وإرادة ، وما أحوجنا إلى هذه المعانى تستقر فى نفوسنا لتكون لنا النور المشرق الذى نهتدى به فى نهضتنا الحديثة التى أرسيتم قواعدها وأقمتم بناءها الأشم .

الدين أساس القوة والمجد :

وإن مثل هذا البناء الضخم ليحتاج إلى أسس من الدين وقواعد من الخلق قوامها التربية الروحية الأصيلة ؛ لأن قوة الروح هى القوة الدافعة إلى الخير المحققة للنصر فى جميع الميادين .

وما أحرى أمتنا بالشكر تقدمه إلى مولانا وبارئنا على ما أولاها به من نعم النصر وجمع الكلمة ووحدة القلوب على يديكم .

وإننى إذ أهنئكم بالعيد — باسم الأزهر علمائه وطلابه — فإنما أهنئ فيكم المبادئ القوية التى آمنتم بها وآمن بها شعب من ورائكم يؤمن بالبناء والتعمير ولا يعرف التخريب ولا التدمير وبذلك سرتم بنا من نصر إلى نصر .

وإن المبادئ التى تتركز فى النفوس وتؤمن بها القلوب تصبح عند أصحابها أعز من نفوسهم ومن أموالهم ومن كل ما يملكون .

فسيروا على بركة الله تكلؤكم رعايته ، وتحدوكم عنايته والله معكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

بدعة استحضار الأرواح :

كانت الروحية الحديثة أو الدعوة الخبيثة قد شغفتنى ردحا من العمر كنت أحسب خلالها أنى أحسن صنعا — وزين لى باطلها ما روجه لها المروجون وزيفها الداعون . إما عن حسن نية وسذاجة تفكير وإما عن سوء طوية وخبث تدبير ، فألبسوها ثوب العلم المتحرر والتجريب المتكرر حتى شغلت على تفكيرى وأفسدت على تدبيرى ؛ كيف لا وهى تزعم أنها تقتحم الغيب المجهول وكل غيب يستهوى الفؤاد وتتوق إليه العقول ؟ . حتى فجأنى الحق جل جلاله فى لحظة فأزال الله جل وعز ببركة روحانية رمضان المبارك عن عين قلبى غشاوة الضلال وأبان لى الحرام من الحلال فعلمت ما فى هذه الدعوة الخطيرة الماكرة من سموم تستهدف تمييع العقيدة وتهوين سلطان الدين فى النفوس وعدم الاكتراث بفرائض الله وأوامره بل وامتهانها والتشكيك فى قيمتها ويكفى ما يبثه ما يسمونه سلفربرش أو نبى

مكتبتنا العربية

الروحية من عقائد زائفة فهو الذى يقول « إن ولاءنا لا لكتاب ولا لنبي ولا لعقيدة ولكن لله وحده » ويقول « دلونى على الرجل الذى لم يحن ركبته قط لله فلم يعترف به ولم يؤمن به بل أنكر وجوده وألحد فيه وهو مع ذلك يعامل الناس بخلق حسن لأقول لكم إنه هو الشخص السعيد الناجى فى عالم الروح » .

ولقد ثبت لى أخيراً ثبوتا قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التى تحضر فى جلسات التحضير وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هى إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون .

والآن وقد انقشع عن قلبى زيف الباطل ببركة إلحاحى فى الدعاء بقولى: اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه ، لست أشك أن وراء هذه الحركة منذ نشأتها يهودى خبيث كابن سبأ شأن كل الدعوات الزائفة البراقة من إخوان الصفا قديما إلى الشيوعية والماسونية حديثا .

ولقد آليت على نفسى إبراء للذمة وانخلاعا مما كتبت أو حدثت ، ما جلست مجلساً دعوت فيه لهذه الدعوة الخبيثة عن حسن نية إلا جلست مثيله لهدمها ونقضها ولا كتبت فى صحيفة مؤيدا لها إلا كتبت مستنكرا معتذرا متبرئا ومحذرا إخوانى المسلمين من خداعها وزيفها مقررا بعد هذا الشوط الطويل أنى ما وجدت طريقا صحيحا إلى الله حقا إلا فى كتابه العزيز وسنة رسوله النبى الأمى الذى لا ينطق عن الهـــوى والتعلق بأهل البيت وعترته الطاهرين .

والآن وأنا أودع هذه الحقبة الشقية من عمرى أجدد فيها إسلامى وأستعيد فيها إيمانى أودع معها زملاء أعزاء وأصدقاء شرفاء لا أحمل لهم فى قلبى إلا كل عطف وإشفاق ورثاء ملحا على الله فى الدعاء أن ينير بصيرتهم وينقذهم من أوحال هذه العقيدة الفاسدة مؤكدا لهم أمرين . أولهما أنه كقاعدة لا تتخلف ما من مشتغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أهله لديه وأعزهم عليه ويمكنهم تتبع ذلك فى كل من يعرفون وأنا أولهم . وثانيهما أن معتنق هذه العقيدة لا يموت حين يموت مسلما أو مؤمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فاللهم إنى أعتذر إليك مما كتبت أو حدثت أو فعلت وأبرأ إليك من ذلك كله ومن كل عقيدة تخالف الإسلام فى أية صورة من الصور .

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

حسن عبد الوهاب

السكرتير السابق لجمعية الأهرام الروحية

مكتبتنا العربية

فهرس أبجدى عام
لموضوعات المجلد الحادى والثلاثين

حرف (ا)

١٠٨٣ ابن سناء الملك ... ...
٦٩٨ ابن مضاء وتحرير النحو ... ...
٩٦٠ الاتجاهات الحديثة فى الفكر الإسلامى
٤٧٥ أثر الروح الإسلامية فى النفس البشرية
٩٠ أثر الفرقان فى تحرير الفكر الإنسانى
١٨٢ أحفاد القرامطة ... ...
٦٥٥ الأدب العربى والتخصص ... ...
٧٨٣ الأدب والتاريخ فى معرض النقد الحديث
٤٢٧ / ٥٦١ / ٧٢١ الأزهر منذ أربعين سنة ... ...
١٤٢ الأزهر ومذاهب الفقه الإسلامى ...
٨٩٦ الأزهر والثقافة فى البلاد العربية ... ...
٥٥ أسباب اختلاف الرأى بين المسلمين ...
١١٥٥ استحضار الأرواح ... ...
٨٣ استقبال شهر المحرم ... ...
٨٨٢ الإسراء (قصيدة) ... ...
١٠٩٠ الاسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين ... ...
٦٢٨ الإسلام عقيدة وشريعة (كتاب) ...
٤٨٠ الإسلام فى إفريقيا الغربية ... ...
٩ الإسلام كنظام للحياة ... ...
٩٥٧ الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ... ...
١٠٤١ الإسلام وحدة وجماعة ... ...
٢٢٤ الإسلام والعرب ... ...
٨٧٦ الإسلام والعصر الحديث ... ...
٦٢١ أسماء بنت الصديق « مسرحية دينية »
٣٧٢ الاشتراكية فى الإسلام ... ...
١١٥٣ أشعة خاصة بنور الإسلام (كتاب)
٧٧٥ افتتاح الدراسات الاجتماعية فى الأزهر
٤٦٢ ألا تزال للدين رسالة ؟ ... ...
١١٤١ الله فى العقيدة الإسلامية وفى مقارنة الأديان
٣١٤ إلى الصحافة العصرية ... ...
٨٠ إلى المشتغلات بالشئون النسوية ...
١١٣١ الأملوك ... ...
١٠٣٨ أمة التوحيد لا بد أن تتحد ... ...
١٠٤٨ الأمومة فى الخدمة الاجتماعية ... ...
٣٦ أنجع وسائل الدعوة ... ...
٩٥٧ انحدار الأذواق ... ...
٤٦٩ الانحلال شر من الشيوعية ... ...
٧٩٥ أهكذا كان الحلاج ؟ ... ...
٥ الإيمان بين التفكير والفلسفة ...

(ب)

٨٥٦ البابا السابق يعترف بالاسلام ... ...
٩١٥ البحث العلمى فى تاريخ الأدب ... ...
٦١٠ بحث فى فعل « ظل » ... ...

مكتبتنا العربية

(ب)

١١٥٦ برقية الأستاذ الأكبر إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى الهند ... ...
٩٥٢ البلاغة العربية بين منهجين ... ...
١٠٢٣ بل يجب أن يبقى هذه العقوبة ...
٢٣٩ بين السنة والشيعة ... ...

(ت)

٢٦١ تحدى الإله ومعناه ... ...
١١٥١ تاريخ الإسلام فى الهند (كتاب) ...
٨٩١ تحديد النسل ... ...
٤١٤ التشريع الإسلامى ... ...
٩١٣ تحية الأستاذ الأكبر إلى جميع المسلمين فى شهر رمضان ... ...
١٠١٢ تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت
٥٧١ تشقيق المعنى ... ...
٤٥١ ، ٥٩١ تطور النحو العربى ... ...
٣٢٨ التوازن بين العقل والقلب .. ..
٨٩٣ التوحيد سبيل الإصلاح ... ...

(ث)

٥١٧ الثقافتان ... ...
١٠٤٤ (عود إلى الثقافتين) ... ...
٤٩١ ثورة بيضاء من نور الإله (قصيدة) ...

(ج)

١٠٢٨ جانب من العبرة فى قصة آدم ... ...
١١٨ جدد حياتك للغزالى « كتاب » ... ...
١٢٩ الجهاد فضيلة فى العرب وفريضة فى الدين

(ح)

١٥٩ حاجتنا إلى التشريع الإسلامى ... ...
٤٩٣ ، ٦٢٦ ، ٧٨١ أحاديث الأستاذ الأكبر ... ...
٨٢٠ الحرية الدينية فى الإسلام وعلاقتها بالاجتهاد والتقليد ... ...
٩٩١ حكم الاجتهاد فى تقدير الشريعة الإسلامية
٣٥٩ حكم الله فى حكم قاسم ... ...
٨٤١ الحلاج منزلته الحقيقية ومبادئه الصوفية
٩٨٨ الحواجز التى أقمناها بأيدينا ... ...
٧٦٤ حول الإصلاح الدينى ... ...
٦٣١ حول كتاب المغير لابن الصديق ... ...
٨٦٠ حول كلفته بأمر ... ...
١٠٢٣ حول النصيرية والاسماعيليه ... ...

(خ)

٩٧٩ خذه بعمله ... ...
٨٢٦ الخليقة والسليقة ... ...

(د)

٧٣٦، ٩٨١ دراسات لأسلوب القرآن الكريم
٣٩٣ الدين المعاملة ... ...
٢٦٥ الدين فى حياة الإنسان ... ...
٢٩٠ الدين هل أدى دوره وانحسر مده ؟ ...
٧٢ الديانات الجديدة ... ...
١١٥١ ديوان ابن الدمينة (كتاب) ... ...

(ج)

(ذ)

٢٩٥ ذكرى ميلاد الرسول ... ...
١٧٣ - ٤٤٢ ذو القرنين فى القرآن والتاريخ...
٤٧ ذو النون المصرى ... ...

(ر)

٦٧٤ رجل الدين بين المسايرة والمكابرة ...
٨٩٤ رجال الأديان يقاومون الإلحاد ... ...
٥٢٧ رجة البعث الجديد فى كلية الشريعة ...
١٠١٨ رخصة الإفطار للجنود المقاتلين ...
٥٦٧ رسالة ! ... ...
١١٥٥ رسالة الأستاذ الأكبر إلى مسلمى الفليبين
٦١٣ رماد ولا نار ... ...

(ز)

١٠١٨ زعيم أوغندا لدى الأستاذ الأكبر ...
٣٦٧ الزكاة فريضة الإسلام ولا بأس من جبايتها بالقوة ... ...

(س)

٩٧٩ الساقية ... ...
٨٨٨ السينما من وجهة نظر الدين ... .

(ش)

٨١٣ الشريعة والناس ... ...
١٠٨٣ شعراء الوحدة ... ...

(ص)

٤٨٨ صلوات روح « قصيدة » ... ...
٣٣٩ صوتية الأدب ... ...
٩٤٢ الصوم عبادة صامتة ولكنها مناجاة بين العبد وربه ... ...
٩٤٧ صيام رمضان وصلته بصيام المانوية والصابئين والعرب فى الجاهلية ... ...

(ط)

٩٤٧ الطاقة الدينية ... ...

(ظ)

٩٩٦ ظاهرة التفخيم بين الفصحى والعامية

(ع)

٣٥٠ العالم الإسلامى والجغرافيا الدينية ...
٨٧١ العالم الروحى فى تقدير الإسلام ... ...
٦٩١ عبد الرحمن الكواكبى ... ...
٧٥٠ عبد الرحمن الكواكبى رائد العروبة «قصيدة»
٩٧٥ عبد الرحمن الكواكبى والقومية العربية
٥٩٥ عتاب على كاتب حرف معنى « إذا بليتم فاستروا »... ... ...
٩٧٩ عدو لدود ... ...
٨٣٧ (مسألة العصمة) ... ...
٩٧٩ العفشة والعفاشة ... ...
١٠٣١ عمر الفاروق فى بعض نواحيه ... ...
١٠٧٤ عيد الفطر فى التاريخ والأدب ... ...
١١٥٥ عيد الفطر عيد مبادئ ومثل ... ...
٨٤٩ عيد النصر ... ...

مكتبتنا العربية

(غ)

٩٧٩ غصن يانع ... ...

(ف)

٧٥٦ الفتاوى «كتاب» ... ...
١٤٦ الفنون الجميلة فى نظر الإسلام ... ...
٦٠٠ الفنون فى تاريخ المسلمين ... ...
٣٦٩ الفوائد فى أصول البحر والقواعد «كتاب»
٤٢٢ فى دعوة الإسلام قضاء على الإلحاد ...
٤١٠ فى وصايا القرآن دعم لنظام المجتمع ...

(ق)

٦٠٥ القانون الدولى فى تقدير الإسلام ...
٩٤ القدر والمصادفة فى الإسلام والفلسفة المادية
٥١٤ قرآن الفجر ... ...
٥٤٩ قصص الأنبياء بين القرآن الكريم وأسفار العهدين الجديد والقديم ... ...
٨٧ قصص الأنبياء فى السينما ... ...
١٠١ قصة الفداء «قصيدة» ... ...
٥١ القومية فى عهد الأيوبيين ... ...
٢ قوى الإسلام الثلاث ... ...

(ك)

٢٣٥ كارثة فلسطين «كتاب» ... ...
٧٩٥ ، ٩٢٦ ، ١٠٦٩ الكرامة والعزة فى القرآن الكريم
١١٥٥ كلمة الرئيس جمال عبد الناصر لعلماء الإسلام فى الهند ... ...
٣٠٦ كنوزنا فى طريق الضياع ... ...
٦٦٠ كيف يتصل الشباب بالدين؟ ... ...

(ل)

٧٦٧ اللغة العربية هى لغة المسلمين كافة ...
٨٦٠ اللقانة والحرام ... ...

(م)

٧٤٥ ماذا يقولون بل كيف يقولون؟ ...
٧٦٣ مبادئ الإسلام هى مبادئ السلام ...
٣٩٤ ، ٥٢٢ ، ٥٤٤ المبشرون والمستشرقون ومـ وقفهم من الإسلام ... ...
٦٨٠ ، ٨٠٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٦٤ مثل عليا إسلامية عربية ... ...
٧٨٧ ، ٩١٩ المجتمع الحديث ... ...
٣٠٠ محاولات شيوعية فاشلة فى العصر القديم
٨٦٥ محمد بن موسى الخوارزمى واضع علم الجبر
٦٥٠ محمد رسول الله أول من أعلن حقوق الإنسان ... ...
١١٢٤ المذهبية والتقليد ... ...
٣٧٩ المذاهب الهدامة تهدم نفسها ... ...
١٣٣ المساواة فى الإسلام وفى المذاهب الهدامة

٦٨ - ٢٠٥ المطالع والمقاطع فى شعر شوقى
٣٢١ مظاهر إسلامية كريمة فى أندونيسيا ...
٣٣٣ مع الشيوعيين فى سجونهم ... ...
٤٩٩ مع الله « كتاب » ... ...
١٣٧ مع المذاهب الإسلامية ... ...
١٩٠ معارك دمياط والمنصورة فى العصر الصليبي وأثرها فى الأدب ... ...
٧٧٧ المعركة التى أنقذت الإسلام والعروبة
١٠١٠ مناجاة « موشح » ... ...
٩٠٤ من أخلاق المحدثين ... ...
١٠٢٣ من ذكريات رمضان ... ...
٨٠٠ من شئون الله فى خلقه أنه يرفع أقواما ويخفض آخرين ... ...
٦٨٦ من عدالة الإسلام بيان الجزاء قبل المحاسبة
٢٥٨ من المهود المظلمة أشرق نور الله ... ...
٨٨٦ من وحى السد (قصيدة) ... ...
٥٣٧ موقف الإسلام من الوحدة والتفرق
٣٠ موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة ... ...
٣٥٦ مولد رسول وأمة « قصيدة » ... ...
٦١٩ مهبط الوحى « قصيدة » ... ...

« ن »

٢١٦ النابغة الشيبانى مسلم لا نصرانى ... ...
٧٤٣ النبوات فى تقدير الإنسانية ... ...
١٢٤٩ نجد « قصيدة » ... ...
٨٩٨ نجوى لعدنان مردم . « ديوان شعر »

« هـ »

٤٠ الهجرة ... ...
٧٢٧ هذا الرجل ماذا وراءه ؟ ... ...
٢٢١ هل تعلم شيئا عنا ؟ ... ...
٤٣٩ هل ينتفع الميت بعمل الحى ؟ ... ...

« و »

٢٦ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
٣١٤ وجود الله يتحدى الشيوعيين ... ...
١١٥١ وجهة العالم الإسلامى (كتاب) ...
٤٨٦ وجهة نظر الشيوعية عن الإسلام ...
١٠٠٧ الوحدة الخالدة « قصيدة » ... ...
٢٣٣ وحدة فى سبيل الحق ... ...
٧٣١ وصف اسم الجمع ... ...
٣٤٧ وصف الجمع والخبر عنه ... ...
٤٧٢ وصف جمع المذكر غير العاقل بجمع المؤنث
٥٧٩ / ٧١٦ وضع الربا فى بناء الاقتصاد القومى
٦١ وقفة على رأس الخمسين ... ...

« ى »

٣٨٦ يا حسرتا على العراق ... ...
٩٤٠ يومان من أيام رمضان : يوم القرآن ويوم الفرقان ... ...

مكتبتنا العربية

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Sicentific Knowledge which discusses the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as "The Grey Note-Book."

An old Campaign.

The war waged against religions is not the outcome of the present age nor is it the innovation of the materialistic Marxism which assumes that religion is an opium given to the people. Voltaire, the French writer, had expressed such an idea long before the time of Marx, the Jewish thinker. when he said that deification had been an idea contemplated by clever priests to win the hearts of simpletons who enthusiastically took it to heart and believed in it. In such an attitude Voltaire in fact was following the example of the Greek Sophists who had denied or at least suspected the genuineness and naturalness of things. They propagated fallacies and diffused doubts. They alleged that man, since the dawn of humanity, had submiited only to power and not to any code of laws or set of values. Later on when laws were instituted the explicit performance of such chaotic and primitve deeds disappeared. This apparent features gave way to the prevalence of secret crimes which were incessantly committed. Such behaviour inspired certain genius - minded men to initiate the idea of an unforeseeble power which controls the lives of all creatures and masters their fates ; an eternal power all-seeing and all - hearing so as to convince the masses to behave well secretly and in public.

However, it is unwise to deny the assumption that at a certain historical period a new belief or a set of laws of worship had been institnted, for such assumption does not oppose reason or contradict facts. Such concession does not at all give any ground to convince us that the idea of religiousness was not as old as humanity itself.

Religiousness is innate instinct :

Twentieth Century Larousse

Dictionary states the following: "religious instinct is unanimously shared by all human races. It is even shared by the barbrous and savage races. The humanity at large takes great interest in pondering upon the heavenly concepts as well as the metaphysical concepts."

The philosopher Henrie Bergson says: "there had existed and still exist some human groups without sciences, arts and philosophies, but there had never existed any group of individnals without religion or belief."

Earnest Renan in a treatise on the *history of religion* says: "it is feasible that any thing we like may decay and the freedom to use [illegible] sceience and industry may [illegible] ctioning, but it is quite [illegible] that religion can be abolished. It rather stands as a conclusive argument against the fallacious doctrines of materialism which desirously attempt to confine human thought to mean and narrow passages of the mundane life."

Mr. Muhammad Farid Wagdi comments on this quotation by saying: " Nay; It is impossible that the idea of religiousness can be eradicated because it represents the most sublime centiments of the human-being. Therefore the natural tendency to religion will continue deeply [illegible] ted in the heart of man so [illegible] has sound mind to differentiate between beauty and ugliness."

Faith in God is an intellectual requirement.

It is evident that faith in a Supreme Power, which initiated this universe and maintained its discipline, is an intellectual necessity. This is because the naive human mind firmly believes in the principle of causation and always inclines to justification and reasoning. If there is no religion or faith, the question aroused by the Qur'an will have no answer; which question reads as follows: " or were they created out of nothing ? Or are they the creators ? " (Surah. 52. V. 35).

Evidently they were not created from nothing nor did they create themselves, then it is inavoidable to recognize the existence of the God who is the Creator, the Knowing and the Wise.

As for those who evaded from the recognition of the creative Divinty because it is unseen, intangible and not subject to experimental tests could not deny utterly the existence of managing power. So they resorted, however, to another vague and esoteric power i.e.

nature. Pagans and heathens as in this concern were more logical and reasonable. When they were asked to identify who had created both heavens and earth, they said : God;

"Say : 'Who provides you out of heaven and earth, or who possesses hearing and sight, and who brings forth the living from the dead and brings forth the dead from the living, and who directs the affairs ? They will surely say, 'God.". [Surah 10, V. 31).

Sending of prophets is a manifestation of God's mercy.

Thanks to the conclusive wisdom and to the comprhensive mercy of God, the people were not left to go astray or to wonder aimlessly. He sent them messengers and prophets from amongst themselves to warn them and, at the same time, to give glad tidings about the boons of the Hereafter. Those Messengers were provided with heavenly Scriptures and commandments thereby they could set the people on the right path, to judge among them with equality and to lay down the foundations of a virtuous and dignified life. The Qur'an refers to that by saying : ". . . So that mankind might have no argument against God." (Surah. 4, V. 165).

Furthermore, the most pervaded wisdom of God necessitated that the messengers should be human individuals, not angels, selected from amongst their own people in order to be well-acquainted with their conditions. with their life, and to sympathise with their joys and sorrows. Some short-sighted persons, however, made an objection against the humanity of the prophets. The answer to this came in the Qur'an in the following verses : "Say, if there were settled, on earth, angels walking about in peace and quiet, we should certainly have sent them down from the heavens an angel for a messenger," (Surah. 12, V. 95) and : "God did confer a great favour on the believers when He sent among them a messenger from among themselves." (Surah 3, V. 164).

God purveyed those messengers with conclusive arguments as well as with clear proofs to show His approbation and to back their messengership. Such backing was so clearly defined that it convinced all fair and just people and made them believe wholeheartedly in the call of those prophets. The Qur'an refers to such an attitude by saying : " Lord, we believe in that You have sent down, and we follow the messenger. Inscribe us therefore with those who bear witness. " (Surah. 3, V. 46)

Another striking example of turning to the right is that related by the holy Qur'an about the magicians of Pharoah who, for their good fortune, had given up blasphemy

مكتبتنا العربية

and turned to sound faith. Saying, according to the Qur'an, : "We belive in the Lord of Aaron and Moses . . . " (Surah. 20, V. 70) and also saying : "Never shall we regard you as more than the clear signs that have come to us, or than Him Who created us." (Ibid V. 72).

Throughout all the ages God have sent prophets and messengers to be guiding lights to their peoples and sound educators and were counsellors to them. Such messengers were continuously sent to the people to lead them to the right path until God crowned religions by Islam and ended all messages by the ever-lasting mission of Muhammad son of Abdullah, who was sent to be a mercy to the whole universe; "We have not sent thee, save as a mercey unto all beings". (Surah 21, V. 105).

The message of Islam :

It would be a serious mistake to depict Islam as an unheavenly message merely invented by a human mind, or to illustrate it as a social phenomenon emerging from some historical effects or some economical factors. Whoso believes in such an idea is only deceiving himself and lying to the people as well. He is shutting his eyes and eclipsing his reason to the true facts around him. Furthermore, he ignores the authentic history and misconceives the practical and social facts of the Arab peninsula before and after Islam ; simply because the conditions of the Arab tribes at Mecca and its outskirts are well-known in history. It was the life of nomadism and travelling, commerce and amusments, ventures and raids.

As for their belief it is known that each tribe had its own idol to which it devoted worship. The Kaaba (Sanctuary) was honoured and glorified by all tribes. It was their habit to bring their idols around the Kaaba until the number of these idols reached three hundred and sixty. Paganism was not a superficial phenomenon in the life of the Arabs but it was penetrating deeply theirein. The manifestation of this was obviously seen in their pilgrimage, their vows and all their rituals. The Qur'an in this connection says : " Out of what God has produced in abundance in tilth and in cattle, they assigned Him a share : They say , according to their fancies : ' this is for God, and this for our partners ' ! But the share of their partners reaches not God , whilst the share of God reaches their partners ! " (Surah 6, V. 136).

Belief in one God (Tahannof) was not known before Islam except to a throng of individuals who were so sound and reasonable that they

مكتبتنا العربية

rejected to fall into the abyss of heathenism. They deserted the worship of idols and either followed the path trod by Abraham or embraced a divine religion such as christianity. The pioneers of this trend before the advent of Islam were of four persons : three of them were from the tribe of Quraysh namely: Amer Ibn Nofayl Ibn Abdu Ozza, Warake Ibn Nawfal-who already knew the old scriptures and adhered to christianity - and Othman Ibn Howayrith, and the fourth was Obaydullah Ibn Gahsh Ibn Asad. However, those four monotheists had utterly no impact upon their fellow men at any rate. This is why the call of the prophet Muhammad to monotheism was met at first by utter frustration and by entire rejection. The Qur'an in this respect says : " Has he made the gods all into one God ? Truly this is a wanderful thing. And the leaders among them go away (impatiently), (saying) Walk ye away, and remain constant to your gods ! For this is truly a thing designed (against you) ! We never heard (the like) of this among the people of these later days : This is nothing but a made - up tale. " (Surah 38, Vs. 5 - 7).

It was rather wise under such circumstances that the messenger of God, who was fully aware of the fanatical adherence of his people to their idols, did not openly declare his call to monotheism, and instead he sought the way to the fulfillment of this sacred objective in secret for three years long. Shortly afterwards and in response to God's command he began to announce his call in public to his close kinsfolk. Neverthless he did not find but a scores of sincere individuals who believed in his message. Simultanuously he togather with his companions had suffered torments and persecution for thirteen years of time. This persecution obliged him to give order to his followers to immigrate twice to Abyssinia. It was followed by a bleading conflict at Medina made by the heathens to defend their cult and to impede the upserge of the monotheist religion.

Is it logical then to assume that the Arab peninsula was evolving towards monotheism as a result of the interaction of some social factors, and that the belief in one God (tahannof) was a general phenomenon before the advent of Islam ?

The Qur'an is the clearest proof of the message of Muhammad.

It was natural that peoples in olden times might harbour doubt about the missions of the prophets and therefore had asked for evidence. God consequently had backed His messengers by cosmic miracles fashionable to their times and similar to dexterities exercised by their peoples such as magic vis-a-vis Moses and medicine in connection with Jesus.

Because the message of Muhammad is conclusive, ever-lasting and addressed to all mankind the wisdom of God had backed him by a comprhensive and immortal miracle as well; which is an abstract and intellectual sign i,e., the glorious Qur'an. God refers to this miracle in the Quranic texts by saying: "Yet they say: 'why are not signs sent down to him from his Lord?' Say: the signs are indeed with God and I am indeed a clear warner. And is it not enough for them that we have sent down to thee the Book which is rehearsed to them? Verily, in it is mercy and reminder to those who believe." (Surah 29, Vs. 50-51). The glorious Qur'an constitutes so many miraclous aspects which lie in its inimitatability and which had strongly retorted the pretexts of the unbelievers, silenced their tongues and brought their arguments to naught; "Let them then produce a recital like unto it,—If (it be) they speak the truth." (Surah 52, V. 34); "Or they may say: he forged it. Say; bring ye then ten suras (chapters) forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can, other than God — If ye speak the truth." (Surah 11, V. 13); "And if you are in doubt as to what we have revealed from time to time to Our servant, then produce a Sura (chapter) like thereunto; and call your witness or helpers (if there are any) besides God; if your (doubts) are true." (Surah 2, V. 23).

Thus the unbelievers had met their utter defeat and faced thir impotence thanks to the startling challenge of the Qur'an. Such defeat was recorded in history and expressed by the Qur'an when saying. "Say: if the whole of mankind and the Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other." (Surah. 17, V. 88).

This clear Book had managed to create the most momentous revolution which turned the face of history. It was a psychological as well as social revolution which had led to the establishment of a strong nation by directing it to the right path and by unifying its scattered groups. Consequently it had attained, by virtue of the Qur'an, an integral status, an ideal legislation, morals to conduct its behaviour, means leading to prosperity, and a universal message to be addressed to the whole of mankind; "It is He Who has sent amongst the unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and wisdom - Although they had been, before, in manifest error; - As well as (to confer all these benefits upon)

others of them, who have not already joined them: And He is exalted in might, wise". (Surah 62, Vs. 2-3).

The Qur'an is a miracle and guide.

Apart from all other Scriptures the Qur'an stands unique by being a miracle as well as a guide; "a guide to mankind, also clear Signs", Howevere if the miraclous sign proved to be in accordance with the spirit of the message, then it would be more indicative of the truthfulness of the messenger and would give him more support than the outward miracle. To illustrate this idea some learned men gave the following example. If there be a man in a city-wherein diseases are spread-claiming to be a physican, and forwarding as a proof of his plea a book written by himself dealing with medicine and adding that patients will find their cure in such a book. If such a book on being examined by other physicians well versed in their subject proved to be the best book bearing on that subject, and if such a physician diagnosed the people's illness and prescribed for them the medicine leading to their recovery; could such a plea be disputed after being confirmed by practical as well as theoritical proofs ? Definetly no one can doubt the authenticity of such clear plea.

If in a likewise manner we apply this reasoning to a more sublte matter that is curing of spiritual and moral maladies the result should be more striking because the treatment of physical maladies is not easy as the treatment of physical ailment. It is rather more subtle and difficult to be attained.

It is a well attested fact that the Qur'an includes the sound creeds, the sublime morals and the origins of social and civil legislation. It is well known too that the prophet, may the blessings and peace of God be upon him, had successfully treated by the virtue of his holy book a people of long-established conflict illiteracy and idolatrous vices. Such people through his treatment recovered and became unified, sophisticated, wise and masters of numerous countries. However it is more striking to notice that the man who attained this success had been illiterate with no background either in science or politics. If the afore mentioned physician proved his claim by means of an action which is unfamiliar to the people and has no bearing on medicine, his claim would propably be suspected. Similar is the case with the prophet Muhammad in his claim that he was sent by God to guide the whole of mankind. His Book, which proved to be sound, is more indicative that it is a revelation from God than the rod of Moses which became snake and the dead womh

مكتبتنا العربية

Jesus brought forth alive. Because these two miracles, though unusual, are not a means of instruction and guidance nor are they pertaining to medicine. Therefore their indication is not intrinsic.

However, the doing of supernatural miracles is less important than the making of supreme, divine and legislative sciences without having any sort of knowledge. Yet the Qur'an anticipates the hidden matters in the past and the future, and its teachings lead to success and prosperity. The Qur'an thus is a clear proof that its spiritual as well as social remedy is only revealed by God, the Wise, the Sustainer, and no person whosover can oppose or doubt it.

Was there any opposition to the Qur'an ?

After the shining success of the Islamic call in the Arab peninsula there appeared, for psychological as well as tribal reasons, some persons who claimed themselves to be prophets. What their proofs, their books and their achievements ? The following may give answer to this question.

In the nineth and tenth years after the Immigration there had been some individuals who claimed themselves as prophets. They were : Musaylama of the tribe of Hanifa which had envied Quraysh because the messenger of God belongs to it, Al-Aswad El-Ensi who appeared at Yamama, Talha Ibn Khowayled El-Asadi who appeared within the tribe of Asd and Sagah daughter of of El-Harith who had Known christianity before and who appeared in the tribe of Taghlib.

The different narrations, however, tell us that such pseudo prophets had made books to oppose the Qur'an. But history and literature did not preserve any trace of their works except that had been introduced as anecdotes or Jokes.

The false allegation of these feigned prophets had not managed to stand upright in face of the strong march of Islam. No sooner had they proclaimed their absurd calls than they had met their utter defeat and profane destiny. Some of them had died and others embraced Islam and became sincere believers such as Talha who had joined the army and fought heroically in the way of God to atone for his Past attitude against Islam; " Nay, We hurl the truth against falsehood, and it knocks out its brain, and behold, falsehood does perish ! " [Surah. 21, V. 81].

In the Abbaside Caliphate some narrations stated that there had been an opposition to the Qur'an but these narrations were not backed by factual texts. For instance Ibn Kayyem al-Jozyyeh and al-Bakellani stated that Ibn al-Mokaffa had been reciting

مكتبتنا العربية

the Qur'an until he reached at the following verse : "At length, behold ! There came our command, and the fountain of the earth gushed forth! " and went on reciting until God's saying : " Away with those who do wrong." (Surah. 11, Vs. 40-44), then he said with admiration : this can not be challenged at all by any human being " and burnt what he had invented. Furthermore, El-Bakellani goes on to say : "there had been persons who assumed that Ibn El Mokaffaa had opposed the Quran in his book titled *the Unique pearl* -Aldurratul Yatim-"; but El Bakellani failed to find any thing in Ibn El-Mukaffaa's work that might be held as an imitation of the Qur'an.

There was also Aboul - Alaa El Maarri who had been accused by the sin of imitating the Qur'an. But-El-Rafei, the Egyptian writer, refuted this charge very strongly. Dr. Taha Hussein, the contemporary Arab writer, refuted as well what had been attributed to Aboul El-Alaa.

The latest attempt of such fraudulent prophets, who claimed to be in touch with the divine revelation, is seen in the assumption made by Mirza Gholam Ahmed El Quadyani-the Indian-, Mirza Ali El-Bab and his disciple El Bahaa.

Fortunately, the followers of those fabulous prophets do not show us what they assume to be Qur'anic verses and hide it in such a manner as it was something to be ashamed at. Whoever manages to read their books will see nonsense and absurd words and ideas. He will be profoundly confident that the Qur'an is the genuine revelation of God: "This is a Book, with verses basic or fundamental (of established meaning), further explained in detail from One Who is Wise and Well - Acquainted (with al things). " (Surah. 11. V. 1).

Islam is a belief as well as a system of life.

Islam is not, as being held by short-sighted individuals, a theological religion nor is it a mere belief taking only into account the spiritual side of man while leaving aside the organization of his relations with the universe, with life and with his fellow human beings whether they are individuals or families or nations. In the contrary Islam is a comprhensive belief out of which an integral as well as a universal system comes forth on which a balanced and universal nation is based. Such nation is depicted in the Qur'an as follows: " And thus We have made you an exalted nation that you may be the bearers of witness to the people." (Surah. 2, v. 143) ; "You are the best nation raised up for men : you enjoin good and forbid evil and you believe in God." (Surah 3. V. 109).

The merits of the Islamic belief.

The Islamic religion has its own

merits and characteristics which other religions are lacking · It is a clear and simple belief which may be expressed in the idea that there is beyond this disciplined and unique universe One God who had created and regulated it, and who had destined every thing in this universe. This God has no associate, no counterpart, no wife and no son but "To Him belongs whoever is in the heavens and the earth." (Surah. 21, V. 19.).

This belief is plain and acceptable. Because the human mind seeks always association and unity beyond the apparent variation and multiplication. It incessantly tends to refer all things to one cause. The uniform fact also proves that the multiplication of wills does not produce an integral conclusion or lead to a coherent system. The glorious Qur'an assures this fact when stipulating that : "God has not taken to Himself a son nor is there with Him any (other) god-in that case would each god have taken away what he created, and some of them would have overpowered others." (Surah. 23, V. 92) : "If there were in them gods besides God, they would both have been in disorder." (Surah. 21, V. 22),

Moreover it is not a belief alien to human nature nor does it contradict this nature at any rate. It is rather in complete harmony and accordance with this nature. The Qur'an illustrates this notion plainly when saying : "So set your face for religion, being upright, the made by God in which He has created men. There is no altering God's creation. That is the right religion-but most people know not. (Surah. 30, V. 30).

It is as well a fixed and defined belief which is not subject to increase or decrease, distortion or change. No ruler whosoever or scientific synod or religious congregation is alowed to make addition or adjustment in this belief. Any addition or adjustment will be held invalid and will only express the point of view of such innovator. The messenger of God in this respect says : " Whoso produces any idea alien to our injunctions will be responsible for this and his innovation will be only ascribed to him " and the Qur'an says : " Or have they associates who have prescribed for them any religion that God does not sanction" (Surah 42. V. 21).

Thus all innovations, superstitions and supplements maliciously entered into Muslim beliefs or foisted into their books or treachrously propagated among uneducated masses are false, unreliable and thoroughly rejected by Islam.

Misconception of predestination and choice

Predestination and choice were

and still from amongst the most amazing and disputable topics which human mind failed to find out solution or reach a decisive conclusion, and in which philosophers, ethicalists, psychologists and educationalists had disputed so far as philosophy and research are concerned.

Islam in this connection is the balanced religion which is in complete harmony with sound nature and the tangible reality.

Man in view of the belife of predestination and choice is completly free and responsible for his actions and self in the domian of his optional activities. He is at absolute liberty to do or abstain according to his own common sense and feelings.

The Qur'an gives full support to this attitude in the following verses: " So let him who please believe, and let him who please disbelieve." (Surah. 81, V.29). "There is no compulsion in religion — the right way is indeed clearly distinct from error." (Surah. 2, V. 256). " Surely this is a Reminder; so whoever will, let him take away to his Lord." (Surah. 76, V. 29). " To him among you who will go forward or will remain behind " (Surah. 74, V. 37) " Whoever does good, it is for his own soul; and whoever does evil, it is against it. And thy Lord is not in the least unjust to the servants." (Surah. 41, V. 46) " If you do good, you do good for your own souls. And if you do evil it is for them. (Surah. 17. V. 7). " God imposes not on any soul a duty beyond its scope. For it is that which it earns (of good) and against it that which it works (of evil)." (Surah. 2, V. 289).

In addition to the above mentioned verses there are many in the Qur'an which stipulate and decree man's liberty, gains and responsibility; "That no bearer of a burden bears another's burden: And that man can have nothing but what he strives for: And his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward." (Surah, 53, V. 5. 38-41).

This positive attitude adopted by the Qur'an has been backed by a strong campaign against the determinists who ascribe their blasphemy and sins to Fate under the pretext that their actions are directed by the will of God.

In four Suras (chapters) of the Qur'an God, the Almighty, refutes this false assumption. In the Cattle chapter He says: "Those who are polytheists say: If God pleased we would not have set up (aught with Him) nor our fathers, nor would we

مكتبتنا العربية

have made anythig unlawful. Thus did those before them reject (the truth) until they tasted our punishment. Say : Have you any knowledge so you would bring it forth to us ? You only follow a conjecture and you only tell lies." (V. 159). He also says in the chapter of th Bee : "And the idolators say : Had God pleased, we had not served aught but Him, (neither) we nor our fathers nor had we prohibited aught without (order from) Him. Thus did those before them. But have the messengers any duty except a plain delivery (of the message)." (V. 35). He further says in the chapter of Yasin : "And when it is said to them : Spend out of that which God has given you, those who disbelieve say to those who believe : Shall we feed him whom, if God please, He could feed ? You are in naught but clear error." [V. 47]. And finally He says in the Chapter of Gold : "And they say : If the Beneficent had pleased, we should not have worshipped them. They have no knowledge of this; they only lie." (V. 29).

By such strong and clear regoinders to the old determinists the decisive attitude taken by the Qur'an towards the question of *the human will and Divine will*, is obviously conceived.

Neverthless, man is not actually at absolut liberty or at complete choice in the sense that he does all what he pleases and abstains from all what he displeases; because if he were really free in that sense he would certainly be a God.

No one, whatever his staunch support to the human liberty may be, can deny the determinism of the human will. This is why the authorities concerned always refer it to hiriditary or environmental factors or to both of them. Some philosophors express this notion by saying: "Man is free in a domain of fetters and limits"

The dialictical materialists have even tied man to means of productions as well as to the economical phenomena which direct his way of thinking, his course of behaviour and his current affairs. Thus they degraded man and brought him to the most repugnant standard of determinism when they have made of him a humble slave of matter not a master of it as ordained by Islam.

This well attestad fact, the limitedness of the human will, is decreed by Islam in a way more honourable and dignified to man than that of the materialistic and traditional determinism. Man, from Islam's point of view, is at liberty and choice in the range of what God had ordained of rules being carried out by His will and power according to His knowledge

مكتبتنا العربية

and wisdom, and which are applying to all creatures including man himself. Man is free because God wants him to enjoy liberty, and has his own will for God says: "But you will not except as God wills." (Surah. 76, V. 30.)

There is no wonder then when we read in the Qur'an the combination of both the liberty of the human will and the mastery of Divine will which appears in the following verses: "Verily, all things have We created in porportion and measure." (Surah. 54, V. 49); "And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed." (Surah. 10, V. 99); "Doer of what He intends." (Surah. 85, V. 16) and "Surely thy Lord makes plentiful the means of subsistence for whom He pleases, and He straitens." (Surah. 17, V. 30).

Muslim's belief in Fate, however, does not represent any determinist dogma nor does it express the accidentalists trend, but it is rather the belief in that the universe is heading to an ultimate end and that it is regulated by a Supreme Power. How can it be otherwise while God's knowledge fully comprises every atom in heavens and earth, and directs it according to His conclusive wisdom and mercy? "And not the weigt of an atom in the earth or in the heaven is hidden from thy Lord, nor anything less than that nor greater, but it is (all) in a clear book". (Surah. 10, V. 61).

Belief in Fate as such depicted does not at any rate contradict the exertion of efforts and the search of whatever possible means to carry out one's own affairs. This is simply because God had ordained causes and means, introductions and conclusions. He had not destine success without any work, but had ordained it through its due means of unflagging efforts, of caution vigilance, patience, endurance and so forth.

Taking means then does not oppose Fate but in fact is implicitly included in God's Fate. Therefore when the messenger of God was asked this question: "could you prevent the occurance of God's Fate?" in view of remedies and ways thereby evil might be evaded, his unequivocal answer was: "all happenings are ordained by God's Fate." Furthermore when epidemic disease was prevailing in Syria Omar Ibn El-Khattab, after his consultation with the companions, had decided not to enter it and returned back with his company. Some companions said to him: "do you run away from God's destiny O Prince of Muslims?" He said "yes; I run away from God's desting to face God's destiny in other from."

مكتبتنا العربية

The messenger of God, though having the strongest faith in God's Fate, was fully aware of the necessary measures and means to be taken. He therefore, had taken necessary precauitons, mobilzed armies,sent reconnaissance patrols, fought full-armed and had followed the most advanced rules of tactics and strategy.

Although the question of predestination and choice was clear enough in Islam, as we have already seen-through texts, practice, theory and application- the messenger of God, peace be upon him, had ordered his companions to block the way of fruitless discussion about such delicate questions in which the human mind had failed to reach a sound solution for long ago, in order they might escape dissension and divergence of views.

Refering to this question Shaykh Muhammad Abdu had said : " unfortunately some persons who have evil intentions appeared among the Muslims from amongst the Persian and Roman subjects who feigned to be muslims and who brought to Islam what they have had of dissension and hypocrisy. They disobeyed God and his messenger when they violated Their order of forbidding discussion of Fate, and misled Muslims through their ambiguous and absurd words. They even disintegrated their unity and God says to His messenger concerning this attitude : " As for those who split up their religion and became sects, you have no concern with them." (Surah. 6, V. 160).

"Such was a group of determinists who were weak and helpless whose plea could not stand sound reasoning, and whose actions had been so repulsive that they were expelled from the domain of religion. It was left lagging behind until it was fully uprooted. This gave impetus to the prevalence of the tendency calling the majority of Muslims to adopt the trend of moderation between detereminism and choice which is the trend calling to serious activities and true faith.

Faith In Resurrection :

Some Materialist pedants often try to spread doubts about the belief in resurrection and other eschatolgical doctrines, like that of the Day of Judgement, Paradise and Hell-Fire to which doctrines references are made in the Qur'an and all the other Divine Scriptures. In a sarcastic manner they comment on the Qur'anic verse " Perhaps the Hour is nigh " (Surah. 42, V. 17) by remarking that a period of more than thirteen centuries has elapsed yet, the Hour has not come as yet. They forget or overlook that measurement of time is a relative question, and that a thousand years or more is only a short time in the accouut of history,

especially if we take into consideration what geologists say about the estimated age of the world, which goes back millions and millions of years. The Materialists disregard another significant fact, when they do not realize that Muhammad is the last Prophet and his message is the final word from God to mankind. Should they conceive this fact, they would find it easy to clearly understand what the word " nigh " in the verse means, because they will then know that since there is no prophet after Muhammad nor is there any message after his until the day of Resurrection, the Hour is coming and nigh.

The Hereafter is another creation wherein every person will receive a fair return for what he or she has done in first life. In many cases this present life falls short of rewarding the good people for their deeds and punishing the mischievious for what they might have committed. Faith in a Wise, Just God leads by necessity to the belief in the existence of that other life to be. This is the logic of faith in God Who ordained the Hereafter " that He may reward those who do evil for that which they do, and reward those who do good with goodness" (Surah. 53, V. 31) Belief in Resurrection is the logical conclusion of man's creation and his responsibility; " Do you then think that We have created you in vain, and that you will not be returned to Us " (5. 23, V. 115) " And We created not the heaven and the earth and what is between them in vain. That is the opinion of those who disbelieve. So woe to those who disbelieve on account of the Fire. Shall We treat those who believe and do good like the mischief-makers in the earth ? Or shall We make the dutiful like the wicked ? (Surah. 38, Vs. 27 — 28) . If there were no belief in Resurrection, the justice of God and the very principle of laying responsibility on man's shoulder would be very critically questionable; an attitude which could produce nothing but chaos and destruction.

It should be borne in mind, however, that belief in the Hereafter does not mean giving one's back to life and being indifferent to the serious course of events on dependent on others with indulgence in vain wishful thinking. Happiness in the Hereafter is not attainable except through persistent work and serious endeavours. " It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or femal, and he (or she) is a believer — these will enter

مكتبتنا العربية

the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " (Surah. 4, Vs 123 — 124).

It is sufficient to support this argument that the Messenger of God-peace and blessings be upon him-and his Companions as well as their pious successors did not conceive life or live it except as an aspect of serious undertaking and earnest endeavour. It was this spirit that made them surpass other peoples in every field of life. They did not remain stagnant or lazy awaiting the peace of the Hereafter and the boons of the Garden. They could not do it because the Qur'an, their right guide, says : " And say, Work; so God will see your work and (so will) His Messenger and the believers. And you will be brought back to the Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did " (Surah. 9, V. 105). " He it is Who made the earth subservient to you, so go about (working) in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death) " (Surah. 97, V. 15). Again it says : " O you who belive, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of God and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of God's grace, and remember God much that you may be successful " (Surah. 62, V, 6 - 10).

The System of Islam:

Islam has a very unique and universal system which is closely associated with all aspects of life. It is concerned with the individual and the society and is interested in life at large. In a very fair manner and on a well-balanced scale Islam deals with all aspects of life, spiritual and material, personal and social, local and international. No matter is over-rated at the expense of another, but justice in all sides prevailes. Unlike other religions, it does not wear a material uniform or take a material view of life, nor does it over-estimate the spiritual elements of existence. It draws a balance-line between the individual and his society without making the former dominate the latter as is the case with capitalism, or vice-versa, as is the case with communism.

All this is because Islam is not the production of an unguided revolution resulting as a reaction to corrupt conditions or to oppose extreme right with extreme left, as was the case with the unguided revolutions which introduced weak and shaking systems that were the subject if common complaints and inevitable alterations. The system of Islam is not

made by an individual or any group of individuals directed by their cultural beckgrounds or environmental circumstances or legacies, not to mention their caprices or passions, to introduce a subjective system doomed to deficiency and change. Islam is the system of God Who is the Lord of men and is free from bias and partiality to any race or class or genertation. He is the Lord of them all and they are His servants. He knows their interest and His mercy is so comprehensive that He does not over-task them: "God desires ease for you, and He desires not hardship for you . . . " (Surah. 2. V. 185).

Worship is God's Alone :

The first article in the faith of Islam is the organization of relationship between God and His bondmen. Mankind do not create themselves nor do they invent any of the many embracing dooms and universal graces in the heaven and the earth. But it is God Who creates them, bestows favours on them and honours them from among his creatures. This leads to our logical conclusion, that is, they ought to be thankful to Him as to know His regards on them and worship Him alone without associating any partner to Him. And this exactly what Islam ordains in the words of the Qur'an "And they are enjoined naught but to serve God, being sincere to Him in obedience, upright, and to keep up prayer and pay the poor-rate, and that is the right religion" (Surah 98, V. 5).

Moreover, Islam does not only confine worship to God alone, but also purifies the rituals from all the idolatrous accretions and innovations invented by the followers of different sects to lay barriers between God and His bondmen and to establish a system of priestly intercession between the Heaven and the earth. Prayer in Islam is a devotion to God only in which man turns his face wherever he happens to be to the Lord without dependence on the permission of any relegious minister. The prayer-leader in a congregational service, which is more preferable to private worship, is not a man of priestly rights but is one of the congregation. They let him lead their prayers for his knowledge or piety and check his recitations to correct him, if he makes any mistake. He cannot assure any member of the congregation that his prayer will be accepted by God because the final word on acceptance is God's only Who knows the truthful from the otherwise, and Who "accepts only from the dutiful" (Surah 5, V. 27).

The Islamic prayers with their manners, their time-tables, their conditions and recitations are peculiar

مكتبتنا العربية

to Islam as they were not known to any religion before Islam. They are the daily contact between the Muslim and his Lord. They are the effective means of purifying the body and the soul, of cultivating the sound conscience and developing decent morals; " Surely prayer keeps (one) away from indecency and evil ... " (Surah. 29, V. 45). They are, especially when performed in congregations, a strong social bond and a practical lesson by which Muslims practise discipline, brotherhood and equality. The condition which enjoins upon all Muslims to turn their face to one direction towards Mecca (Makkah) while praying is profoundly significant as it trains them to be whole-heartedly united in aim, opinion and tendency.

Pilgrimage, another fundamental pillar of Islam, is a journey in which the Muslim turns his heart and body to the House of God at Makkah, the House which was built by Abraham to be the symbol of monotheism and unity. When Abraham, father of the prophets and the enemy of idolatry, established it, God ordained him to proclaim to men the pilgrimage; " And when We pointed to Abraham the place of the House, saying : Associate naught with Me, purify My House for those who make circuits and stand to pray and bow and prostrate themselves. And proclaim to me the Pilgrimage : They will come to thee on foot and on every lean camel, coming from every remote path" (Surah. 22, Vs. 26-27).

This form of worship, started with Abraham as entirely pure for God, was abused and spoiled. The succession of time together with ignorance, caprices and superstitions drove the people out from the path of God to indulge in idolatry and associate images with God. They laid down idols in the House of God to worship them and offer oblations to them, mixing whatever was left of the monotheistic rituals with the accretion which they invented.

When Islam came to find the said condition, it removed all traces of idolatry and abolished the remaining forms of Pastnership in Divinity. Upon the triumphant return of the Prophet Muhammad to Makkah he smashed with his own hands the idols which were set around the House of God at Makkah (the Kaabah), saying : " The Truth has come and falsehood vanished. Surely falsehood is ever bound to vanish" (Surah. 17 V. 81). Thus the House was made pure for God alone and the institution of Pilgrimage restored to its fromer state in the days of Abraham. In forms and slogans, in intention and practice pilgrimage was one again designated to God.

مكتبتنا العربية

The rituals of pilgrimage are associated with certain place in the sacred city of Makkah only because it is the land of remembrances, the legacy of Abraham and the cradle of the Call. All the rituals performed by the believers in the course of pilgrimage are indicative symbols of suggestive revelation. They have no value or significance in themselves because they are meant for the glorification of God and submission to His ordinances. It is reported that Umar, the Second Caliph and great Companion of the Prophet, stood before the Black Stone in the Kaabah and said : " I kiss you although I know that you are a stone incapable of doing any harm or causing any benefit. And had I not seen the Messenger of God kiss you, I would have never done so. "

In view of these explanations, would there be any ground for the superficial outlook of those who say that the Muslims make pilgrimage to a stone and bow down in prostration before it, seeking its blessings or graces? Any such allegation is a mere nonsense. Pilgrimage is a pointed mote in the eyes of the enemies of Islam because it is the most impersssive Divine convention to which the Muslims come from everywhere in the globe to enjoy the mutual feelings of a common Islamic brotherhood and joint aims, and to dicusss their affairs in co-operative and most understanding manners as to return to their previous state of dignity and power; to be new the best nation raised up for men by enjoining good and forbiddding evil and by believing in God.

It is these Divine principles that vex the blind enemies of Islam and make them hit at random. The advocates of chaos and enemies of humanity stay restless when they face any organized course of relationship either between man and man or between man and God. This is why they look to Islam with unhappy eyes and shamelessly invent all sorts of lies and alle, ations to set barriers between men and Islam. But we believe that all this will be in vain once Islam is properly presented and correctly represented. It is our hope, however, that the short account given of these two forms of worship (Prayer and Pilgrimage) will be a sufficient expression of the spirit of Islam in drawing the course of relations between God and man.

Human Relations :

Now let us consider how Islam organizes the course of human relations among people. Has Islam ever supported the feudalists, or recognized social injustice, or helped a class of society against another, or favoured the strong at the expense of the

مكتبتنا العربية

weak? Has Islam left society to be dominated by artificial barriers of discrimination on the basis of race or colour or inherited nobility? This is what we shall give answers to in the following pages.

The lightest examination of the teachings of Islam demonstrates that it is not a religion of any particular class or any special group, but is a religion socially founded on the bases of fraternity, justice and equality. These bases are clearly represented in the rituals and worships of Islam as well as in its economical and political systems.

The Relation Between the Rich and the Poor:

Islam admits the instinctive dissimilarity of people in abilities and natural gifts, faculties and capacities, and it accepts, therefore, their reasonable and instinctive dissimilarity in sustenance. Islam as a religion which recognizes the natural instincts of man and things, sublimes them and does not conflict with them accepts individual ownership as long as it comes from lawful sources. By this attitude Islam means to satisfy the instinctive motives and human desires for ownership competition and saving. But it does not regard the individual property which is obtained through illegal means like usurpation and stealing whether this latter is in apparent or hidden forms such as gifts presented to rulers, exploitation of influence, accepting bribes and taking other people's properties by subtle manners. On the contrary, it confiscates all holdings of this sort however long they remain in the holders' hands, because length of time and succession of day and night do not allow the forbidden or make the prohibited lawful.

In Islam man is not the real owner of property and cannot do with it what he pleases. All holdings belong in fact to God alone. This statement means that they belong to the entire society, and the rich man is a mere employee appointed to take care of what he holds, invest it and spend it in such a way as to agree with the interest of society, without inflicting any harm upon it. In other words, as the Qur'an puts it, the *rich* person is only a successor; "and expend of that unto which He has made you successors" (Surah 47, V. 6); "and give them (the earnest slaves who seek emancipation) of the wealth of God that He has given you" (Surah. 24, V. 33).

Ownership, therefore, is a social function, and the wealthy person is tasked with financial duties to his society the least of which is giving *alms* (zakah). This is not a voluntary

مكتبتنا العربية

contribution or a sort of kindness that would make the rich feel superior and exalted, and make the poor develop a sense of self-contempt and disdain. It is a known right, an ordained tax, which is to be collected by the government through appointed tax-collectors and is to be expended on the needy and the common interest "in the way of God and emancipation of slaves."

Alms-giving is not a supplementary principle of Islam, but is a fundamental pillar and without the distribution of which no man can be Muslim. If the State fails to collect the alms and expend it properly, it is not entitled to be called an Islamic state. It is a well-attested historical fact that when some Arab proprietors refused to pay their alms, Abu Bakr, the First Calif, showed no tolerance. He prepared eleven brigades to fight the greedy capitalists and said: "I swear by God, if they retain a camel's tether which they used to give to the Messenger of God, I will fight them for it.".

The Treasury Belongs to the State:

Some biased people have spread vicious rumours about the Muslim Treasury and its contents of alms and other resources of the Islamic State. They pretend that the Treasury and its contents are nothing but personal propriety of the Califs and Sultans, who can expend of it as they please without any supervision or questioning. But the fact, which is well-known to anyone who has studied the law and history of Islam, is that the Treasury does not belong to the Calif but is a common property for all the people.

The Calif is only an entrusted treasurer who is entitled to nothing of it more than his regular and reasonable salary. It was Abu Bakr the First Calif who laid down this principle when he said: "Pay me as an average person of Quraysh, not like one of the low or one of the upper class." This happend after he was sworn fealty to the people. He went on the following day to the market for his daily business to maintain himself and his family. Then the great Companion Umar met him and said: "Where are you going? He replied: I am going to the market to do business. Umar exclaimed saying: What! how can you do that after having been chosen to administer the affairs of Muslims? He said: How am I going to maintain my dependents? Umar answered: Go to the Treasurer Abu Abaydah and ask him to fix a regular salary for you. Abu Bakr went to the Treasurer who said to him. "I shall fix for you victuals sufficient for an average

مكتبتنا العربية

man from among the Immigrants and supply you also with winter as well as summer clothes, which you will use till they are worn out and then bring back to take new ones instead of the old."

Moreover, Umar the Second Calif of Islam said : " My attitude towards the property of this Treasury is like that of the guardian of an orphan towards his property; when I am needless I will keep my hands off, but when I am in need I will satisfy my necessary needs therefrom without any excessiveness. Furthermore, Ali son of Abu Talib, the Prophet's cousin and Fourth Calif of the muslims, refused completely while in office to take anything from the Treasury for himself or his family.

This is the practice of the wise califs and pious leaders of Muslims. But the deviations from the right path of some *Muslims* rulers and their errors are not an argument against *Islam,* and Islam is, by no means, responsible for such errors.

Islam Ordains Balance Between the Rich and the poor.

The recognition by Islam of natural dissimilarity in sustenance does not mean that Islam lets the rich free to increase his wealth and the poor to worsen in his poverty. Nay, it interferes by virtue of its legislative system and moral instructions to narrow the gap between the rich and the poor. It has taken the necessary measures to prevent injustice from the former and to raise the standard of the latter.

Islam forbids the rich to make any wealth or earning through unlawful means. It forbids them to swallow usury in any form and by any quantity. It considers the swalawer of usury as fighting against God and His Messenger, and curses everyone who participates in a dealing of usury because it is an unjust deal in which the weak are exhaustively exploited for the interest of the strong. In support of this point the Qur'an says. "O you who believe, keep your duty to God and relinquish what remains (*due*) from usury, if you are *(true)* believers." "And God has allowed trading and forbidden usury." "God will blot out usury, and He causes charity to prosper" (Surah 2, Vs, 275-275, 278). In addition to that the Prophet said : "God will curse the recipient of usury, its giver, its scribe and its witnesses."

On the other hand, Islam forbids them to resort to monopoly which is the character of greedy capitalism. The Prophet of Islam declared that the *distributer of life stocks* would be sustained and the

مكتبتنا العربية

monopolizer cursed. The rich people are strictly forbidden to squander, and the ruler is authorized to decree interdictions against the immature and squandering people. He is authrised to arrest their wasteful use of property. The Qur'an says: "And make not over your property, which God has made a *means of* support for you, to the weak of understanding" (Surah. 4, V. 5,) and "Surely the squanderers are the devil's brethren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah. 17, V. 27.) Moreover, all kinds of luxurious squandering, which sopoils nations and individuals, are prohibited. This is why wine is strictly forbidden and this is why the lavish use of golden as well as silver articles and the adornment of men by wearing gold and silk are ordained unlawful. The Qur'an says: "And when we wish to destroy a town, we send commandments to its people who lead easy lives, but they transgress therein; thus the word proves true against it, so we destroy it with utter destruction" (Surah. 17, V. 16),

Furthermore, Islam prohibits the hoarding of gold, silver and the like. The Qur'an contains frightening warnings addressed to the hoarders; "And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of Hell, then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it: This is what you hoarded up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah 9. V. 34-35).

Islam does not compaign against hoarding by words only; it prescribes practical measures one of which is the ordained alms which amounts to two and a half percent of the capital. This is in itself an alarm to the proprietor meaning an eventual exhaustion by prescribed alms of his property if he hoards it up or fails to invest it.

It is through these said measures of forbidding usury, monopoly, squandering and lavishness, on the one hand; and of combating all kinds of hoarding and enjoining alms, on the other hand, that the proprietor is compelled to invest his property in a legal way for the common weal of society. Thus the fair balance which Islam seeks can be realized.

Conversely, Islam gives the poor people opportunities equal to those of the rich. The former are entitled to all possibilities and means to attain the standard of the latter and stand with them on equal footing. The door of business and earning is open for all people poor and rich alike. It is not confined to or monopolized by any group nor is it inaccessible to anybody. It is a well-established principle of Islam

مكتبتنا العربية

that *whoever* quickens a dead land it belongs to him, and *whoever* trades the profit goes to him ; and *whoever* comes across any source of property or treasure without a known owner and covered by the ground pays only one fifth of it to the State and the rest is his.

It is the duty of the ruler in an Islamic state to find work for the unemployed. If he fails to do so, or if any citizen becomes jobless owing to his disability, or if the worker's wage dose not suffice his needs — it is the responsibility of the ruler to take good care of him. The Muslim ruler must secure for such a citizen, be he a Muslim or otherwise, the due rights of diet, winter and summer clothes and a proper lodge. When the collected alms and ordinary resources of the state do not meet these demands, the ruler is authorized to impose new taxes on the wealthy people to ensure the interests of Muslims. The doctors of Islam have laid down the principle which states that should the Muslims be endangered, their holdings automaticcally become a common property and nothing of it belongs to anybody in particular. Moreover, Islam has taken useful steps to break the big capitals into small units of property. One of the most important measures in this respect is the law of inheritance according to which the wealth of the deceased person is distributed among his wife, parents, his children and other entitled heirs from amongst his kins. This distribution must be carried out in a just manner as to include the male and the female alike, not the former only as the Arabs used to do before Islam nor the eldest son as is practised in some modern nations of today like England.

The Rich Are Not a Class :

The system of Islam accepts the rich as individuals who may ecquire properties by lawful means and use them in like ways without being niggardly or holding back in times of need. It accepts them as such, not as a privileged class of special prerogatives or endowed with social sovereignty inherited from generation to generation. This is because Islam considersall people equal before God, the Law and the Qur'an; and no preference is granted to anyone except inasmuch as he is faithful to God, truthful to humanity and respectful of his general rights as the Qur'an says : " O mankind, surely We have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you " (Surah. 49. V· 13). In addition to that the Prophet said : " Mankind are equal like the

مكتبتنا العربية

teeth of a comb; no Arab is better than a non - Arab except by dutifulness."

The rich therefore, are mere individuals who make fortunes through their endeavours and enterprise, yet their fortunes may not last: they may get less or be transferred to new owners. So poverty and wealth in the Muslim society are not fixed or continuous phenomena. On the contrary, they are changeable and subject to the alteration of circumstances and chances of earning, and the change of ownership according to the laws of inheritance.

There Are no Classes In Islam :

Islam then does not recognize existence of social classes in the western terminology. It is free from any class of inherited rights and prerogatives. Its teachings are not familiar with the so-called classes of rulers or nobles or knights or clergy or the like.

The rulers are only individuals chosen by the nation and appointed to office either through the people of authority in it or through any other means the nation may choose. They are not of a special group and do not belong to any particular family. Nay, the Prophet said : " Listen and obey, even if you are ruled by an Abyssinian negro as long as he leads you in accordance with the Book of God; the Qur'an. Just before his death the Calif Umar said: " Had Salim, a former slave of Hudhaytah, been alive, I would have appointed him to succeed me."

The system of inherited rule and califate is alien to Islam. It is not recognized by its teachings or admitted to them. The jurists of Islam do not constitute a priestly class with alleged Divine powers as is the case with the clergy of other religions. They are only specialized doctors of the Islamic faith, law and morals. Their actual status is that they are scholars of religion and law, of ethics and sociology. They are not, by any means, intercessors between God and His bondmen nor are they in possession of the keys of Paradise or dealers in the *bonds* of God's contentedness and forgiveness.

It is clear, therefore, that if we apply Western terminology and Western conceptions, we shall find no classes in Islam because Western terminology in this respect is inapplicable to Islam. Once this classification is pointed out, it is no harm then if some people call the rich individuals in the Islamic State a *class*, because serious researchers classify mankind to three classes : rich average and poor. This classification is understandable ; since it corresponds

مكتبتنا العربية

with approximate similarity in colour according to which people are divided into white, black and yellow. The existence of classes in this sense is an indispensable matter resulting from the order of the whole universe which order necessitates differences and dissimilarities even among plants and minerals, not to mention mankind among whom there are differences the like of which is not found in anyone of the being species.

It is true that Russia succeeded in eradicating the *Capital* with which were gone the wealthy Russians; Russian riches and nobles. Yet there appeared, accordidg to Aqqad, a ruling class of experts and engineers, who exercise power and despotism unexampled with other rulining classes even in the most capitalist states. (The Truths of Islam . . . by A. M. al-Aqqad, P. 207).

Islam proves itself to be the religion of reality and sound nature, when it recognizes the differences which actually exist in all countries, Capitalist and Communist alike. This recognition is declared in God's words : " We portion out among them their livelihood in the life of this world, and We exalt some of them above others in rank, that some of them may take others in service " (Surah. 43, V. 32) and "God has made some of you excel others in the means of subsistence ... " (Surah,. 16, V. 71).

This is the order of God Who never does anything in vain. Whatever He does is done with utmost wisdom and for profound reason. The mentioned classification of mankind was ordered by God, according to the Qur'an, for two reason. First, *trial* of man which is the basis of responsibility and rewarding. Trial is frequently stated in the Qur'an as the objective of many injunctions and ordinances, i. e. " So that He may try you in what He has given you." Secondly, *taking in services* as already mentioned in the verse. But this is not the service of oppression and humiliation as might be derived from the ordinary sense of term *service*. It is the service of common interest and order. Had life been a factory, it could not have been successfully managed if all people working wherein were made mangers or engineers, but there must be the managers, the engineers, the clerks, the labour and the watchmen.

Excellence in the means of subsistence does not entitle its people to any merit or religious or legislative rank in the Muslim society. The real excellence and recognized merit are those which consist in knowledge, faith and good deeds. "Say :

مكتبتنا العربية

Are those who know and those who know not alike ? Only men of understanding mind." (Surah. 39, V. 9.) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 58, V. 11.) "And for all are according to their doings. And thy Lord is not heedless of what they do" (Surah. 6, V. 133).

It is on these bases of justice, equality and brotherhood that Islam has established the relationship between the rich and the poor. It equalizes them in right and public obligations, and provides them with fair opportunities to make earnings. Then, it says to the rich : ". . . Spend of the good things that you earn and of that which We bring forth for you out of the earth . . . (Surah. 2, V. 267,) It commands the Ruler to "Take alms of their (Muslim's) property-thou wouldst cleanse them and purify them thereby . . . ." (Surah. 9, V. 103), and tells the poor to shun spite and envy; "And strain not thine eyes toward that with which we have provided different classes of them, *of* the splendour of this world's life, that we may thereby try them. And the sustenance of thy Lord & better and more abiding" (Surah. 20, V. 131). And to all of them it appeals : "Be God's bondmen, brethren." "The believers are brethren" (Surah. 49, V. 10;) and ". . . remember God's favour to you when you were enemies, then He united your hearts so by His favour you became brethren" (Surah. 3, V. 102.)

Whenever Muslim society is guided by these Divine principles, mutual brotherhood prevails, and grudge against the rich does not find any means to the hearts of the poor nor does injustice to the poor develop in the rich. All will exchange feelings of mutual co-operation and brotherhood.

It is no wonder then that Bilal son of Rabah, Ammar son of Yasir, Abu Hurayrah and the people of Suffah-all belonged to the humble and poor section in the early Muslim society — stood side by side and worked with the richest and noblest people like Uthman son of Affan, Abd al-Rahman son of Auf and Saad son of Abadah. They did not develop feelings except of mutual love, co-operation and brotherhood. It is easily understood by now to know whether Islam supports the class-system or recognizes feudalism and the feudalists.

The Attitude of Islam towards Slavery :

Before the advent of Islam slavery was a universally recognized system. People practised it in various forms. Prisoners of war were

مكتبتنا العربية

taken as slaves. So were the captives in tribal and nomadic raids and indebted people who failed to pay back their debts.

When Islam came to find these conditions, it did not advocate slavery or even make any statement in support of it. On the contrary, it took every possible meassure to mitigate the practice of slavery and produced numerous revealed texts urging emancipation of slaves and opening all the possible ways to freedom. From the very beginning Islam did not address individuals only as to set free slaves in atonement for their sins and in seeking God's contentedness, but also made it incumbent upon the State to partake in setting free the slaves by means of contributing some amounts of collected alms to those who are trying to secure freedom through certain payments to their masters (Surah. 9, V. 60).

Nearly fourteen centuries ago Islam organized the emancipation of slave, and gave it full support and utmost encouragement. It ordained emancipation by means of exhorting the masters to set free their slaves. To realize this aim Islam encourages voluntary emancipation from the master,s side. Besides this commendable practice, there are other froms designed to help the slaves gain their liberty. For example, there is the *tadbeer*, which is a pledge making the slave's freedom conditional to his master's death. In this case the master makes a statement like " if I die, my slave becomes free, " and upon his death his slave's libeity immediately becomes effective. Another case is the *Kitabah* whereby the master and his slave reach an agreement according to which the latter gains his freedom in return for some payments to the former. Moreoves, when a slave-woman gives her master a child, she enters a transitional period in which she cannot be treated as a slave but enjoys a considerable deal of liberty which becomes complete upon the death of her present husband - like master. Furthermore, emancipation of slaves is enjoined in many cases as the only acceptable atonements for committing sins or making mistakes in swearing or fasting or the like.

The rule of Islam in fostering freedom was never confined to opening the doors of emancipation of the already enslaved people. But it was always concerned with the prevention of slavery and interested in combating it before it would take place. Whatever form of slavery that Islam kept was nothing more than what the civilized world has maintained nowadays. It is a well - known fact that the nations which have

مكتبتنا العربية

agreed to disallow slavery do allow taking prisoners of war and keeping them until a peace treaty is negotiated and the exchange of prisoners or ransom or heavy compensation is agreed to.

Nations at war develop very disturbing worries about their prisoners, and the ill-treatment received by these captives certainly justifies those worries. But with Islam it was a different story. During the propagation of the Islamic Call the prisoners taken by Muslims did not cause any worries to their people and states, because they were assured of fair treatment and did really enjoy it. we are told (Surah. 47, V. 4) that prisoners of war can only be taken after meeting an enemy in a regular battle, and even in that case they must be set free. either as a favour or after taking ransom. The former of these alternatives was the course adopted by the Prophet Muhammad in most cases. and there are many examples reported when thousands of prisoners were set free by the Prophet as a mere favour and with no reference whatsoever to redemption.

Prisoners of war were mentioned here because thier status is closely related to slavery. According to Islam. slaves are formerly prisoners of war taken after regular battles against disbelieving enemies who launch war against Muslims and try to hamper the spread of Islam. But. as already stated. Islam encourages the course of setting the prisoners of war free, and even if they are justifiably made slaves, their freedom is commendable. Thus we see that Islam has come to narrow the sphere of slavery and confine it to the minimum circle, and to enlarge the scope of liberty and raise the standard of slaves. It honours the slave by considering him a member of his master's family so far as treatment is concerned.

This is the attitude of Islam towards slavery. It is clear, therefore, that Islam cannot be said to encourage slavery or support slave-masters. It meant to abolish the slavery-system from the world by gradual and most wise steps. It resorted to this course because it was impracticable to eradicate overnight a system which was deeply rooted in social and economical life.

The Relation Between the Ruling and Ruled In Islam :

Authority in Islam belongs to the Nation, which is the possessor of sovereignty and is empowered to elect the Head of State. help him by good advice and oust him should he deviate or do injustice. The Calif is not the representative of God nor

مكتبتنا العربية

His viceroy on the earth. He is only a representative of the nation and its spokesman. The Four Wise Califs were clear about their position and knew that they were not successors to God but successors to His Messenger Muhammad in ruling the nation according to the Divine revelation. It is reported through Imam Ahmad that when it was said to Abu Bakr: O Calif of God, he said: I am the Calif of the Messenger of God, and I am satisfied with that. Moreover, when he was appointed to the Califate, he made a famous policy statement in which he said: " I have been chosen as your Head of State, but I am not the best of you. So if you find me right, help me; and if I am wrong correct me. The strong among you is weak with me until I take all dues from, and the weak among you is strong until I restore his right to him. Obey me as long as I obey God, but if I disobey Him, I have no right to your obedience."

Furthermore when Umar Ibn Abd-al-Azeez was appointed Calif, he made a public speech in which he said: " I am only like anyone of you, but God has shouldered me with a heavier burden." This is the real status of Califs in Islam. The Calif is not necessarily the best person, although he is charged with the heaviest responsibility. He is a representative of the nation and a paid employee. This fact was clear to the Califs themselves, to the learned men, the literary figures, the poets and finally to the majority of the public.

It is reported through the great authority of Traditions Imam Bukhari that Aishah, the prophet's wife and daughter of Abu Bakr the First Calif, said: " When Abu Bakr was appointed, he said: My people know well that my profession could produce sufficient provisions to maintain my family, but I have become concerned with the affairs of Muslims. So my family will depend in their livlihood on what they receive from the Treasury as I shall be working for Muslims."

This is the function and status of the Ruler in Islam. He is an employed servant paid by the nation which appoints him and supervises his deeds to help him when he is right and correct him should he deviate.

When Abu Muslim Khawlani, the reverend doctor of Islam, once came in where Muaawiyah the fifth Calif was sitting, he said to him in frank words; " Peace be upon you, O hired employee." The company of Muaawiyah suggested to Abu Muslim to say: Peace on you O prince, but he paid no attention

مكتبتنا العربية

to them and repeated his earlier words with the same frankness. They tried again their suggestive remark and he insisted on what he had already uttered. Then Muaawiyah interfered and said: " Let Abu Muslim go his way, he knows better what he says. "

This Islamic principle is well-established and affirmed, and has been observed by Muslim rulers so much so that it became known to all sections of the people. Muslims of different backgrounds consider the Califs and rulers as ordinary men whose infallibility and superiority to other people is no article of faith, and whose injustice and corruption instigate severe criticism from all public sides. This is not only in theory but olso in practice. It has been exercised on many occosions. For example, the famous poet Abu Al-Ala Al-Maarri launched his attacks against his contemporary rulers and governors, when they went wrong and abused their power forgetting their real status as hired employees. Moreover, a nomad once was admitted to the audience of a cretain Caliph, who was sitting on a higher place while the people were below him. Then the nomad asked the Caliph: " Are you God ? " " No, I am not God, " he replied. " Are you Gabriel ? " " No, " he said. The nomad added: " You are neither God nor Gabriel, so why do you sit higher ? Step down and sit with the people ".

These are a few examples but are very significant. Thay prove the practicability of the mentioned principle of the Status of the ruler and the rights of the people. This principle was clearly conceived and properly observed by Muslims. The result was that every individual felt conscious of his responsibility and personality as to guard the truth and justice, command the good and shun the indecent. It is with such a spirit that an ordinary woman stood bravely in the mosque to oppose the Calif Umar who felt no humiliation or harm to declare to the people that the woman was right and he was mistaken.

The Policy of Islam in War :

For thirteen years starting from the advent of Islam the Muslims suffered all kinds of harm and persecution. They fled twice to Abyssinia and were finally driven from their homes and properties without any just cause, leaving behind their weak brethren in Mecca to face torture and cruelty from the idolators. Then they felt inclined to take revenge from the wrong enemy, but the Messenger exhorted them to patience and asked them to await the decree of God as he was not by then ordained to fight.

Dictionary states the following: "religious instinct is unanimously shared by all human races. It is even shared by the barbrous and savage races. The humanity at large takes great interest in pondering upon the heavenly concepts as well as the metaphysical concepts."

The philosopher Henrie Bergson says: "there had existed and still exist some human groups without sciences, arts and philosophies, but there had never existed any group of individnals without religion or belief."

Earnest Renan in a treatise on the *history of religion* says: "It is feasible that any thing we like may decay and the freedom to use science and industry may [illegible] ctioning, but it is quite [illegible] that religion can be [illegible]. It rather stands as a conclusive argument against the fallacious doctrines of materialism which destroualy attempt to confine human thought to mean and narrow passages of the mundane life."

Mr. Muhammad Farid Wagdi comments on this quotation by saying: " Nay; It is impossible that the idea of religiousness can be eradicated because it represents the most sublime centiments of the human-being. Therefore the natural tendency to religion will continue deep[illegible] ted in the heart of man so [illegible] has sound mind to differentiate between beauty and ugliness."

Faith in God is an intellectual requirement.

It is evident that faith in a Supreme Power, which initiated this universe and maintained its discipline, is an intellectual necessity. This is because the naive human mind firmly believes in the principle of causation and always inclines to justification and reasoning. If there is no religion or faith, the question aroused by the Qur'an will have no answer, which question reads as follows: " or were they created out of nothing? Or are they the creators? " (Surah. 52, V. 35).

Evidently they were not created from nothing nor did they create themselves, then it is inavoidable to recognize the existence of one God who is the Creator, the Knowing and the Wise.

As for those who evaded from the recognition of the creative Divinty because it is unseen, intangible and not subject to experimental tests could not deny utterly the existence of managing power. So they resorted, however, to another vague and esoteric power [illegible]

nature. Pagans and heathens as in this concern were more logical and reasonable. When they were asked to identify who had created both heavens and earth, they said : God;

"Say : 'Who provides you out of heaven and earth, or who possesses hearing and sight, and who brings forth the living from the dead and brings forth the dead from the living, and who directs the affairs ? They will surely say, 'God.". [Surah 10, V. 31).

Sending of prophets is a manifestation of God's mercy.

Thanks to the conclusive wisdom and to the comprhensive mercy of God, the people were not left to go astray or to wonder aimlessly. He sent them messengers and prophets from amongst themselves to warn them and, at the same time, to give glad tidings about the boons of the Hereafter. Those Messengers were provided with heavenly Scriptures and commandments thereby they could set the people on the right path, to judge among them with equality and to lay down the foundations of a virtuous and dignified life. The Qur'an refers to that by saying : ". . . So that mankind might have no argument against God." (Surah. 4, V. 165).

Furthermore, the most pervaded wisdom of God necessitated that the messengers should be human individuals, not angels, selected from amongst their own people in order to be well-acquainted with their conditions, with their life, and to sympathise with their joys and sorrows. Some short-sighted persons, however, made an objection against the humanity of the prophets. The answer to this came in the Qur'an in the following verses : "Say, if there were settled, on earth, angels walking about in peace and quiet, we should certainly have sent them down from the heavens an angel for a messenger," (Surah. 12, V. 95) and : "God did confer a great favour on the believers when He sent among them a messenger from among themselves." (Surah 3, V. 164).

God purveyed those messengers with conclusive arguments as well as with clear proofs to show His [illegible] and to back their messengership. Such backing was so clearly defined that it convinced all fair and just people and made them believe wholeheartedly in the call of those prophets. The Qur'an refers to such an attitude by saying : " Lord, we believe in that You have sent down, and we follow the messenger. Inscribe us therefore with those who bear witness. " (Surah. 3, V. 46)

Another striking example of turning to the right is that related by the holy Qur'an about the magicians of Pharoah who, for their good fortune, had given up blasphemy

مكتبتنا العربية

and turned to sound faith. Saying, according to the Qur'an, : "We belive in the Lord of Aaron and Moses . . . " (Surah. 20, V. 70) and also saying : "Never shall we regard you as more than the clear signs that have come to us, or than Him Who created us." (Ibid V. 72).

Throughout all the ages God have sent prophets and messengers to be guiding lights to their peoples and sound educators and were counsellors to them. Such messengers were continuously sent to the people to lead them to the right path until God crowned religions by Islam and ended all messages by the ever-lasting mission of Muhammad son of Abdullah, who was sent to be a mercy to the whole universe; "We have not sent thee, save as a mercey unto all beings". (Surah 21, V. 105).

The message of Islam :

It would be a serious mistake to depict Islam as an unheavenly message merely invented by a human mind, or to illustrate it as a social phenomenon emerging from some historical effects or some economical factors. Whoso believes in such an idea is only deceiving himself and lying to the people as well. He is shutting his eyes and eclipsing his reason to the true facts around him. Furthermore, he ignores the authentic history and misconceives the practical and social facts of the Arab peninsula before and after Islam : simply because the conditions of the Arab tribes at Mecca and its outskirts are well-known in history. It was the life of nomadism and travelling, commerce and amusments, ventures and raids.

As for their belief it is known that each tribe had its own idol to which it devoted worship. The Kaaba (Sanctuary) was honoured and glorified by all tribes. It was their habit to bring their idols around the Kaaba until the number of these idols reached three hundred and sixty. Paganism was not a superficial phenomenon in the life of the Arabs but it was penetrating deeply theirein. The manifestation of this was obviously seen in their pilgrimage, their vows and all their rituals. The Qur'an in this connection says : " Out of what God has produced in abundance in tilth and in cattle, they assigned Him a share : They say , according to their fancies : ' this is for God, and this for our partners ' ! But the share of their partners reaches not God , whilst the share of God reaches their partners ! " (Surah 6, V. 136).

Belief in one God (Tahannof) was not known before Islam except to a throng of individuals who were so sound and reasonable that they

مكتبتنا العربية

rejected to fall into the abyss of heathenism. They deserted the worship of idols and either followed the path trod by Abraham or embraced a divine religion such as christianity. The pioneers of this trend before the advent of Islam were of four persons : three of them were from the tribe of Quraysh namely: Amer Ibn Nofayl Ibn Abdu Ozza, Warake Ibn Nawfal-who already knew the old scriptures and adhered to christianity - and Othman Ibn Howayrith, and the fourth was Obaydullah Ibn Gahsh Ibn Asad. However, those four monotheists had utterly no impact upon their fellow men at any rate. This is why the call of the prophet Muhammad to monotheism was met at first by utter frustration and by entire rejection. The Qur'an in this respect says : " Has he made the gods all into one God ? Truly this is a wanderful thing. And the leaders among them go away (impatiently), (saying) Walk ye away, and remain constant to your gods ! For this is truly a thing designed (against you) ! We never heard (the like) of this among the people of these later days : This is nothing but a made - up tale. " (Surah 38, Vs. 5 - 7).

It was rather wise under such circumstances that the messenger of God, who was fully aware of the fanatical adherence of his people to their idols, did not openly declare his call to monotheism, and instead he sought the way to the fulfillment of this sacred objective in secret for three years long. Shortly afterwards and in response to God's command he began to announce his call in public to his close kinsfolk. Neverthless he did not find but a scores of sincere individuals who believed in his message. Simultanuously he togather with his companions had suffered torments and persecution for thirteen years of time. This persecution obliged him to give order to his followers to immigrate twice to Abyssinia. It was followed by a bleading conflict at Medina made by the heathens to defend their cult and to impede the upserge of the monotheist religion.

Is it logical then to assume that the Arab peninsula was evolving towards monotheism as a result of the interaction of some social factors, and that the belief in one God (tahannof) was a general phenomenon before the advent of Islam ?

The Qur'an is the clearest proof of the message of Muhammad.

It was natural that peoples in olden times might harbour doubt about the missions of the prophets and therefore had asked for évidence. God consequently had backed His messengers by cosmic miracles fashionable to their times and similar to dexterities exercised by their peoples such as magic vis-a-vis Moses and medicine in connection with Jesus.

مكتبتنا العربية

Because the message of Muhammad is conclusive, ever-lasting and addressed to all mankind the wisdom of God had backed him by a comprhensive and immortal miracle as well; which is an abstract and intellectual sign i,e., the glorious Qur'an. God refers to this miracle in the Quranic texts by saying : " Yet they say : ' why are not signs sent down to him from his Lord ? ' Say : the signs are indeed with God and I am indeed a clear warner. And is it not enough for them that we have sent down to thee the Book which is rehearsed to them ? Verily, in it is mercy and reminder to those who believe." (Surah 29, Vs. 50-51). The glorious Qur'an constitutes so many miraclous aspects which lie in its inimitatability and which had strongly retorted the pretexts of the unbelievers, silenced their tongues and brought their arguments to naught; "Let them then produce a recital like unto it,—If (if be) they speak the truth." (Surah 52, V. 34) : " Or they may say : he forged it. Say ; bring ye then ten suras (chapters) forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can,• other than God — If ye speak the truth." (Surah 11, V. 13) ; " And if you are in doubt as to what we have revealed from time to time to Our servant, then produce a Sura (chapter) like thereunto ; and call your witness or helpers (if there are any) besides God ; if your (doubts) are true." (Surah 2, V. 23).

Thus the unbelievers had met their utter defeat and faced thir impotence thanks to the startling challenge of the Qur'an. Such defeat was recorded in history and expressed by the Qur'an when saying. " Say : if the whole of mankind and the Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other. " (Surah. 17, V. 88,).

This clear Book had managed to create the most momentous revolution which turned the face of history. It was a psychological as well as social revolution which had led to the establishment of a strong nation by directing it to the right path and by unifying its scattered groups. Consequently it had attained, by virtue of the Qur'an, an integral status, an ideal legislation, morals to conduct its behaviour, means leading to prosperity, and a universal message to be addressed to the whole of mankind; " It is He Who has sent amongst the unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and wisdom - Although they had been, before, in manifest error; - As well as (to confer all these benefits upon)

others of them, who have not already joined them: And He is exalted in might, wise". (Surah 62, Vs. 2-3).

The Qur'an is a miracle and guide.

Apart from all other Scriptures the Qur'an stands unique by being a miracle as well as a guide; "a guide to mankind, also clear Signs", Howevere if the miraclous sign proved to be in accordance with the spirit of the message, then it would be more indicative of the truthfulness of the messenger and would give him more support than the outward miracle. To illustrate this idea some learned men gave the following example. If there be a man in a city-wherein diseases are spread-claiming to be a physican, and forwarding as a proof of his plea a book written by himself dealing with medicine and adding that patients will find their cure in such a book. If such a book on being examined by other physicians well versed in their subject proved to be the best book bearing on that subject, and if such a physician diagnosed the people's illness and prescribed for them the medicine leading to their recovery; could such a plea be disputed after being confirmed by practical as well as theoritical proofs? Definetly no one can doubt the authenticity of such clear plea.

If in a likewise manner we apply this reasoning to a more sublte matter that is curing of spiritual and moral maladies the result should be more striking because the treatment of physical maladies is not easy as the treatment of physical ailment. It is rather more subtle and difficult to be attained.

It is a well attested fact that the Qur'an includes the sound creeds, the sublime morals and the origins of social and civil legislation. It is well known too that the prophet, may the blessings and peace of God be upon him, had successfully treated by the virtue of his holy book a people of long-established conflict illiteracy and idolatrous vices. Such people through his treatment recovered and became unified, sophisticated, wise and masters of numerous countries. However it is more striking to notice that the man who attained this success had been illiterate with no background either in science or politics. If the afore mentioned physician proved his claim by means of an action which is unfamiliar to the people and has no bearing on medicine, his claim would propably be suspected. Similar is the case with the prophet Mohammad in his claim that he was sent by God to guide the whole of mankind. His Book, which proved to be sound, is more indicative that it is a revelation from God than the rod of Moses which became snake and the dead womb

مكتبتنا العربية

Jesus brought forth alive. Because these two miracles, though unusual, are not a means of instruction and guidance nor are they pertaining to medicine. Therefore their indication is not intrinsic.

However, the doing of supernatural miracles is less important than the making of supreme, divine and legislative sciences without having any sort of knowledge. Yet the Qur'an anticipates the hidden matters in the past and the future, and its teachings lead to success and prosperity. The Qur'an thus is a clear proof that its spiritual as well as social remedy is only revealed by God, the Wise, the Sustainer, and no person whosover can oppose or doubt it.

Was there any opposition to the Qur'an ?

After the shining success of the Islamic call in the Arab peninsula there appeared, for psychological as well as tribal reasons, some persons who claimed themselves to be prophets. What their proofs, their books and their achievements ? The following may give answer to this question.

In the nineth and tenth years after the Immigration there had been some individuals who claimed themselves as prophets. They were : Musaylama of the tribe of Hanifa which had envied Quraysh because the messenger of God belongs to it, Al-Aswad El-Ensi who appeared at Yamama, Talha Ibn Khowayled El-Asadi who appeared within the tribe of Asd and Sagah daughter of of El-Harith who had Known christianity before and who appeared in the tribe of Taghlib.

The different narrations, however, tell us that such pseudo prophets had made books to oppose the Qur'an. But history and literature did not preserve any trace of their works except that had been introduced as anecdotes or Jokes.

The false allegation of these feigned prophets had not managed to stand upright in face of the strong march of Islam. No sooner had they proclaimed their absurd calls than they had met their utter defeat and profane destiny. Some of them had died and others embraced Islam and became sincere believers such as Talha who had joined the army and fought heroically in the way of God to atone for his Past attitude against Islam; " Nay, We hurl the truth against falsehood, and it knocks out its brain, and behold, falsehood does perish ! " [Surah. 21, V. 81].

In the Abbaside Caliphate some narrations stated that there had been an opposition to the Qur'an but these narrations were not backed by factual texts. For instance Ibn Kayyem al-Jozyyeh and al-Bakellani stated that Ibn al-Mokaffa had been reciting

مكتبتنا العربية

the Qur'an until he reached at the following verse : "At length, behold ! There came our command, and the fountain of the earth gushed forth! " and went on reciting until God's saying : " Away with those who do wrong." (Surah. 11, Vs. 40-44), then he said with admiration : this can not be challenged at all by any human being " and burnt what he had invented. Furthermore, El-Bakellani goes on to say : "there had been persons who assumed that Ibn El Mokaffaa had opposed the Quran in his book titled *the Unique pearl* -Aldurratul Yatim-"; but El Bakellani failed to find any thing in Ibn El-Mukaffaa's work that might be held as an imitation of the Qur'an.

There was also Aboul - Alaa El Maarri who had been accused by the sin of imitating the Qur'an. But-El-Rafei, the Egyptian writer, refuted this charge very strongly. Dr. Taha Hussein, the contemporary Arab writer, refuted as well what had been attributed to Aboul El-Alaa.

The latest attempt of such fraudulent prophets, who claimed to be in touch with the divine revelation, is seen in the assumption made by Mirza Gholam Ahmed El Quadyani-the Indian-, Mirza Ali El-Bab and his disciple El Bahaa.

Fortunately, the followers of those fabulous prophets do not show us what they assume to be Qur'anic verses and hide it in such a manner as it was something to be ashamed at. Whoever manages to read their books will see nonsense and absurd words and ideas. He will be profoundly confident that the Qur'an is the genuine revelation of God: "This is a Book, with verses basic or fundamental (of established meaning), further explained in detail from One Who is Wise and Well - Acquainted (with al things). " (Surah. 11. V. 1).

Islam is a belief as well as a system of life.

Islam is not, as being held by short-sighted individuals, a theological religion nor is it a mere belief taking only into account the spiritual side of man while leaving aside the organization of his relations with the universe, with life and with his fellow human beings whether they are individuals or families or nations. In the contrary Islam is a comprhensive belief out of which an integral as well as a universal system comes forth on which a balanced and universal nation is based. Such nation is depicted in the Qur'an as follows: " And thus We have made you an exalted nation that you may be the bearers of witness to the people." (Surah. 2. v. 143) ; "You are the best nation raised up for men : you enjoin good and forbid evil and you believe in God." (Surah 3. V. 100).

The merits of the Islamic belief.

The Islamic religion has its own

مكتبتنا العربية

merits and characteristics which other religions are lacking · It is a clear and simple belief which may be expressed in the idea that there is beyond this disciplined and unique universe One God who had created and regulated it, and who had destined every thing in this universe. This God has no associate, no counterpart, no wife and no son but "To Him belongs whoever is in the heavens and the earth." (Surah. 21, V. 19.).

This belief is plain and acceptable. Because the human mind seeks always association and unity beyond the apparent variation and multiplication. It incessantly tends to refer all things to one cause. The uniform fact also proves that the multiplication of wills does not produce an integral conclusion or lead to a coherent system. The glorious Qur'an assures this fact when stipulating that : "God has not taken to Himself a son nor is there with Him any (other) god-in that case would each god have taken away what he created, and some of them would have overpowered others." (Surah. 23, V. 92) : "If there were in them gods besides God, they would both have been in disorder." (Surah. 21, V. 22).

Moreover it is not a belief alien to human nature nor does it contradict this nature at any rate. It is rather in complete harmony and accordance with this nature. The Qur'an illustrates this notion plainly when saying : "So set your face for religion, being upright, the made by God in which He has created men. There is no altering God's creation. That is the right religion-but most people know not. (Surah. 30, V. 30).

It is as well a fixed and defined belief which is not subject to increase or decrease, distortion or change. No ruler whosoever or scientific synod or religious congregation is alowed to make addition or adjustment in this belief. Any addition or adjustment will be held invalid and will only express the point of view of such innovator. The messenger of God in this respect says : " Whoso produces any idea alien to our injunctions will be responsible for this and his innovation will be only ascribed to him " and the Qur'an says : " Or have they associates who have prescribed for them any religion that God does not sanction" (Surah 42. V. 21).

Thus all innovations, superstitions and supplements maliciously entered into Muslim beliefs or foisted into their books or treachrously propagated among uneducated masses are false, unreliable and thoroughly rejected by Islam.

Misconception of predestination and choice

Predestination and choice were

مكتبتنا العربية

and still from amongst the most amazing and disputable topics which human mind failed to find out solution or reach a decisive conclusion, and in which philosophers, ethicalists, psychologists and educationalists had disputed so far as philosophy and research are concerned.

Islam in this connection is the balanced religion which is in complete harmony with sound nature and the tangible reality.

Man in view of the belife of predestination and choice is completly free and responsible for his actions and self in the domian of his optional activities. He is at absolute liberty to do or abstain according to his own common sense and feelings.

The Qur'an gives full support to this attitude in the following verses: " So let him who please believe, and let him who please disbelieve." (Surah. 81, V.29). "There is no compulsion in religion — the right way is indeed clearly distinct from error." (Surah. 2, V. 256). " Surely this is a Reminder: so whoever will, let him take away to his Lord." (Surah. 76, V. 29). " To him among you who will go forward or will remain behind " (Surah. 74, V. 37) " Whoever does good, it is for his own soul: and whoever does evil, it is against it. And thy Lord is not in the least unjust to the servants." (Surah. 41, V. 46) " If you do good, you do good for your own souls. And if you do evil it is for them. (Surah. 17. V. 7). " God imposes not on any soul a duty beyond its scope. For it is that which it earns (of good) and against it that which it works (of evil)." (Surah. 2, V. 289).

In addition to the above mentioned verses there are many in the Qur'an which stipulate and decree man's liberty, gains and responsibility; "That no bearer of a burden bears another's burden: And that man can have nothing but what he strives for: And his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward." (Surah, 53, V. 5. 38-41).

This positive attitude adopted by the Qur'an has been backed by a strong campaign against the determinists who ascribe their blasphemy and sins to Fate under the pretext that their actions are directed by the will of God.

In four Suras (chapters) of the Qur'an God, the Almighty, refutes this false assumption. In the Cattle chapter He says: "Those who are polytheists say: If God pleased we would not have set up (aught with Him) nor our fathers, nor would we

مكتبتنا العربية

have made anythig unlawful. Thus did those before them reject (the truth) until they tasted our punishment. Say : Have you any knowledge so you would bring it forth to us ? You only follow a conjecture and you only tell lies." (V. 159). He also says in the chapter of th Bee : "And the idolators say : Had God pleased, we had not served aught but Him, (neither) we nor our fathers nor had we prohibited aught without (order from) Him. Thus did those before them. But have the messengers any duty except a plain delivery (of the message)." (V. 35). He further says in the chapter of Yasin : "And when it is said to them : Spend out of that which God has given you, those who disbelieve say to those who believe : Shall we feed him whom, if God please, He could feed ? You are in naught but clear error." [V. 47]. And finally He says in the Chapter of Gold : "And they say : If the Beneficent had pleased, we should not have worshipped them. They have no knowledge of this; they only lie." (V. 29).

By such strong and clear regoinders to the old determinists the decisive attitude taken by the Qur'an towards the question of *the human will* and *Divine will*, is obviously conceived.

Neverthless, man is not actually at absolut liberty or at complete choice in the sense that he does all what he pleases and abstains from all what he displeases; because if he were really free in that sense he would certainly be a God.

No one, whatever his staunch support to the human liberty may be, can deny the determinism of the human will. This is why the authorities concerned always refer it to hiriditary or environmental factors or to both of them. Some philosophors express this notion by saying : "Man is free in a domain of fetters and limits"

The dialictical materialists have even tied man to means of productions as well as to the economical phenomena which direct his way of thinking, his course of behaviour and his current affairs. Thus they degraded man and brought him to the most repugnant standard of determinism when they have made of him a humble slave of matter not a master of it as ordained by Islam.

This well attestad fact, the limitedness of the human will, is decreed by Islam in a way more honourable and dignified to man than that of the materialistic and traditional determinism. Man, from Islam's point of view, is at liberty and choice in the range of what God had ordained of rules being carried out by His will and power according to His knowledge

مكتبتنا العربية

and wisdom, and which are applying to all creatures including man himself. Man is free because God wants him to enjoy liberty, and has his own will for God says: "But you will not except as God wills." (Surah. 76, V. 30.)

There is no wonder then when we read in the Qur'an the combination of both the liberty of the human will and the mastery of Divine will which appears in the following verses: "Verily, all things have We created in porportion and measure." (Surah. 54, V. 49): "And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed." (Surah. 10, V. 99): "Doer of what He intends." (Surah. 85, V. 16) and "Surely thy Lord makes plentiful the means of subsistence for whom He pleases, and He straitens." (Surah. 17, V. 30).

Muslim's belief in Fate, however, does not represent any determinist dogma nor does it express the accidentalists trend. but it is rather the belief in that the universe is heading to an ultimate end and that it is regulated by a Supreme Power. How can it be otherwise while God's knowledge fully comprises every atom in heavens and earth, and directs it according to His conclusive wisdom and mercy? "And not the weigt of an atom in the earth or in the heaven is hidden from thy Lord, nor anything less than that nor greater, but it is (all) in a clear book". (Surah. 10, V. 61).

Belief in Fate as such depicted does not at any rate contradict the exertion of efforts and the search of whatever possible means to carry out one's own affairs. This is simply because God had ordained causes and means, introductions and conclusions. He had not destine success without any work, but had ordained it through its due means of unflagging efforts, of caution vigilance, patience, endurance and so forth.

Taking means then does not oppose Fate but in fact is implicitly included in God's Fate. Therefore when the messenger of God was asked this question: "could you prevent the occurance of God's Fate?" in view of remedies and ways thereby evil might be evaded, his unequivocal answer was: "all happenings are ordained by God's Fate." Furthermore when epidemic disease was prevailing in Syria Omar Ibn El-Khattab, after his consultation with the companions, had decided not to enter it and returned back with his company. Some companions said to him: "do you run away from God's destiny O Prince of Muslims?" He said "yes; I run away from God's desting to face God's destiny in other from."

مكتبتنا العربية

The messenger of God, though having the strongest faith in God's Fate, was fully aware of the necessary measures and means to be taken. He therefore, had taken necessary precauitons, mobilzed armies,sent reconnaissance patrols, fought full - armed and had followed the most advanced rules of tactics and strategy.

Although the question of predestination and choice was clear enough in Islam, as we have already seen-through texts, practice, theory and application- the messenger of God, peace be upon him, had ordered his companions to block the way of fruitless discussion about such delicate questions in which the human mind had failed to reach a sound solution for long ago, in order they might escape dissension and divergence of views.

Refering to this question Shaykh Muhammad Abdu had said : " unfortunately some persons who have evil intentions appeared among the Muslims from amongst the Persian and Roman subjects who feigned to be muslims and who brought to Islam what they have had of dissension and hypocrisy. They disobeyed God and his messenger when they violated Their order of forbidding discussion of Fate, and misled Muslims through their ambiguous and absurd words. They even disintegrated their unity and God says to His messenger concerning this attitude : " As for those who split up their religion and became sects, you have no concern with them." (Surah. 6, V. 160).

"Such was a group of determinists who were weak and helpless whose plea could not stand sound reasoning, and whose actions had been so repulsive that they were expelled from the domain of religion. It was left lagging behind until it was fully uprooted. This gave impetus to the prevalence of the tendency calling the majority of Muslims to adopt the trend of moderation between detereminism and choice which is the trend calling to serious activities and true faith.

Faith In Resurrection :

Some Materialist pedants often try to spread doubts about the belief in resurrection and other eschatolgical doctrines, like that of the Day of Judgement, Paradise and Hell-Fire to which doctrines references are made in the Qur'an and all the other Divine Scriptures. In a sarcastic manner they comment on the Qur'anic verse " Perhaps the Hour is nigh " (Surah. 42, V. 17) by remarking that a period of more than thirteen centuries has elapsed yet, the Hour has not come as yet. They forget or overlook that measurement of time is a relative question, and that a thousand years or more is only a short time in the account of history,

especially if we take into consideration what geologists say about the estimated age of the world, which goes back millions and millions of years. The Materialists disregard another significant fact, when they do not realize that Muhammad is the last Prophet and his message is the final word from God to mankind. Should they conceive this fact, they would find it easy to clearly understand what the word "nigh" in the verse means, because they will then know that since there is no prophet after Muhammad nor is there any message after his until the day of Resurrection, the Hour is coming and nigh.

The Hereafter is another creation wherein every person will receive a fair return for what he or she has done in first life. In many cases this present life falls short of rewarding the good people for their deeds and punishing the mischievious for what they might have committed. Faith in a Wise, Just God leads by necessity to the belief in the existence of that other life to be. This is the logic of faith in God Who ordained the Hereafter "that He may reward those who do evil for that which they do, and reward those who do good with goodness" (Surah. 53, V. 31) Belief in Resurrection is the logical conclusion of man's creation and his responsibility; "Do you then think that We have created you in vain, and that you will not be returned to Us" (5. 23, V. 115) "And We created not the heaven and the earth and what is between them in vain. That is the opinion of those who disbelieve. So woe to those who disbelieve on account of the Fire. Shall We treat those who believe and do good like the mischief-makers in the earth? Or shall We make the dutiful like the wicked? (Surah. 38, Vs. 27 — 28). If there were no belief in Resurrection, the justice of God and the very principle of laying responsibility on man's shoulder would be very critically questionable; an attitude which could produce nothing but chaos and destruction.

It should be borne in mind, however, that belief in the Hereafter does not mean giving one's back to life and being indifferent to the serious course of events on dependent on others with indulgence in vain wishful thinking. Happiness in the Hereafter is not attainable except through persistent work and serious endeavours. "It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or femal, and he (or she) is a believer — these will enter

مكتبتنا العربية

the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " (Surah. 4, Vs 123 — 124).

It is sufficient to support this argument that the Messenger of God-peace and blessings be upon him-and his Companions as well as their pious successors did not conceive life or live it except as an aspect of serious undertaking and earnest endeavour. It was this spirit that made them surpass other peoples in every field of life. They did not remain stagnant or lazy awaiting the peace of the Hereafter and the boons of the Garden. They could not do it because the Qur'an, their right guide, says : " And say, Work; so God will see your work and (so will) His Messenger and the believers. And you will be brought back to the Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did " (Surah. 9, V. 105). " He it is Who made the earth subservient to you, so go about (working) in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death) " (Surah. 67, V. 15). Again it says : " O you who belive, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of God and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of God's grace, and remember God much that you may be successful " (Surah. 62, V, 6 - 10).

The System of Islam:

Islam has a very unique and universal system which is closely associated with all aspects of life. It is concerned with the individual and the society and is interested in life at large. In a very fair manner and on a well-balanced scale Islam deals with all aspects of life, spiritual and material, personal and social, local and international. No matter is over-rated at the expense of another, but justice in all sides prevailes. Unlike other religions, it does not wear a material uniform or take a material view of life, nor does it over-estimate the spiritual elements of existence. It draws a balance-line between the individual and his society without making the former dominate the latter as is the case with capitalism, or vice-versa, as is the case with communism.

All this is because Islam is not the production of an unguided revolution resulting as a reaction to corrupt conditions or to oppose extreme right with extreme left, as was the case with the unguided revolutions which introduced weak and shaking systems that were the subject if common complaints and inevitable alterations. The system of Islam is not

made by an individual or any group of individuals directed by their cultural beckgrounds or environmental circumstances or legacies, not to mention their caprices or passions, to introduce a subjective system doomed to deficiency and change. Islam is the system of God Who is the Lord of men and is free from bias and partiality to any race or class or genertation. He is the Lord of them all and they are His servants. He knows their interest and His mercy is so comprehensive that He does not over-task them: "God desires ease for you, and He desires not hardship for you . . . " (Surah. 2. V. 185).

Worship is God's Alone :

The first article in the faith of Islam is the organization of relationship between God and His bondmen. Mankind do not create themselves nor do they invent any of the many embracing dooms and universal graces in the heaven and the earth. But it is God Who creates them, bestows favours on them and honours them from among his creatures [illegible] that is, they ought to be worshipful to Him as He loves and bestows on them and worship Him alone without associating any partner to Him. And this exactly what Islam ordains in the words of the Qur'an "And they are enjoined naught but to serve God, being sincere to Him in obedience, upright, and to keep up prayer and pay the poor-rate, and that is the right religion" (Surah 98, V. 5).

Moreover, Islam does not only confine worship to God alone, but also purifies the rituals from all the idolatrous accretions and innovations invented by the followers of different sects to lay barriers between God and His bondmen and to establish a system of priestly intercession between the Heaven and the earth. Prayer in Islam is a devotion to God only in which man turns his face wherever he happens to be to the Lord without dependence on the permission of any relegious minister. The prayer-leader in a congregational service, which is more preferable to private worship, is not a man of priestly rights but is one of the congregation. They let him lead their prayers for his knowledge or piety and check his recitations to correct him, if he makes any mistake. He cannot assure any member of the congregation that his prayer will be accepted by God because the final Word on acceptance is God's only Who knows the truthful from the otherwise, and Who "accepts only from the dutiful" (Surah 5, V. 27).

The Islamic prayers with their manners, their time-fables, their conditions and recitations are peculiar

مكتبتنا العربية

to Islam as they were not known to any religion before Islam. They are the daily contact between the Muslim and his Lord. They are the effective means of purifying the body and the soul, of cultivating the sound conscience and developing decent morals; "Surely prayer keeps (one) away from indecency and evil ..." (Surah. 29, V. 45). They are, especially when performed in congregations, a strong social bond and a practical lesson by which Muslims practise discipline, brotherhood and equality. The condition which enjoins upon all Muslims to turn their face to one direction towards Mecca (Makkah) while praying is profoundly significant as it trains them to be whole-heartedly united in aim, opinion and tendency.

Pilgrimage, another fundamental pillar of Islam, is a journey in which the Muslim turns his heart and body to the House of God at Makkah, the House which was built by Abraham to be the symbol of monotheism and unity. When Abraham, father of the prophets and the enemy of idolatry, established it, God ordained him to proclaim to men the pilgrimage; " And when We pointed to Abraham the place of the House, saying : Associate naught with Me, purify My House for those who make circuits and stand to pray and bow and prostrate themselves. And proclaim to me the Pilgrimage : They will come to thee on foot and on every lean camel, coming from every remote path" (Surah. 22, Vs. 26-27).

This form of worship, started with Abraham as entirely pure for God, was abused and spoiled. The succession of time together with ignorance, caprices and superstitions drove the people out from the path of God to indulge in idolatry and associate images with God. They laid down idols in the House of God to worship them and offer oblations to them, mixing whatever was left of the monotheistic rituals with the accretion which they invented.

When Islam came to find the said condition, it removed all traces of idolatry and abolished the remaining forms of Pastnership in Divinity. Upon the triumphant return of the Prophet Muhammad to Makkah he smashed with his own hands the idols which were set around the House of God at Makkah (the Kaabah), saying : " The Truth has come and falsehood vanished. Surely falsehood is ever bound to vanish" (Surah. 17 V. 81). Thus the House was made pure for God alone and the institution of Pilgrimage restored to its fromer state in the days of Abraham. In forms and slogans, in intention and practice pilgrimage was one again designated to God.

مكتبتنا العربية

The rituals of pilgrimage are associated with certain place in the sacred city of Makkah only because it is the land of remembrances, the legacy of Abraham and the cradle of the Call. All the rituals performed by the believers in the course of pilgrimage are indicative symbols of suggestive revelation. They have no value or significance in themselves because they are meant for the glorification of God and submission to His ordinances. It is reported that Umar, the Second Caliph and great Companion of the Prophet, stood before the Black Stone in the Kaabah and said : " I kiss you although I know that you are a stone incapable of doing any harm or causing any benefit. And had I not seen the Messenger of God kiss you, I would have never done so. "

In view of these explanations, would there be any ground for the superficial outlook of those who say that the Muslims make pilgrimage to a stone and bow down in prostration before it, seeking its blessings or graces? Any such allegation is a mere nonsense. Pilgrimage is a pointed mote in the eyes of the enemies of Islam because it is the most impersssive Divine convention to which the Muslims come from everywhere in the globe to enjoy the mutual feelings of a common Islamic brotherhood and joint aims, and to dicusss their affairs in co-operative and most understanding manners as to return to their previous state of dignity and power; to be new the best nation raised up for men by enjoining good and forbiddding evil and by believing in God.

It is these Divine principles that vex the blind enemies of Islam and make them hit at random. The advocates of chaos and enemies of humanity stay restless when they face any organized course of relationship either between man and man or between man and God. This is why they look to Islam with unhappy eyes and shamelessly invent all sorts of lies and alle, ations to set barriers between men and Islam. But we believe that all this will be in vain once Islam is properly presented and correctly represented. It is our hope, however, that the short account given of these two forms of worship (Prayer and Pilgrimage) will be a sufficient expression of the spirit of Islam in drawing the course of relations between God and man.

Human Relations :

Now let us consider how Islam organizes the course of human relations among people. Has Islam ever supported the feudalists, or recognized social injustice, or helped a class of society against another, or favoured the strong at the expense of the

مكتبتنا العربية

weak? Has Islam left society to be dominated by artificial barriers of discrimination on the basis of race or colour or inherited nobility? This is what we shall give answers to in the following pages.

The lightest examination of the teachings of Islam demonstrates that it is not a religion of any particular class or any special group, but is a religion socially founded on the bases of fraternity, justice and equality. These bases are clearly represented in the rituals and worships of Islam as well as in its economical and political systems.

The Relation Between the Rich and the Poor:

Islam admits the instinctive dissimilarity of people in abilities and natural gifts, faculties and capacities, and it accepts, therefore, their reasonable and instinctive dissimilarity in sustenance. Islam as a religion which recognizes the natural instincts of man and things, sublimes them and does not conflict with them accepts individual ownership as long as it comes from lawful sources. By this attitude Islam means to satisfy the instinctive motives and human desires for ownership competition and saving. But it does not regard the individual property which is obtained through illegal means like usurpation and stealing whether this latter is in apparent or hidden forms such as gifts presented to rulers, exploitation of influence, accepting bribes and taking other people's properties by subtle manners. On the contrary, it confiscates all holdings of this sort however long they remain in the holders' hands, because length of time and succession of day and night do not allow the forbidden or make the prohibited lawful.

In Islam man is not the real owner of property and cannot do with it what he pleases. All holdings belong in fact to God alone. This statement means that they belong to the entire society, and the rich man is a mere employee appointed to take care of what he holds, invest it and spend it in such a way as to agree with the interest of society, without inflicting any harm upon it. In other words, as the Qur'an puts it, the *rich* person is only a successor; "and expend of that unto which He has made you successors" (Surah 47, V. 6); "and give them (the earnest slaves who seek emancipation) of the wealth of God that He has given you" (Surah. 24, V. 33).

Ownership, therefore, is a social function, and the wealthy person is tasked with financial duties to his society the least of which is giving *alms* (zakah). This is not a voluntary